



الجامعة الإسلامية - غزة  
عمادة الدراسات العليا  
كلية أصول الدين  
قسم التفسير وعلوم القرآن

# الصحبة في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

إعداد

الطالبة/ أسماء وجيه أبو صفية

الرقم الجامعي: (220093516)

إشراف

الدكتور/ وليد محمد العمودي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن.

1432هـ - 2011م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

[الزخرف: 67]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: 105]

إلهي لا يطيب الليل إلا بشركك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك،  
ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برويتك.. **الله** ..  
إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، نبى الرحمة ونور العالمين.. **سيدنا محمد** ..  
إلى من كللها الله بالهبة والوقار.. وعلماني العطاء بدون انتظار ..  
إلى من أحمل اسميهما بكل افتخار.. وأرجو من الله أن يمد في عمريهما.. **والذي العزيزين**..  
إلى من أرى التفاؤل بعينيه، والسعادة في ضحكته..  
إلى الوجه المفعم بالبراءة ولمحبته أزهرت أيامي، إلى من علمني النجاح والصبر،  
إلى من آزرني في مواجهة الصعاب، ولم تله الدنيا ليمدني بعطائه وحنانه.. **زوجي الغالي**..  
إلى من وقفوا بجانبى وشجعوني على مواصلة المشوار... **إخوتي وأسرتي جميعاً**..  
إلى من بدأ معي خطوة بخطوة، ولم يبخل على بأي معلومة ...  
إلى من علمني التفاؤل والمضي إلى الأمام، إلى صاحب القلب الطيب  
والنوايا الصادقة... إلى شعلة الذكاء والنور، أستاذي الفاضل الدكتور / **وليد العمودي**..  
إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة.. **أساتذتنا الأفاضل**..  
إلى ينابيع الصدق الصافي، إلى من معهم سعدت، وبرفتهم تحلو الصحبة،  
إلى من عرفت كيف أجدهم، وعلموني الحب والإخلاص.. **صديقاتي وأخواتي في الله**..  
إلى الشموع التي تحترق لتضيئ للآخرين طريقاً يسلكون به درب العلماء، **طلبة العلم**..

أهدي هذا البحث المتواضع راجية من الله ﷻ القبول، وأسأله تعالى التوفيق والفلاح لي ولجميع  
المسلمين في الدنيا والآخرة.

الباحثة



## شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على هادي الأمم، ومعلم البشرية محمد ﷺ، أما بعد:

فالشكر أولاً لله ﷻ على عطائه وفضله الكبير علينا، الذي وفقني لإتمام هذه الدراسة، وانطلاقاً من قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنُ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ..﴾ . [إبراهيم:7].

أتقدم بجزيل الشكر والاحترام إلى من كان له الأثر الكبير في رعايتي ومساعدتي، وبذل جُلِّ وقته لإنجاز هذه الرسالة (زوجي الغالي محمد)، وإلى والده ووالدته اللذين كانا دائماً يعملان على رعايتي والاهتمام برسالتني والسؤال عنها دائماً، فأشكرهم جزيل الشكر عملاً بقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ . [الرحمن:60].

وأقدم بالشكر والتقدير لوالديّ، اللذين أناراليّ طريق العلم بفضل دعائهما وإرشاداتهما، وأدعو الله ﷻ أن يحفظهما ويمد في عمريهما.

ويسعدني أن أقدم الشكر الكبير لأستاذي الفاضل :

**الدكتور: وليد محمد العمودي**، لإشرافه على هذه الدراسة، ولاهتمامه ومتابعته في كل خطوة من خطواتها، وكذلك لتوجيهاته وإرشاداته القيمة ، فقد غمرني بعلمه الواسع، وتوجيهاته الكريمة التي ستبقى مصباحاً ينير لي الطريق في مستقبل حياتي، وأسأل الله أن يسهل له -بعلمه- طريقاً إلى الجنة، وأن يقربه منه بحسن خلقه، ولين جانبه، وكريم صبره، وأن ينفع الله به الإسلام والمسلمين وطلبة العلم، وأن يرفع درجاته، في الدنيا والآخرة، فجزاه الله خير الجزاء.

والشكر موصول إلى عضويّ لجنة المناقشة كل من:

**الأستاذ الدكتور الفاضل: زكريا ابراهيم الزميلي، والدكتور الفاضل: رياض محمود قاسم** حفظهما الله تعالى؛ لقبولهما مناقشة هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الخالص للجامعة الإسلامية، وأخص كلية أصول الدين والدراسات العليا المتمثلة بعميدها **الدكتور الفاضل/ محمد حسن بخيت** فجزاه الله خيراً.

ولا أنسى أن أشكر العاملين في مكتبة الجامعة الإسلامية، الذين طالما قدموا كل ما يستطيعون من مساعدة، جعل الله ذلك في ميزان حسناتهم.

وأقدم بالشكر الكبير إلى **الأستاذ الفاضل: هاني الصوص**، لإشرافه على تنسيق الرسالة وترتيبها لتخرج بأجمل وأروع صورة فجزاه الله كل خير.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من شجعني على مواصلة دربي، وشاركني وساندني وساهم أو نصح أو أرشد، ولو بكلمة واحدة، في إنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور الفاضل: إسماعيل رضوان.

كما أخص بالذكر أختي وصديقتي الفاضلة: نادرة أبو حامدة (أم ميسرة)، لنصحها وإرشادها ودعائها لي دائماً، فجزاها الله كل خير.

وأسأل الله -تعالى- أن يتقبل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم، فما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وما كان من صوابٍ فمن الله تعالى.

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، جدّد الله به رسالة السماء، وأحيا ببعثته سنة الأنبياء، ونشر بدعوته آيات الهداية، وأتم به مكارم الأخلاق، وعلى آله وأصحابه الذين فقههم الله في دينه، فدعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة، والموعظة الحسنة، فهدى الله بهم العباد، وفتح على أيديهم البلاد، وجعلهم أئمة يهدون إلى الحق؛ تحقيقاً لوعده، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. [النور: 55]

هؤلاء المؤمنون الذين اشارت اليهم الاية شكروا ربهم على ما هداهم إليه من هداية خلقه، والشفقة على عباده، وجعلوا مظهر شكرهم بذل النفس والنفيس في الدعوة إلى الله تعالى .

أما بعد:

لقد اعتنى الإسلام بالصحة الصالحة؛ لما لها من أثر عميق في توجيه النفس والعقل، ولما لها من نتائج طيبة فيما يخص الجماعة كلها من تقدّم أو تأخر، ومن قلق أو اطمئنان فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]. وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28]

والإسلام شديد الحرص على أن تكون شعائره العظمى مثابة يلتقي المسلمون عندها؛ ليتعاونوا على أدائها، مما يشير إلى عناية الإسلام في تكثير سواد المسلمين، ورؤيتهم حشوداً متضاعفة لا فرادى منقطعين، وكل أمر يفوت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يضعف من شأن المسلمين أمام خصومهم، إنما هو معصية.

وعلى المسلم أن يقسم وقته بين الخلوة النافعة والاختلاط الحسن؛ ليخرج من الحاليين بما يصلح شأنه كله، وأول شرائط الصحبة الكريمة أن نبرأ من الأهواء، وأن نخلص لوجه الله، وأن تولد هذه المشاعر وتكبر في طريق الإيمان والإحسان، وهو معنى الحب في الله .

ولقد اعتنى الإسلام بهذا النوع من الصحبة النقيّة، ورغب المؤمنين في إخلاصها لله، وجعل لهم جزيل الثواب، لذلك فإن صاحب الصالح يقود صاحبه إلى النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، أمّا صاحب السوء فهو شر على صاحبه، يورده موارد الهلاك. قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الرّحرف:67].

إن مفهوم الصحبة كبير القيمة، جليل الأثر؛ حتى إنه ليكون سبب النجاة في الأزمان، ولو كانت هذه الأزمان في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:27] وإن موضوع الصحبة له أهمية بالغة في حياتنا، وتكوين علاقات حسنة في المجتمع، فقد اخترت موضوع الدراسة (الصحبة في ضوء القرآن الكريم) ، دراسة موضوعية.

### أولاً - أهمية الدراسة:-

- 1- تعلق موضوع هذه الدراسة بأشرف كتاب ألا وهو القرآن الكريم.
- 2- بناء الإنسان المسلم على صحبة الأنبياء واتخاذهم قدوة في حياتهم.
- 3- تربية النفس على مقومات الصحبة الصالحة.
- 4- تحقيق صلة الأرحام والأقارب.
- 5- تعزيز مبدأ التناصر بين المسلمين.
- 6- إشاعة التماسك الاجتماعي بين المسلمين .
- 7- تحقيق مفهوم الصحبة الحقيقية بين المؤمنين.

### ثانياً - أسباب اختيار الموضوع:-

- 1- خدمة كتاب الله ﷻ.
- 2- اشتغال القرآن الكريم على العديد من الآيات التي تتحدث عن الصحبة ونظائرها.
- 3- وضع حلول لحالة التفكك السائد في المجتمعات الإسلامية عامة وفي الأسرة خاصة.
- 4- تصحيح الفهم الخاطئ لمعنى الصحبة وأهميتها ومقوماتها وحقوقها لدى معظم المسلمين.

### ثالثاً - أهداف الدراسة:-

- 1- تحديد مفهوم الصحبة ونظائرها في القرآن الكريم.
- 2- بيان مقومات صحبة الأخيار و صحبة الأشرار.
- 3- بيان الآثار المترتبة على صحبة الأخيار والأشرار.
- 4- الكشف عن أهم حقوق وواجبات الصحبة.
- 5- تحذير الأخيار من صحبة الأشرار وخطورتها.
- 6- مساعدة المسلمين عامة والأسر خاصة في اختيار الصحبة السليمة.

### رابعاً - الدراسات السابقة:-

تبين للباحثة بعد الاطلاع على الكتب والرسائل, أنه لم يُكتب بالدراسات الإسلامية في موضوع الصحبة, ولكن وجدت رسالة واحدة للباحثة منى صباح من كلية التربية بالجامعة الإسلامية بعنوان: دلالات تربوية للصحبة وفي هذه الرسالة لم تنطرق الباحثة إلا لبعض المفاهيم التربوية المتعلقة بتحقيق الذات بين المعلم والمتعلم, وبعض نماذج الصحبة لأرسطو, ومخيمر, بينما رسالة الباحثة تتعلق بدراسة مفاهيم قرآنية, ودراسة موضوعية للصحبة, ومقوماتها, وآثارها على الفرد والمجتمع مع نماذج للأنبياء, والصحابة وأشرف صحبة هي لقدوتنا ومعلمنا محمد ﷺ, ووجدت الباحثة بعض الكتب في هذا الموضوع مثل: الصحبة والإخوة لأبي البركات العزى, و صحبة رسول الله ﷺ لصالح ابن عبد الله الدروش.

### خامساً - منهج الباحثة:- اتبعت الباحثة منهج التفسير الموضوعي والمتمثلة في الآتى:

- 1- جمع الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع, وكتابتها بالرسم العثماني, وتصنيفها حسب موضوعات البحث.
- 2- عزو الآيات القرآنية المستدل بها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- 3- الرجوع إلى المصادر الأصلية في علم التفسير وعلوم القرآن قديمها وحديثها.
- 4- الاستدلال بالأحاديث النبوية التي تخدم البحث وعزوها إلى مظانها وتخريجها, ونقل حكم العلماء عليها.
- 5- وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب.



6- ربط الآيات بواقع الأمة.

7- الالتزام بإعداد ملخص باللغة العربية و الإنجليزية في نهاية البحث.

8- ترتيب المصادر والمراجع في مجموعات حسب الأحرف الهجائية.

9- إعداد فهرس علمية، وهى:

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

#### سادسا- خطة الدراسة:

تحقيقاً للأهداف والغايات من وراء هذا البحث، قُسمت هذه الدراسة على النحو التالي: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولت فيها الموضوعات التالية:

1- أهمية الدراسة .

2- أسباب اختيار الموضوع .

3- أهداف الدراسة.

4- الدراسات السابقة.

5- منهج الباحثة.

6- خطة الدراسة.

## التمهيد

ويشمل:

أولاً: الصحبة لغة .

ثانياً: الصحبة اصطلاحاً .

ثالثاً: نظائر الصحبة في القرآن الكريم.

- |            |            |               |            |
|------------|------------|---------------|------------|
| 1- الأخ.   | 2- الخليل. | 3- الحواريون. | 4- الرفيق. |
| 5- الصديق. | 6- القرين. | 7- النصير     | 8- الولي . |

## الفصل الأول

### صحبة الأخيار ومقوماتها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صحبة الأخيار:

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: صحبة الأنبياء.

المطلب الثاني: صحبة الوالدين.

المطلب الثالث: صحبة العلماء.

المطلب الرابع: صحبة الأزواج.

المطلب الخامس: صحبة الإخوان.

المطلب السادس: صحبة الجيران.

المبحث الثاني: صحبة أهل الكتاب

المبحث الثالث: مقومات صحبة الأخيار وحقوقها .

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: رابطة التقوى والإيمان.

المطلب الثاني: المنبت الطيب.

المطلب الثالث: حسن المعاملة.

المطلب الرابع: الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات .

المطلب الخامس: العفو عن الزلات والهفوات.

المطلب السادس: الوفاء والإخلاص.

المطلب السابع: الدعاء للصاحب في حياته وبعد مماته.

## الفصل الثاني

### صحبة الأشرار ومقوماتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: صحبة الأشرار: -

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صحبة الشيطان.

المطلب الثاني: صحبة المأ.

المطلب الثالث: صحبة المشركين والكفار.

المبحث الثاني: مقومات صحبة الأشرار: -

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رابطة الضلال والكفر.

المطلب الثاني: وحدة المصير والهدف.

المطلب الثالث: سوء الظن والتجسس.

## الفصل الثالث

### آثار الصحبة

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: آثار صحبة الأخيار على الفرد:-**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاستقامة والصلاح .

المطلب الثاني: التناصح .

المطلب الثالث: التشبث في الشدائد .

المطلب الرابع: غرس الثقة بالله .

**المبحث الثاني: آثار صحبة الأخيار على المجتمع:-**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قوة الترابط بين المسلمين.

المطلب الثاني: تحقيق النصر ورفع المعنويات.

المطلب الثالث: تحويل العداوة إلى مودة .

**المبحث الثالث: آثار صحبة الأشرار على الفرد:-**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الانحراف والضلال .

المطلب الثاني: الخسارة في الدنيا والآخرة .

**المبحث الرابع: آثار صحبة الأشرار على المجتمع:-**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التفكك الأسري.

المطلب الثاني: الانحراف والضلال .

المطلب الثالث: الضعف والهزيمة.

**الخاتمة،** وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة .

الفهارس، وتشتمل على:

- ❖ فهرس الآيات القرآنية.
- ❖ فهرس الأحاديث النبوية.
- ❖ فهرس الأعلام.
- ❖ فهرس المصادر والمراجع.
- ❖ فهرس الموضوعات.

وأخيراً أحمد - الله تعالى - الذى وفقني لإتمام هذا البحث، فما كان من صوابِ فبتوفيقِ الله تعالى وهديه، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله تعالى الهدى والمغفرة.

# التمهيد

ويشمل:

- أولاً: الصحبة لغةً .
- ثانياً: الصحبة اصطلاحاً.
- ثالثاً: نظائر الصحبة في القرآن.
- 1- الأخ.
- 2- الحواريون.
- 3- الخليل.
- 4- الرفيق.
- 5- الصديق.
- 6- القرين.
- 7- النصير.
- 8- الولي.

## التمهيد

أولاً: الصحبة لغةً .

(صحب) الصاد والحاء والباء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مقارنةٍ شيءٍ ومقاربتة. من ذلك الصَّاحِبُ والجمع الصَّحْبُ، كما يقال ركبٌ وركبٌ. ومن الباب: أصحب فلانٌ، إذا انقاد. وأصحبَ الرَّجُلُ، إذا بلغَ ابنُهُ. وكلُّ شيءٍ لاعم شيئاً فقد استصحبه. (1) والصاحب المرافق ومالك الشيء، والقائم على الشيء، والصاحبة الزوجة (2) كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:3] .

والصحبة تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر ولهذا يستعمل في الأدميين خاصة، فيقال صحب زيدٌ عمراً، وصحبه عمرو، ولا يقال صحب النجم النجم أو الكونُ الكونَ، وأصله في العربية الحفظ، ومنه يقال: صحبك الله وسر مصاحباً أي محفوظاً، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّْا يُصْحِبُونَ﴾ [الأنبياء:43] .

وترى الباحثة: أن الصحبة في القرآن الكريم تأتي على خمسة معانى:

- الأول: بمعنى الجنسية، ومنه قوله ﷺ ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: 22] .
- الثاني: بمعنى حقيقة الصُّحْبَةِ، ومنه قوله ﷺ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:40] .
- الثالث: بمعنى السكنى وفراغ البال، ومنه قوله ﷺ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ﴾ [يس: 55] .
- الرابع: بمعنى المرافقة والموافقة، ومنه قوله ﷺ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:9] .
- الخامس: بمعنى التصرف والاستيلاء، ومنه قوله ﷺ ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر:31] .

(1) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (335/3) .

(2) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، (507/1) .

إن لفظة الصحبة ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم بصيغ متنوعة، فمرة بصيغة المفرد ومرة وردت بصيغة الجمع، ومرة بصيغة المضارع وقد ورد ذكرها 69 مرة في القرآن الكريم منها المكي ومنها المدني، وقد وضحت الباحثة ذلك في الجدول التالي:

<b>السور المكية</b>	
﴿... لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ...﴾ [الأنعام: ٧١]	1
﴿...وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]	2
﴿... أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٦]	3
﴿... أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢]	4
﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ...﴾ [الأعراف: ٤٤]	5
﴿...وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦]	6
﴿... أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧]	7
﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ...﴾ [الأعراف: ٤٨]	8
﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ..﴾ [الأعراف: ٥٠]	9
﴿.. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]	10
﴿... أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧]	11
﴿... أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: ٢٣]	12
﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]	13
﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَّالِمِينَ﴾ [الحجر: ٧٨]	14
﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠]	15
﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]	16
﴿..مَنْ أَصْحَابُ الصَّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ [طه: ١٣٥]	17
﴿... وَلَا هُمْ مَنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣]	18
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٥١]	19



﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤]	20
﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٨]	21
﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١]	22
﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٦]	23
﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٥]	24
﴿ ... لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦]	25
﴿ وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ١٣]	26
﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ [يس: ٥٥]	27
﴿ وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَأَصْحَابَ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ [ص: ١٣]	28
﴿ ... إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [الزمر: ٨]	29
﴿ ... أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [غافر: ٦]	30
﴿ ... وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [غافر: ٤٣]	31
﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٤]	32
﴿ ... وَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ... ﴾ [الأحقاف: ١٦]	33
﴿ ... وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾ [ق: ١٢]	34
﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٩]	35
﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [الواقعة: ٨]	36
﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ [الواقعة: ٩]	37
﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٢٧]	38
﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ [الواقعة: ٤١]	39
﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٠]	40
﴿ ... أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التغابن: ١٠]	41
﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠]	42

﴿ إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [الفلم: ١٧]	43
﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن: ٣]	44
﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً... ﴾ [المدثر: ٣١]	45
﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ [المدثر: ٣٩]	46
﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ [البروج: ٤]	47
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ [البلد: ١٩]	48
﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد: ١٨]	49
<b>السور المدنية</b>	
﴿... أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٩]	1
﴿... فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١]	2
﴿... أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٢]	3
﴿... وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩]	4
﴿.. وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧]	5
﴿... أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]	6
﴿... فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]	7
﴿... وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٦]	8
﴿... كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧]	9
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [المائدة: ١٠]	10
﴿... فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٩]	11
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [المائدة: ٨٦]	12
﴿... أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]	13
﴿... وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الرعد: ٥]	14
﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [الحج: ٥١]	15

﴿.. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩]	16
﴿... أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المجادلة: ١٧]	17
﴿..... أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]	18
﴿... مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحة: ١٣]	19
﴿... أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ١٠]	20

وبعد تصنيف الباحثة للسور المكية , والسور المدنية فقد استنتجت الباحثة أن لفظة صحب ومشتقاتها وردت في السور المكية أكثر من السور المدنية, ففي السور المكية (49) آية وفي السور المدنية (20) آية , وهذا يشير إلى أن الصحبة في المرحلة المكية كانت ضرورية جداً؛ لبناء الجيل المؤمن القائم على الاعداد لبناء الدولة المسلمة, لذلك نجد أن الرسول ﷺ آخى بين المهاجرين والانصار .  
أما المرحلة المدنية نجد أن الآيات أقل وذلك؛ لأن مرحلة الاعداد كانت قد تمت فجاءت الآيات لتؤكد المرحلة المكية في بناء الاخوة الاسلامية وتميئتها.

## ثانياً: الصحبة اصطلاحاً.

بعد البحث والمراجعة في الكتب لم تجد الباحثة تعريفاً محدداً أو واضحاً لمعنى الصحبة اصطلاحاً، ولكن من خلال المفردات اللغوية السابقة استنتجت الباحثة أن الصحبة في الاصطلاح: هي عبارة عن علاقة بين شخصين أو أكثر تقوم عند توفر مجموعة من الصفات عند جميع أطرافها (كالصدق، والأمانة، والمحبة، والإخلاص، والإيثار، والنصح)، وكذلك صحبة الأشرار تقوم على ذلك.

## ثالثاً: نظائر الصحبة في القرآن الكريم.

### 1- الأخ:

الأخ وزنه فعلٌ بدلالة قولهم في الجمع آخاء، ويقال: إخوةٌ وأخوةٌ يعني جمع أخ، وإذا حررت القول فإخوةٌ جمع أخ كفتى وفنية وولدٍ وولدةٍ وأخوةٌ اسم للجمع. (1) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10]

الأخ هو الناشئ مع أخيه من منشأ واحد على السواء، المشارك لآخر في الولادة من الطرفين أو أحدهما أو الرضاع، ويستعار لكل مشارك في قبيلة أو دين أو حرفة أو معاملة أو مودة ونحوه من المناسبات. (2)

### 2- الحواريون:

خُلصَانُ الأنبياءِ وتأويله الذين أُخْلِصُوا ونُقُوا من كل عيب. (3) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]

وسموا بالحواريين، لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي يبييضونها. هذا هو الأصل، ثم قيل لكل ناصر حواري. (4) والحواريات: النساء البيض.

(1) المخصص - لابن سيده، (4/ 145).

(2) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، (1/ 43/42).

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر للجزري، (1/ 1079).

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (2/ 116).

3- الخليل:

الخليل: الصديق الخالص، والخلة بالضم: الصداقة والمحبة التي تخلت القلب فصارت خللاً: أي في باطنه (1) عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل». (2) قال تعالى: ﴿وَآخِذْ اللَّهُ بِإِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125]

والخليل: الصديق فعيل بمعنى مفاعل، وقد يكون بمعنى مفعول وإنما قال ذلك؛ لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى، فليس فيها لغيره منسوع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة. وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب واجتهاد، فإن الطباع غالبية، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده، مثل سيّد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه (3) عن ابن عباس ؓ قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ ولكن أخي وصاحبى». (4)

4- الرفيق:

الرفيق: الواحد، وهو بمعنى الجمع (5) قوله تعالى: ﴿... وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]

والرفيق: هو صاحب الذي يلازمك في عمل أو سفر أو غيرهما، وسمى رفيقاً لأنك ترافقه ويرافقك ويستعين كل واحد منكما بصاحبه في قضاء شئونه. وهو مشتق من الرفق بمعنى لين الجانب، ولطف المعاشرة ولم يجمع؛ لأن صيغة فعيل يستوي فيها الواحد وغيره. (6)

5- الصديق:

الصديق صاحب الصادق الودّ، جمع أصدقاء وصدقاء، وقد يستعمل للواحد والجمع والمؤنث فيقال هو صديق وهم صديق وهي صديق وهن صديق. (7) وفي التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿... أَوْ يُبَوِّتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ...﴾ [النور: 61].

(1) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين، (1/ 253).

(2) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ماجاء بأخذ المال بحقه، (ح/ 2378)، (4/ 589) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب .

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري، (2/ 145).

(4) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي لو كنت متخذاً، (ح/ 3456)، (3/ 1338).

(5) تفسير القرآن، للسماعاني، (1/ 446).

(6) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين، (1/ 933).

(7) نفس المصدر السابق، (1/ 511).

6- القرين:

(القرين) المقارن، والمصاحب، والزوج، والبعير المقرون بآخر، والأسير، جمع قرناء. (1)  
 والقرينُ صاحب، وقرينةُ الرجل امرأته. (2)  
 القرين: يكون في الخير والشر، وكلُّ إنسان معه قرين، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثُّه عليه، وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثُّه عليه. (3)  
 وكما في قوله تعالى ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [الصافات: 51]

7- النصير:

النصير في اللغة من نصر والنصير النصر، وجمعه أنصار، كشريف وأشرف، وجمع النصر نصر كصاحب وصحب. (4)  
 ويقال للنصير التبع؛ لأنه يتبعه نصره، ويقال من عذرى من فلان أي من نصيري ونصرتة أعنته (5) والنصير الناصر، ويطلق على الله النصير كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاغْلَمُوا ﴾ [الأنفال: 40].

8- الولي:

الولي: كل من ولي أمراً أو قام به، والنصير، والمحب، والصديق ذكراً وقد يؤنث بالتاء، والحليف، والصهر والجار، والعقيد، والتابع، والمعتق، والمطيع، يقال: المؤمن ولي الله، والمطر يسقط بعد المطر، وولي العهد وارث الملك. وولي المرأة من يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه. وولي اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفايته، والولي جمع أولياء. (6)

(1) نفس المصدر السابق، (2/ 731).

(2) مختار الصحاح للرازي، (1/ 560).

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري، (4/ 81).

(4) مختار الصحاح للرازي، (1/ 688).

(5) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (1/ 332).

(6) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين، (2/ 1058).

# الفصل الأول

## صحبة الأخيار ومقوماتها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صحبة الأخيار.

المبحث الثاني: صحبة أهل الكتاب.

المبحث الثالث: مقومات صحبة الأخيار وحقوقها.

## المبحث الأول صحبة الأخيار

### المطلب الأول: صحبة الأنبياء

أولاً: - صحبة سيدنا إبراهيم عليه السلام (خليل الله).

إن الله سبحانه وتعالى اصطفى إبراهيم عليه السلام، وفضله على كثير من خلقه، حيث كان قوم إبراهيم عليه السلام يعبدون الكواكب، فأنكر عليهم ذلك، وأخذ يدعوهم إلى توحيد الله، علماً بأن إبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وهو النبي الذي ابتلاه الله ابتلاءً عظيماً، فوق قدرة البشر العاديين، ولكنه صبر ووفى.

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾. [النجم:37].

لذلك كرمه الله تعالى تكريماً خاصاً، وجعل ملته الحنيفية هي التوحيد الخالص النقي من الشوائب، ومن فضل الله عليه أنه جعله إماماً للناس، فقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. [البقرة:124].

وجعل في ذريته النبوة والكتاب، كما أنه كان الأب والجدّ لكل الأنبياء من بعده، وأن الله سماه في محكم آياته بالخليل، وهذه التسمية لم ترد إلا له.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:125]

في هذه الآية يبين الله ﷻ مقام إبراهيم عليه السلام وفضله ((وهذا من باب الترغيب في اتباعه؛ لأنه إمام يقتدى به، حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له، فإنه انتهى إلى درجة الخلّة التي هي أرفع مقامات المحبة، وما ذلك إلا لكثرة طاعته لربه))<sup>(1)</sup>، كما وصفه به في قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ

الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم:37]

وكلمة (خليلاً) مأخوذة من خاء ولام ولام، و (الخل) بفتح الخاء هو الطريق في الرمل، وهو ما نسميه في عرفنا مدقاً، وعادة يكون ضيقاً. وحينما يسير فيه اثنان فهما يتكاتفان إن كان بينهما ودّ عال، وإن لم يكن بينهما ودّ، فواحد يمشي خلف الآخر. ولذلك سموا الاثنان الذين يسيران متكاتفين (خليل) فكلاهما متخلل في الآخر أي متداخل فيه.

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (422/2).



والخليل أيضاً هو من يسد خلل صاحبه، وهو الذي يتحدّ ويتوافق مع صديقه في الخلال والصفات والأخلاق. (1)

قال الخازن في تفسيره: ((الخلّة الاختصاص والاصطفاء، وسمي إبراهيم خليلاً لأنه والى في الله، وعادى في الله، وقيل: لأنه تخلّق بأخلاق حسنة وخلال كريمة، وقيل: الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل، وسمي إبراهيم خليل الله لأنه أحبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل، وقيل: الخليل من الخلّة، وهي الحاجة سميت خلّة للاختلال الذي يلحق الإنسان فيها، وسمي إبراهيم خليلاً لأنه جعل فقره وفاقته وحاجته إلى الله تعالى)). (2)

من خلال ما سبق تبين للباحثة أن الصحبة تأتي بمعنى الخلّة، ولكن الخلّة هي أعلى مقامات الصحبة والمحبة، وإنها تأتي أيضاً بمعنى صفاء المودة، والخليل هو الحبيب.

والخلّة هي المحبة الخالية من الشوائب، أما الصحبة قد تنتج عن محبة، ولكن فيها بعض الشوائب كالغيرة مثلاً، فصحبة إبراهيم عليه السلام كانت قائمة على المحبة والمودة وخالية من الشوائب، فهو استحق أن يكون خليلاً وحبيباً لله؛ لأنه كان عبداً لربه منقطعاً إليه وكانت طاعته خالصة لوجه الله، فنال شرف هذه الخلّة لربه عليه السلام.

### ثانياً: صحبة سيدنا يوسف عليه السلام :

لقد كان لسيدنا يوسف عليه السلام فضل عظيم، فقد تحمل الكثير من الشدائد والابتلاءات في حياته، ومن هذه الابتلاءات التي واجهها، إلقاء إخوته له في البئر وهو طفل صغير، وحرمانه من والده وبُعدّه عنه حينما عاش في بيت آخر، ونحن نعلم أن الطفل في هذه المرحلة يكون بحاجة ماسة إلى أن يكون بجوار والديه؛ ليشعر برعايتهما، وسيدنا يوسف عليه السلام حُرِمَ من ذلك وتربّى في بيت العزيز، وابتلي في هذا البيت بأصعب ما يؤلم الإنسان وهو الشرف، فقد كان هذا البلاء أعظم بلاء له ودخل بذلك السجن، ولكنه صبر وتحمل، فهو النبي الداعية إلى الله حتى وهو في سجنه ودعوته للفتيين، وكثير من الناس يفتقر إلى أن يكون له مؤنس في سجنه يصبره على الابتلاء ويقف بجانبه، لذلك كانت صحبة سيدنا يوسف عليه السلام في سجنه مع الفتين صحبة ناجحة، وخير طريق إلى الجنة، وإنها لدرس للمجاهدين الذين يعانون قهر السجن والسجان ليجعلوا من الابتلاء بالسجن مجالاً للدعوة والعبادة والإصلاح.

(1) تفسير الشعراوي، متولي الشعراوي، (5 / 2671 / 2672)، (بتصرف).

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، (1 / 431 / 432).

يقول الله تعالى في صحبته: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ

الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:39].

قال الفخر الرازي في تفسيره ((يريد صاحبي السجن ويحتمل أيضاً لما حصلت مرافقتهم في السجن مدة قليلة أضيفا إليه، وإذا كانت المرافقة القليلة كافية في كونه صاحباً، فمن عرف الله وأحبه طول عمره، أولى بأن يبقى عليه اسم العارف المحب)).<sup>(1)</sup>

وترى الباحثة أن المجاهدين الدعاة المسجونين يفعلون كما فعل سيدنا يوسف عليه السلام، وإنهم لا يضيعون وقتهم هباءً منثوراً، لأن مجتمعنا مجتمع مسلم حريص على نشر الدعوة الإسلامية، وكثير من الدعاة يكتبون الكتب والمؤلفات والدراسات في سجنهم، أو بعد خروجهم من السجن ويكونون سبباً في هداية كثير من الناس، فمن باب أولى أن نحرص على نشر الدعوة الإسلامية ونحن أحرار.

### ثالثاً: صحبة النبي محمد ﷺ لأبي بكر الصديق:

اختلف أهل العلم فيما تثبت به الصحبة وفي مستحق اسم الصحبة، وقال بعضهم: أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً ومات على الإسلام، وقال ابن حجر العسقلاني: هذا أصح ما وفقت عليه في ذلك. فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته له ومن قصرت، ومن روى عنه ومن لم يرو عنه، ومن غزا معه ومن لم يغز معه، ومن رآه رؤية ولو من بعيد ومن لم يره كعارض كالعمرى.<sup>(2)</sup>

### شروط صحة الصحبة:

يشترط في صحة الصحبة: طول الاجتماع والرواية عنه معاً، وقيل: يشترط أحدهما، وقيل: يشترط الغزو معه، أو مضي سنة على الاجتماع، لأن لصحبة النبي شرفاً عظيماً لا يُنال إلا باجتماع طويل يظهر فيه الخلق المطبوع عليه الشخص، كالغزو المشتمل على السفر الذي هو قطعة من العذاب.<sup>(3)</sup>

لقد رافق النبي ﷺ عدداً كبيراً من الصحابة في أغلب فترات حياته بعد الدعوة، وساعد بعضهم على إيصال رسالة الإسلام، ودافعوا عنه في مرات عديدة، وبعد وفاته ﷺ قام الصحابة بتولي الخلافة في الفترة التي عُرفت بعهد الخلفاء الراشدين، وكان أولهم أبو بكر الصديق ثم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وكان من أقرب أصحابه صحبته ﷺ لأبي بكر الصديق، حيث إن أبا بكر رضي الله عنه

(1) التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) للرازي، (18 / 457).

(2) تقريب التهذيب (15/1) لابن حجر العسقلاني.

(3) فتح الباري (445/1) لابن حجر العسقلاني.

صحب النبي ﷺ منذ إسلامه إلى وفاته ولم يفارقه أبداً، وشارك معه في غزواته، كما أنه فداه بروحه وماله، وهاجر معه إلى المدينة، ولم يتركه أبداً طيلة حياته، ونال بذلك شرف الصحبة معه في الغار، حيث قال الله في كتابه العزيز: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:40]

وكان أبو بكر الصديق أحب صاحب للرسول ﷺ بدليل قوله ﷺ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي». (1)

فهذا الحديث يبين أن الرسول ﷺ يحب أبا بكر محبة شديدة، ومن حب الصحاب لصاحبه حرصه عليه حتى في أصعب الشدائد، عندما قال له: لا تحزن إن الله معنا، أي: لا تحزن يا صاحبي فإن الله في معيتنا، وهنا تظهر حقيقة الصحبة؛ لأن من مقومات الصحبة الصالحة، تثبيت الصحاب لصاحبه في الشدائد، ورفع الروح المعنوية له.

صحبة النبي محمد ﷺ لقومه في مكة:

يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف:184]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:46]

ترى الباحثة في هاتين الآيتين أن الله ﷻ وصف سيدنا محمد ﷺ بالصحاب لقومه، مع أن قومه كانوا يعادونه وينكرون دعوته، وفي هذه الآيات أيضاً توبيخ وتقريع لهم، فقد عاش سيدنا محمد ﷺ بينكم، وتربى في حجركم منذ أن كان طفلاً صغيراً، وتربيتم معه فترة طويلة، ووصفتموه بالصادق الأمين، وعندما كبر ونال شرف الرسالة اتهمتموه بالسحر والجنون والكهانة، ورغم ذلك كان حريصاً عليكم ومحباً لكم، مع أن كل ما يريده هو هدايتكم وإرشادكم لطريق الحق.

قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:6].

وقال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:46].

(1) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي لو كنت، (ح3456)، (3/1338).

((قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ، أي: إنما أمركم بواحدة، وهي: أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثِّيَ وَفِرَادَى تُمْ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ، أي: تقوموا قياماً خالصاً لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضاً: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضاً، تُمْ تَتَفَكَّرُوا، أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك؛ ولهذا قال تعالى: أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثِّيَ وَفِرَادَى تُمْ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ)). (1)

وقال أيضاً: ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 184]. ((أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ، أي محمد ﷺ. مِنْ جَنَّةٍ، أي: أو لَمْ يُعْمَلُوا أَفْكَارَهُمْ، وينظروا: هل في صاحبهم الذي يعرفونه ولا يخفى عليهم من حاله شيء، هل هو مجنون؟ فلينظروا في أخلاقه وهدية، ودله وصفاته، وينظروا في ما دعا إليه، فلا يجدون فيه من الصفات إلا أكملها، ولا من الأخلاق إلا أتمها، ولا من العقل والرأي إلا ما فاق به العالمين، ولا يدعو إلا لكل خير، ولا ينهى إلا عن كل شر.

أفبهذا يا أولي الألباب من جنة؟ أم هو الإمام العظيم والناصح المبين، والماجد الكريم، والرعوف الرحيم؟ ولهذا قال: إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ. أي: يدعو الخلق إلى ما ينجيهم من العذاب، ويحصل لهم الثواب)) (2)

(( وقال: صَاحِبِكُمْ: لينبئهم على ما يعرفونه منه، من الصدق والهداية، وأنه لا يخفى عليهم أمره، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: 3]. أي: ليس نطقه صادراً عن هوى نفسه)). (3)

يقول سيد طنطاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ ((وحق النجم الذي ترونه بأعينكم - أيها المشركون - عند غروبهِ وأقوله، وعند رجوعنا به للشياطين. إن محمداً ﷺ الذي أرسلناه إليكم - إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، ما ضل عن طريق الحق في أقواله وأفعاله، وما كان رأيه مجانبا للصواب في أمر من الأمور، وما ينطق بنطق صادر عن هوى نفسه ورأيه، وإنما ينطق بما نوحيه إليه من قرآن كريم، ومن قول حيكم، ومن توجيه سديد)). (4)

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (6/ 525).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (1/ 310).

(3) نفس المصدر السابق، (1/ 818).

(4) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي، (14/ 58).

## المطلب الثاني: صحبة الوالدين

لقد أمر الله ﷺ ببر الوالدين، وقرن طاعته بطاعتهما بعده مباشرة، وأكد القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. [الإسراء: 23-24].

وقد قدم الله ﷺ بر الوالدين على الهجرة، فعن عبد الله بن عمرو ؓ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: «أحيي والدك؟ قال: نعم، قال ففيهما فجاهد».<sup>(1)</sup>

وقد حذر الله ﷺ من عقوق الوالدين ونهى الرسول ﷺ عنه، فعن عبد الرحمن بن أبي بكره (2) عن أبيه - رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ: «أنا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً قالوا بلى يا رسول الله قال الشراك بالله وعقوق الوالدين وقال وجلس وكان متكئاً فقال أيا وقول الزور قال فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت».<sup>(3)</sup>

وإن الله تعالى غرس في قلوب الوالدين الرأفة والحنان نحو أبنائهم، فالوالدان يخدمان الابن حتى يكبر، ويصير هو إلى القوة حين يصيران هما إلى الضعف، وإلى الحاجة لمن يخدمهما. وأن أعظم صحبة للإنسان هي صحبة الوالدين، وهي صحبة يرضي بها الإنسان ربه، ويرجو بها حسن الثواب في الآخرة.

وترى الباحثة أن صحبة الوالدين هي أن يحاول الإنسان أن يرد بعض الجميل وفاءً لوالديه ويعمل على رعايتهما، وبخاصة إذا كبرا في السن، واحتاجا إلى العون والرعاية، فعن أبي هريرة ؓ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال «أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال ثم من قال ثم أبوك».<sup>(4)</sup>

(1) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، (ح5627)، (5/2228).

(2) عبد الرحمن بن أبي بكره الثقفي: أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة. تابعي، من رجال الحديث الثقات، ولاء علي ابن أبي طالب على بيت المال، (الأعلام للزركلي 3/302/340).

(3) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، (ح2510)، (2/939).

(4) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، (ح562)، (5/2227).

وأن صحبة الوالدين هي طاعة الله ﷻ فهو الذي أمرنا بطاعتها، وعدم رفع الصوت عليهما، وخفض الجناح من باب الأدب والتواضع لهما، قال تعالى: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. [الإسراء: 24].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾

[البقرة: 83]

قال الرازي: ((أردف عبادة الله بالإحسان إلى الوالدين لوجوه:

**أولها:** أن نعمة الله تعالى على العبد أعظم، فلا بد من تقديم شكره على شكر غيره، ثم بعد نعمة الله فنعمة الوالدين أعم النعم، وذلك لأن الوالدين هما الأصل والسبب في كون الولد ووجوده، كما أنهما منعمان عليه بالتربية، وأما غير الوالدين فلا يصدر عنهم الإنعام بأصل الوجود، بل بالتربية فقط، فثبت أن إنعامهما أعظم وجوه الإنعام بعد إنعام الله تعالى.

**وثانيها:** أن الله سبحانه هو المؤثر في وجود الإنسان في الحقيقة، والوالدان هما المؤثران في وجوده بحسب العرف الظاهر، فلما ذكر المؤثر الحقيقي أردفه بالمؤثر بحسب العرف الظاهر.

**وثالثها:** أن الله تعالى لا يطلب بإنعامه على العبد عوضاً بل المقصود إنما هو محض الإنعام والوالدان كذلك، فإنهما لا يطلبان على الإنعام على الولد عوضاً مالياً ولا ثواباً، فإن من ينكر الميعاد يحسن إلى ولده ويربيه، فمن هذا الوجه أشبه إنعامهما إنعام الله تعالى .

**رابعهما:** أن الله تعالى لا يمل من الإنعام على العبد، ولو أتى العبد بأعظم الجرائم، فإنه لا يقطع عنه مواد نعمه، وروادف كرمه، وكذا الوالدان لا يملان الولد ولا يقطعان عنه مواد منحهما وكرمهما، وإن كان الولد مسيئاً إلى الوالدين .

**خامسها:** كما أن الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح وطلب الزيادة ويصونه عن البخس والنقصان، فكذا الحق ﷻ متصرف في طاعة العبد فيصونها عن الضياع، ثم إنه سبحانه يجعل أعماله التي لا تبقى كالشيء الباقي أبد الأباد كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. [البقرة: 83].

سادسها: أن نعمة الله وإن كانت أعظم من نعمة الوالدين، ولكن نعمة الله معلومة بالاستدلال ونعمة الوالدين معلومة بالضرورة، إلا أنها قليلة بالنسبة إلى نعم الله فاعتدلا من هذه الجهة والرجحان لنعم الله، فلا جرم جعلنا نعم الوالدين كالتالية لنعم الله تعالى)). (1)

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾. [الإسراء: 23].

فالقضاء في الآية ليس بمعنى الحكم، وإنما هو الأمر والفرض واللزوم والواجب، وهذا من باب التأكيد على طاعتها؛ لذلك على الإنسان أن يحرص على برهما واحترامهما حتى لو كانا مشركين، فمن باب أولى إذا كانا مؤمنين.

فقد قال الله ﷻ: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ \* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. [لقمان: 14-15].

فهذه الآية دلالة واضحة وصريحة على التعامل مع الوالدين الكافرين أو المشركين بالإحسان إليهما، لأن الله وصى بذلك وأكد على صحبتتهما بالمعروف.

وإن المجاهدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ... ﴾ لا تعني مجرد كلمة عَرَضًا فيها عليك أن تشرك بالله، إنما حدث منهما مجهود ومحاولات لجذبك إلى مجاراتهما في الشرك بالله، فإن حدث منهما ذلك فنصيحتي لك ﴿ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [لقمان: 15].

ثم إياك أن تتخذ من كفرهما ودعوتهما لك إلى الكفر سبباً في اللدد معهما، أو قطع الرحم، فحتى مع الكفر يكون لهما حق عليك. (2)

فكفر الوالدين أو إشراكهما بالله لايعنى لك السماح باهانتها أو إهمالهما، لأن الله سبحانه وتعالى سيسأل كل إنسان يوم القيامة أن صنع معروف معهما أم لا؟

وقد فرق المفسرون بين الحُسن والإحسان في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. [العنكبوت: 8].

(1) مفاتيح الغيب للرازي، (3/ 586).

(2) تفسير الشعراوي، متولي شعراوي، (6/ 7271).

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: 15].

والفرق بين المعنيين: ﴿ ..حُسْنًا.. ﴾. أي: أوصيك بأن تعمل لهم الحُسْنَ ذاته، كما تقول: فلان عادل، وفلان عدل، فوصى بالحسَن ذاته. أما في: ﴿ ..إِحْسَانًا... ﴾ فوصية بالإحسان إليهما. لكن، لماذا وصى هنا بالحسَن ذاته، ووصى هناك بالإحسان؟

قالوا: وصى بالحسَن ذاته في الآية التي تذكر اللدد الإيماني، حيث قال: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا... ﴾ [العنكبوت: 8] والكفر يستوجب العداوة والقطيعة، ويدعو إلى الخصومة، فأكد على ضرورة تقديم الحسَن إليهما؛ لا مجرد الإحسان؛ لأن الأمر يحتاج إلى قوة تكليف .

أما حين لا يكون منهما كفر، فيكفي في برهما الإحسان إليهما؛ لذلك يقول سبحانه: ﴿ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا... ﴾ [لقمان: 15] .

والحق سبحانه حين يُوصي بالوالدين، وهما السبب المباشر في الوجود إنما ليجعلهما وسيلة إيضاح لأصل الوجود، فكما أوصاك بسبب وجودك المباشر وهما الوالدان، فكذلك ومن باب أولى يوصيك بمن وهب لك أصل هذا الوجود .

فكأن الحق سبحانه يُؤنس عباده بهذه الوصية، ويلفت أنظارهم إلى ما يجب عليهم نحو واهب الوجود الأصلي، وما يستحقه من العبادة ومن الطاعة؛ لأنه سبحانه الخالق الحقيقي، أما الوالدان فهما وجود سببي .

هذا إيناس بالإيمان، بيَّنه تعالى في قوله: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء: 36]. لأنهما سبب الوجود الجزئي، والله تعالى سبب الوجود الكلي. (1)

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: 15]

(1) تفسير الشعراوي، متولي شعراوي، (6/ 6952).



((أي: صاحبهما صحاباً معروفاً يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم والمروءة، كإطعامهما واكسائهما، وعدم جفائهما وانتهاهما، وعيادتهما إذا مرضا، ومواراتهما إذا ماتا، وذلك في الدنيا؛ لتهوين أمر الصحبة والإشارة إلى أنها في أيام قلائل وشيكة الانقضاء فلا يضر تحمل مشقتها لقلّة أيامها وسرعة انصرامها؛ وقيل: للإشارة إلى أن الرفق بهما في الأمور الدنيوية دون الدينية)).<sup>(1)</sup>

وقال القرطبي في تفسيره: ((أي صاحبهما معروفاً، يقال: صاحبه مصاحبة ومصاحباً ومعروفاً أي ما يحسن، والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال، إن كانا فقيرين وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام برفق)).<sup>(2)</sup> وقد قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق للنبي ﷺ وقد قدمت عليها خالتها وقيل أمها من الرضاة فقالت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم». <sup>(3)</sup>

### المطلب الثالث: صحبة العلماء

إن للعلم أهمية كبيرة في حياتنا، فهو أفضل العبادات، وأجل القربات، وهو طريق من طرق الجنة وقد تضافرت النصوص الشرعية في بيان فضله، وإن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1].

وإن الله سبحانه وتعالى نفى المساواة بين العالم والجاهل، فقال تعالى: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

ولقد بين الله تعالى مكانة العلماء الذين هم شرف هذه الأمة، وقرن شهادتهم بشهادته في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. [آل عمران: 18].

ولقد حرص الإسلام على مصاحبة أهل العلم ومجالستهم، وأخذ العلم عنهم بما ينفع الأمة، ويخدم أبنائها، ومن هذا الحرص صحبة سيدنا موسى ﷺ للخضر.

فقد كان سيدنا موسى ﷺ متواضعاً في طلب العلم لمن هو أعلم منه، ولم يتكبر بعلمه عليه، وإنما أراد أن يستزيد من العلم، ولهذا مهما كان عند الإنسان من علم، فإنه لا يجوز له أن يتباهى أو يتفاخر بعلمه، وإنما عليه أن ينفع غيره، ويخدم دينه ووطنه، ((وأن العلم الذي استفاده موسى ﷺ من الخضر، هو علم من الله وليس مكتسباً؛ لأن العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان:

(1) روح المعاني للألوسي، (11/ 86).

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (14/ 65).

(3) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، (1003)، (2/ 696).

- 1- علم مكتسب يدركه العبد بجهدہ واجتهاده.
- 2- علم لدني يهبه الله لمن يمنّ عليه من عباده لقوله تعالى: ﴿...وَعَلَّمَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلِمًا...﴾ [الكهف:65].

ومن أهم الفوائد التربوية لصحبة موسى ومعلمه الخضر:

1- التآدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، لقول موسى عليه السلام: ﴿...هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا...﴾ [الكهف:66]، فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنت هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه. بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعون أنهم يتعاونون معه، بل ربما ظنّ أحدهم أن يعلم معلمه، وهو جاهل جدًا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم.

2- تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى - بلا شك - أفضل من الخضر.

3 - تعلم العالم الفاضل، للعلم الذي لم يتمهر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة، فإن موسى عليه السلام من أولي العزم من المرسلين، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن هذا في العلم الخاص، كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا حرص على التعلم منه. فعلى هذا، لا ينبغي للفقير المحدث إذا كان قاصراً في علم النحو، أو الصرف، أو نحوهما من العلوم أن لا يتعلمه ممن مهر فيه، وإن لم يكن محدثاً ولا فقيهاً.

4- إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله تعالى: ﴿...تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا...﴾ [الكهف:66] أي: مما علمك الله تعالى.

5- أن العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطريق الخير، وتحذير من طريق الشر أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك فيما أن يكون ضاراً أو ليس فيه فائدة لقوله تعالى: ﴿... أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا...﴾ [الكهف:66]

6- أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، ليس بأهل لتلقي العلم. فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، مثل قول الخضر معتزلاً لموسى بذكر المانع في الأخذ عنه، إنه لا يصبر معه.

7- أن السبب الكبير لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علماً وخبرة بذلك الأمر، الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدره أو لا يدري غايته ولا نتيجته ولا فائدته، ولا ثمرته، ليس عنده سبب الصبر لقوله تعالى: ﴿..وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا...﴾ [الكهف:68]. فجعل الموجب لعدم صبره، عدم إحاطته خبراً بالأمر .

8- أن المعلم إذا رأى المصلحة في إرشاده للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها فإن المصلحة تتبع. كما إذا كان فهمه قاصراً أو نهاه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها أو لا يدركها ذهنه أو يسأل سؤلاً لا يتعلق بموضع البحث.

9- أنه ينبغي للصاحب ألا يفارق صاحبه في حال من الأحوال، ويترك صحبته حتى يتبعه ويعذر منه كما فعل الخضر مع موسى.

10- أن موافقة صاحب لصاحبه في غير الأمور المحذورة مدعاة وسبب لبقاء الصحبة وتأكيدا، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة.

وعلى التلميذ أن يسعى إلى المعلم، لا أن يسعى المعلم إليه، فهذا أكرم للعلم والمعلم والمتعلم، فالعلم إن جاء سهل المتناول زهد المتعلم فيه، وأعظم للمعلم في عين المتعلم أن يسعى الأخير إلى الأول ليعرف قدره وقدر ما يحمله، فيتعلق بهما.

ونرى الإصرار العجيب على لقاء المعلم والنهل من علمه في قوله تعالى: ﴿..وَإِذْ قَالَ

مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا..﴾ [الكهف:60] فهو مصمم على بذل الجهد ليصل إلى مبتغاه - لقاء الأستاذ في المكان المنشود - ولو أمضى عمره يبحث عنه أو أمضى حقباً<sup>(1)</sup>.

يقول سيد طنطاوي: في تفسير قوله تعالى: ﴿..قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا..﴾

[الكهف:72] ((ألم أقل لك أنت يا موسى لا لغيرك على سبيل التأكيد والتوثيق: إنك لن تستطيع معي صبراً، لأنك لم تحط علما بما أفعله .

ويراجع موسى نفسه، فيجد أنه قد خالف ما اتفق عليه مع الرجل الصالح مرتين، فيبادر

بإخبار صاحبه أن يترك له فرصة أخيرة فيقول تعالى على لسانه: ﴿..قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ..﴾

[الكهف:76] أيها الصديق. عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا، أي: بعد هذه المرة الثانية. فلا تصاحبني، أي: فلا

تجعلني صاحباً أو رفيقاً لك، فإنك قد بلغت من لَدُنِّي عُدْرًا، أي: فإنك قد بلغت الغاية التي تكون معذورا بعدها في فراقني، لأنني أكون قد خالفتك مراراً .

وهذا الكلام من موسى عليه السلام يدل على اعتذاره الشديد للخضر، وعلى شدة ندمه على ما

فرط منه، وعلى الاعتراف له بخطئه<sup>(2)</sup>.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (1/ 848/ 485)، (بتصرف).

(2) التفسير الوسيط، (8/ 557).

وترى الباحثة أن صحبة العلماء من أهم أنواع الصحبة، لما لها من فوائد عظيمة في حياة الفرد والمجتمع، وأن حرص صاحب على صاحبه وخوفه عليه والاعتذار له، من أهم الدعائم التي تقوي الصحبة، وتجعلها متماسكة إذا كان قوامها المحبة، والرحمة، واللين، واللطف، والمشاورة، وأن الله تعالى يوفق الذي يخرج للطاعة أكثر مما يخرج لمصلحة نفسه، ولذلك لما خرج موسى لطلب العلم لم يجد مشقة ولا نصيباً.

### المطلب الرابع: صحبة الأزواج

إن الله ﷻ خلق آدم وحيداً وأعطاه كل ما يريده، ولكن الإنسان إذا ملك كل شيء لوحده، لم يشعر بمذاق الحياة، إلا إذا شاركه شخص آخر يواسيه ويتعاون معه، لذلك خلق الله ﷻ حواء لتشاركه الوحدة التي كان يعيشها، فسبحان الخالق العالم بمصالح العباد، فجعل له زوجة ومسكناً، فإن مقصد الزواج هو السكن والراحة كما قال الله في كتابه العزيز: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ﴾. [الرُّوم: 21].

((فإن المودة وحدها أصرة عظيمة، وهي أصرة الصداقة والأخوة وتفاريعهما، والرحمة وحدها أصرة منها الأبوة والبنوة، فما ظنكم بأصرة جمعت الأمرين وكانت بجعل الله تعالى وما هو بجعل الله فهو في أقصى درجات الإتيان)).<sup>(1)</sup>

إن القانون العام لانتظام المعاشرة هو الوفاق في الطباع والأخلاق والأهواء والأميال، وقد وجدنا المعاشرة نوعين:

**النوع الأول:** معاشرة حاصلة بحكم الضرورة، وهي معاشرة النسب، المختلفة في القوة والضعف، بحسب شدة قرب النسب وبعده كمعاشرة الآباء مع الأبناء، والإخوة بعضهم مع بعض، وأبناء العم والعشيرة، واختلافها في القوة والضعف يستتبع اختلافها في استغراق الأزمان، فنجد في قصر زمن المعاشرة، عند ضعف الأصرة، ما فيه دافع للسامة والتخالف الناشئين عما يتطرق إلى المتعاشرين من تنافر في الأهواء والأميال، وقد جعل الله في مقدار قرب النسب تأثيراً في مقدار الملاءمة؛ لأنه بمقدار قرب النسب، يكون التئام الذات مع الأخرى أقوى وأتم، وتكون المحاكاة والممارسة والتقارب أطول، فنشأ من السببين الجبلي، والاصطحابي، ما يقوي اتحاد النفوس في الأهواء والأميال بحكم الجبلة، وحكم التعود والألفة، وهكذا يتباعد السببان بمقدار ما يتباعد النسب.

**النوع الثاني:** معاشرة بحكم الاختيار وهي معاشرة الصحبة والخلة والحاجة والمعاونة، وما هي إلا معاشرة مؤقتة تطول أو تقصر، وتستمر أو تغيب، بحسب قوة الداعي، وبحسب استطاعة

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور، (1/ 644).

الوفاء بحقوق تلك المعاشرة، والتقصير في ذلك، والتخلص من هذا النوع ممكن إذا لم تتحد الطباع. ومعاشرة الزوجين في التنويع، هي من النوع الثاني، وفي الآثار محتاجة إلى آثار النوع الأول، وينقصها من النوع الأول سببه الجبلي؛ لأن الزوجين يكثر ألا يكونا قريبين وسببه الاصطحابي، في أول عقد التزوج حتى تطول المعاشرة ويكتسب كل من الآخر خلقه، إلا أن الله تعالى جعل في رغبة الرجل في المرأة إلى حد أن خطبها، وفي ميله إلى أن يراها، مذ انتسبت به واقترنت، وفي نيته معاشرتها معاشرة طيبة، وفي مقابلة المرأة الرجل بمثل ذلك ما يغرز في نفس الزوجين نوايا وخواطر شريفة وثقة بالخير، تقوم مقام السبب الجبلي، ثم تعقبها معاشرة وألفة، تكمل ما يقوم مقام السبب الاصطحابي، وقد أشار الله تعالى إلى هذا السر النفساني الجليل بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: 21] (1)

كما أن الله ﷻ أمر الزوج بمعاشرة زوجته بالمعروف في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19] كما أن الزوجة عليها أن تقابل هذا المعروف بمثله أو أحسن منه، فإن المعاشرة من طرف الزوج لا تكفي، فمبادلة الطرفين لبعضهما تزيد من الألفة والرحمة المودة، وقد فسر ابن المنذر المعاشرة بالمعروف في قوله تعالى: ﴿...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..﴾ [النساء: 19] هي الصحبة الصالحة والكسوة والرزق المعروف. (2)

((أي يجب عليكم أيها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نساءكم بأن تكون مصاحبتكم ومخالطتكم لهن بالمعروف الذي تعرفه، وتألفه طباعهن، والمعاشرة أيضاً هي المشاركة والمساواة)). (3)

وقد وصف الله ﷻ الزوجة بالصاحبة في قوله تعالى: ﴿..وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ..﴾ [النساء: 36]. قال ابن عاشور في تفسيره: ((إن المراد بالصاحبة الزوجة)). (4)

وترى الباحثة أن صحبة الأزواج صحبة جميلة، وخاصة عندما تبوح الزوجة لزوجها بأسرارها دون ملل أو خوف، وتشعر بالراحة والطمأنينة والرعاية من زوجها عندما يحافظ عليها، ويساعدها في حل مشاكلها، وكذلك الزوج عندما يذكر لزوجته ما يجول بخاطره من فرح أو حزن ويشعر بالسعادة عندما يجد الزوجة المعينة له، والتي دائماً تحرص على راحته، فبال تأكيد ستكون حياة سعيدة ناجحة شعارها أبناء صالحين يكونون قدوة في المجتمع بإذن الله.

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور، (1/ 459/ 460).

(2) تفسير القرآن لابن المنذر، (2/ 613).

(3) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (4/ 473/ 374).

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور، (5/ 51).

## المطلب الخامس: صحبة الإخوان

لقد راعى الإسلام حق الإخوة، وهذا الحق من الصلة والبر يؤسس ابتداءً من الأسرة، فالأب والأم ينبغي عليهما التأكد على هذا الحق، وإن غرسه في نفوس الأبناء منذ الصغر كفيلاً بإذن الله تعالى أن يكون هذا البر ملازماً لهم في حياتهم، وإن تفضيل بعض الأبناء على بعض، ومنح أحدهما ميزة ليست لإخوانه أو أخواته، وخاصة إذا تعددت الزوجات هذا كله مظنة كبيرة لإفساد العلاقة بينهما.

ولقد فطن الحبيب المصطفى ﷺ لهذا الداء، فعن النعمان بن بشير (1) - قال: سألت أُمِّي أَبِي بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَوَهَبَهَا لِي، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تَشْهَدَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَنَا غُلَامٌ، فَأَتَى بِي النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ بِنْتُ رَوَاحَةَ سَأَلَتْنِي بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ لِهَذَا، قَالَ: «أَلَيْكَ وَوَلَدٌ سِوَاهُ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَرَاهُ»، قَالَ: لَا تَشْهَدْنِي عَلَى جَوْرٍ» (2)

لذلك فإن صحبة الإخوة صحبة عظيمة لها تأثيرها في النفوس، وهي ثلاثة أنواع:

**النوع الأول:** إخوة الدين مع النسب مثل إخوة يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿..وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..﴾ [يوسف:58]

**النوع الثاني:** إخوة الدين بدون نسب في قوله تعالى: ﴿..إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..﴾ [الحجرات:10].

**النوع الثالث:** إخوة نسب بدون دين مثل قابيل وهابيل في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:28].

وترى الباحثة أن النوع الأول والثاني أفضل؛ لأن الإنسان لو كان أخوه بالنسب كافراً، سيخسر في الدنيا والآخرة، أما لو كان أخوة في الدين مؤمناً سيكون له عوناً وصاحباً في الدنيا وسيفوز بالآخرة.

وقد أكد القرآن الكريم على الأخوة الإيمانية، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]، وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ» (3)

(1) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الله المدني قال أبو داود: قلت لأحمد: زعم الزبير أن النعمان بن بشير كان ابن ثمان سنين حين مات النبي صلى الله عليه وسلم فأكرهه. وقال: النعمان يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أشياء حفظها. (موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله 4/16).

(2) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب لا يشهد جور إذا شهد، (ح265)، (3/171).

(3) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، (ح467)، (1/182).

وإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿..فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ...﴾ [البقرة:178] نلاحظ النقلة من غليان الدم إلى العفو. ثم المبالغة في التحنن، كأنه يقول: لا تتس الأخوة الإيمانية ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:178].

وساعة يقول الحق كلمة « أخ » فانظر هل هذا الأخ اشترك في الأب؟ مثل قوله تعالى: ﴿..وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..﴾ [يوسف:58].

ثم يرتقي بالنسب الإيماني إلى مرتبة الأخوة الإيمانية، فيقول: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، أي: إياكم أن تجعلوا النقاء النسب المادي دون التقائكم في القيم العقائدية، والأصل في الأخ أن يشترك في الأب مثل قوله تعالى ﴿..وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ..﴾ [يوسف:58] فإن كانوا إخوة من غير الأب يسمهم إخواناً، فإن ارتقوا في الإيمان يسمهم إخوة. وعندما وصفهم بأنهم إخوان قال: ﴿...فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴾ [آل عمران:103].

لقد كانت بينهم حروب وبغضاء وشقاق، لم يصفهم بأنهم إخوة؛ لأنهم لازالوا في الشحناء، فوصفهم بأنهم إخوان، وبعد أن يختمر الإيمان في نفوسهم يصبحون إخوة.<sup>(1)</sup>

ومن الآيات الدالة على أن الرابطة الحقيقية هي الدين، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22]

إذ لا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر، فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن النداء برابطة أخرى غير الإسلام كالعصبية المعروفة بالقومية لا يجوز، ولا شك أنه ممنوع بإجماع المسلمين.<sup>(2)</sup>

(1) انظر تفسير الشعراوى، متولى الشعراوى، (3 / 1662).

(2) انظر أضواء البيان للشنقيطى، (7 / 557).

## المطلب السادس: صحبة الجيران

وصى الله ﷻ بحق الجار، وأكد عليه في كثير من آيات القرآن، حيث قال في محكم تنزيله:  
 ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي  
 الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ  
 مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:36]

الجوار ضرب من ضروب القرابة فهي قراب بالنسب، وهو قرب بالمكان والسكن، وقد  
 يأنس الإنسان بجاره القريب، ما لا يأنس بنسيبه البعيد، ويحتاجان إلى التعاون والتناصر ما لا يحتاج  
 الأنساب الذين تتأدت ديارهم، فإذا لم يحسن كل منهما بالآخر لم يكن فيهما خير لسائر الناس، وقد  
 اختلف المفسرون في الجار ذي القربى، والجار الجنب فقال بعضهم: الأول هو القريب منك  
 بالنسب، والثاني هو الأجنبي لا قرابة بينك وبينه، وقال بعضهم: الأول الأقرب منك داراً، والثاني من  
 كان أبعد مزاراً، وقيل: إن ذا القربى من كان قريباً منك ولو بالدين، والأجنبي من لا يجمعك به دين  
 ولا نسب. (1)

والصاحب بالجنب وهو الذي صحبتك بأن حصل بجنبك إما رقيقاً في سفر، وإما جاراً  
 ملاصقاً، وإما شريكاً في تعلم أو حرفة، وإما قاعداً إلى جنبك في مجلس أو مسجد، أو غير ذلك من  
 أدنى صحبة التأممت بينك وبينه، فعليك أن ترعى ذلك الحق. (2)

والجار ذي القربى، أي: القريب جواره، وقيل: هو من له مع الجوار في الدار قرب في النسب.  
 والجار الجنب، أي: المجانب، وهو مقابل للجار ذي القربى، والمراد من يصدق عليه مسمى الجوار  
 مع كون داره بعيدة، وفي ذلك دليل على تعميم الجيران بالإحسان إليهم سواء كانت الديار متقاربة  
 أو متباعدة، وعلى أن الجوار حرمة مرعية مأمور بها. وفيه رد على من يظن أن الجار مختص  
 بالملاصق دون من بينه وبينه حائل، أو مختص بالقريب دون البعيد. وقيل: إن المراد بالجار الجنب  
 هنا: هو الغريب. وقيل: هو الأجنبي الذي لا قرابة بينه وبين المجاور له. (3)

وقد حث الإسلام على الإحسان في معاملة الجار ولو غير مسلم، فعن عائشة - رضي الله  
 عنها - عن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورته». (4)

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (5/ 75).

(2) مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير للرازي، (10/ 77).

(3) فتح القدير للشوكاني، (1/ 536).

(4) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، (ح6014)، (8/ 10).



وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» (1)

وتحديد الجوار متروك إلى العرف، وحدده الحسن البصري بأربعين جاراً من كل جانب من الجوانب الأربعة.

وإكرام الجار له مظاهر عديدة منها: مواساته إن كان فقيراً، ومنها حسن العشرة، وكف الأذى عنه، ومنها إرسال الهدايا إليه، ودعوته إلى الطعام، وزيارته وعيادته ونحو ذلك. (2)

فهذه الآيات والأحاديث دلالة واضحة على صحبة الجيران، ولو كانوا كافرين، فعلى الإنسان أن يحرص على إعطائهم حقوقهم، كما أمر الله ورسوله بذلك، وأن صحبة الجيران قد تنفع أكثر من أي صحبة أخرى، فإن الجار لو شارك جاره في أفراحه وأحزانه ونام وجاره وهو شبهان سيسود المجتمع والألفة والمحبة. فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ». (3)

(1) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، (ح1944)، (4/333)، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(2) التفسير المنير للزحيلي، (5/67/66).

(3) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليهما، (ح2625)، (4/2025).

## المبحث الثاني

### صحبة أهل الكتاب

نزل القرآن الكريم لتنظيم علاقة الإنسان بربه، وبأخيه الإنسان مسلماً أو كافراً، وبالكون الذي حوله، ووضع لذلك منهجاً متكاملًا، وقواعد كلية صالحة في كل زمان ومكان، لما لها من قابلية للتطوير والمعاصرة مع الحفاظ على الأصالة والثوابت.

إن الإسلام دين سلام، وحب، وعقيدة، ونظام، يستهدف أن يظل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجاً، وأن يجمع الناس تحت لواء الله أخوة متعارفين متحابين.

وليس هنالك من عائق يحول دون ذلك، إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله.

فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة متطوع بها، كذلك وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود بالنفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة؛ انتظاراً لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينطووا تحت لوائه الرفيع، ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس فتتجه هذا الاتجاه المستقيم .

#### مبادئ الإسلام في التعامل مع أهل الكتاب:

##### 1- وجوب العدل مع أهل الكتاب:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: 8]

تؤكد هذه الآية على أن يتعامل المسلمون مع أهل الكتاب على أساس العدل في جميع الأحوال، وعلى قواعد البر والإحسان أيضاً، إذا لم يمارسوا ضد المسلمين الظلم والإخراج، أو القتل والإرهاب، فالقاعدة الإسلامية الكبرى في العلاقات الدولية هي جعل المقاطعة والخصومة خاصة بحال العداء والعدوان، وفيما عدا ذلك يكون العدل والإحسان معهم. (1)

وقد دعا الرسول ﷺ أصحابه إلى التعامل مع اليهود أو المشركين ما لم ينقضوا العهود والمواثيق بالعدل، وقد تحمل النبي ﷺ وأصحابه ﷺ الكثير من الأذى النفسي والبدني في تبليغ الدعوة الإسلامية. (2)

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب، (184/7)، (بتصرف).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (2/ 360).

2- البر والإحسان:

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة:8]

إن الله ﷻ ينهى في هذه الآية عن مقاتلة أهل الكتاب ما داموا لم يقاتلونا في ديننا ولم يخرجونا من ديارنا ففي هذه الحالة يكون البر والإحسان معهم.

وقال السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة:8]

((أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلحتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة))<sup>(1)</sup>

ويقول سيد قطب: ((تلك القاعدة في معاملة غير المسلمين، هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين، ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية، بل نظرته الكلية لهذا الوجود، الصادر عن إله واحد، المتجه إلى إله واحد، المتعاون في تصميمه اللدني وتقديره الأزلي، من وراء كل اختلاف وتنويع.

إن المسلم يعيش في هذه الأرض لعقيدته، ويجعلها قضيته مع نفسه ومع الناس من حوله. فلا خصومة على مصلحة، ولا جهاد في عصبية، أي عصبية من جنس أو أرض أو عشيرة أو نسب، إنما الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون عقيدته هي المنهج المطبق في الحياة)).<sup>(2)</sup>

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة:9]

أي: لأجل دينكم، عداوة لدين الله ولمن قام به، وأخرجوكم من دياركم وظاهرُوا، أي: عاونوا غيرهم. على إخراجكم، نهاكم الله. أَنْ تَوَلَّوهُمْ، أي: بالمودة والنصرة، بالقول والفعل، وأما بركم وإحسانكم، الذي ليس بتول للمشركين، فلم ينهكم الله عنه، بل ذلك داخل في عموم الأمر بالإحسان إلى الأقارب وغيرهم من الأدميين، وغيرهم.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (857/1).

(2) في ظلال القرآن، (184/183/7).

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، أي: وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان تولى تاماً، صار ذلك كفراً مخرجاً عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك. (1)

وترى الباحثة أن السلم أفضل من الحرب عند توافر الإعداد الحربي، والاستعداد التام للجهاد، إن مال العدو إلى طلب الصلح، وأثر السلم على الحرب والقتال، فالحكم قبول الصلح حسبما يرى الإمام المصلحة.

وقد أكد الله ذلك في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ

هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61]

ومعنى الآية: وإن جنح، أي مال الأعداء إلى السلم أو الهدنة والصلح، فمِلْ إليها؛ لأنك أولى بالسلم منهم، وصالحهم وتوكل على الله أي ثق به، وفوض الأمر إليه، ولا تخف من مكرهم وغدرهم في جنوحهم إلى السلم، فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم، والله سميع لما يقولون، عليم بما يفعلون.

وهذا دليل واضح على إثبات السلم وتفضيله على الحرب لأن الإسلام دين السلام والهداية والمحبة، ولا يلجأ في شرعه إلى القتال إلا عند وجود الظروف القاهرة، والضرورات الملجئة. (2)

### 3- حرية العقيدة

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256]

((أي لا تُكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام، فإن دلائل صحته لا تحتاج بعدها إلى إكراه، ولأن الإيمان يقوم على الاقتناع والحجة والبرهان، فلا يفيد فيه الإلجاء أو القسر أو الإلزام والإكراه، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]

وقد بان طريق الحق من الباطل، وعرف سبيل الرشد والفلاح، وظهر الغي والضلال، وأن الإسلام هو منهج الرشد، وغيره طريق الضلال، فمن شاء فليؤمن به ومن شاء فليكفر.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (1 / 856).

(2) التفسير المنير للزحيلي، (10 / 56/55).

وهذه الآية أوضح دليل على بطلان قول من زعم أن الإسلام قام بالسيف، فلم يكن المسلمون قبل الهجرة قادرين على مجابهة الكفار أو إكراههم، وبعد أن تقووا في المدينة وعلى مدى القرون الماضية لم يكرهوا أحداً على الإسلام، كما يفعل أتباع الملل الأخرى كالنصارى.

ولم يلجأ المسلمون إلى الحرب أو الجهاد إلا لرد العدوان، والتمكين من حرية التدين، ومنع تعسف السلطة الظالمة الحاكمة من استعمال المسلمين حقهم في الدعوة إلى الله، ونشر الإسلام في أنحاء الأرض، بدليل قبول المعاهدات والصلح على دفع الجزية وتخيير العدو بين ذلك وبين الاحتكام إلى القتال.

ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره، بسبب عدم استخدامه وسائل النظر والمعرفة الصحيحة، فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً<sup>(1)</sup>.

وترى الباحثة أن دعوة النبي محمد ﷺ كانت قائمة على ذلك، وأنه لم يجبر أحداً قط على الدخول في الإسلام، وأقر النبي ﷺ لليهود إن اختار أحد منهم اليهودية أجلى مع اليهود، وإن اختار الإسلام بقى مع المسلمين، كما أن الصحابة رضوا باختاروا بالنبي ﷺ فقد جاء في العهدة العمرية التي كتبها الخليفة عمر بن الخطاب لأهل القدس: هذا ما أعطى أمير المؤمنين لأهل ايلياء الأمان لأنفسهم وكنائسهم وأموالهم، وصلبانهم فهذا إن دل فإنما يدل على تسامح الدين الاسلامي.

#### 4- جدالهم بالتي هي أحسن

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَا وَإِهْكُم وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:46]  
وقال أيضاً: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64]

((ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادلة، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع.

(1) التفسير المنير للزحيلي، (22/21/3)، (بتصرف).

وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَيْنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ، أَي: ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إلينا وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن الواجب أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافراً، وأيضاً فإن بناء مناظرة أهل الكتاب، على هذا الطريق، فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد ﷺ قد بينتها ودلت عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم، وهذا من خصائص الإسلام)). (1)

### 5- إباحة الأكل من ذبائحهم والتزوج من نساءهم

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 5]

((أباح الإسلام للمسلمين أن يأكلوا من طعام أهل الكتاب، كما أنه أباح لهم أيضاً أن يأكلوا من طعام المسلمين، بينما في حال التزوج أباح من جانب المسلمين التزوج من نساءهم، مع عدم تزوجهم من نساءنا، والفرق واضح وهو أن إباحة الطعام من الجانبين لا تستلزم محظوراً، أما لو أبيع لأهل الكتاب التزوج بالمسلمات، لكان لهم ولاية شرعية على زوجاتهم، والله تعالى لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً شرعياً، وأحل لكم أيها المؤمنون التزوج بالحرائر المؤمنات، والكتابيات من اليهود والنصارى، سواء كن ذميّات أو حربيّات، إذا آتيتموهن أجورهن، أي" مهورهن)). (2)

((وَالطَّعَامُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا يَطْعَمُهُ الْمَرْءُ وَيَأْكُلُهُ، وَإِضَافَتُهُ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْمُتَابَسَةِ، أَي: مَا يُعَالَجُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ بِطَبْخٍ أَوْ ذَبْحٍ. وَقِيلَ: الطَّعَامُ الَّذِي لَا مُحَاوَلَةَ فِيهِ كَالْبُرِّ وَالْفَاكِهِةِ وَنَحْوَهُمَا لَا يُعَيِّرُهُ تَمَلُّكُ أَحَدٍ لَهُ، وَالطَّعَامُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ مُحَاوَلَةٌ صَنَعَتِهِ لَا تَعْلُقُ لِلدِّينِ بِهَا كَخَبْزِ الدَّقِيقِ وَعَصْرِ الزَّيْتِ. فَهَذَا إِنْ تَجَنَّبَ مِنَ الدَّمِيِّ فَعَلَى جِهَةِ التَّقَدُّرِ. وَالتَّنْذِيَةُ هِيَ الْمُحْتَاجَةُ إِلَى الدِّينِ وَالنِّيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الْقِيَاسُ أَنْ لَا تَجُوزَ ذَبَائِحُهُمْ رَخَصَ اللَّهُ فِيهَا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَخْرَجَهَا عَنِ الْقِيَاسِ. وَأَرَادَ بِالْقِيَاسِ

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (632/1).

(2) التفسير المنير للزحيلي، (95/6).

فِي مِيزَانِ أحوال ذبائِحهم عَلَى أحوالِهِمُ الْمُخَالَفَةَ لِأَحْوَالِنَا، وَلِهَذَا قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: أَرَادَ اللَّهُ هُنَا بِالطَّعَامِ الذَّبَائِحَ، مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّ غَيْرَهَا مِنَ الطَّعَامِ مُبَاحٌ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ قَالُوا: إِنَّ غَيْرَ الذَّبَائِحِ لَيْسَ مُرَادًا، أَيْ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَوْضِعُ تَرَدُّدٍ فِي إِبَاحَةِ أَكْلِهِ. وَالْأَوْلَى حَمْلُ آيَةِ عَلَى عُمومِهَا فَتَشْمَلُ كُلَّ طَّعَامٍ قَدْ يُظَنُّ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا إِذْ تَدَخَّلَهُ صَنَعَتُهُمْ، وَهُمْ لَا يَتَوَقَّوْنَ مَا نَتَوَقَّى، وَتَدَخَّلَهُ ذَكَاتُهُمْ وَهُمْ لَا يَسْتَرِطُونَ فِيهَا مَا تَسْتَرِطُهُ. وَدَخَلَ فِي طَعَامِهِمْ صَيِّدُهُمْ عَلَى الرَّجْحِ)). (1)

((فإن الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية، ثم يعتزلهم، فيصبحوا في المجتمع الإسلامي مجفوفين معزولين - أو منبوذين - إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية، والمودة، والمجاملة والخلطة. فيجعل طعامهم حلاً للمسلمين، وطعام المسلمين حلاً لهم كذلك؛ ليتم التزاور والتضاييف والمؤاكلة والمشاركة، وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة... وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم وهن المحصنات بمعنى العفيفات الحرائر - طبيبات للمسلمين، ويقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات. وهي سماحة لم يشعر بها إلا أتباع الإسلام من بين سائر أتباع الديانات والنحل.

وهكذا يبدو أن الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالمي، لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية، ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة، التي تظلمها راية المجتمع الإسلامي. فيما يختص بالعشرة والسلوك، وشرط حل المحصنات الكتابيات. هو شرط حل المحصنات المؤمنات.

قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: 5]

ذلك أن تؤدى المهور، بقصد النكاح الشرعي، الذي يحصن به الرجل امرأته ويصونها، لا أن يكون هذا المال طريقاً إلى السفاح أو المخادنة .

والسفاح هو أن تكون المرأة لأي رجل؛ والمخادنة أن تكون المرأة لخدنين خاص بغير زواج. وهذا كذلك كانا معروفين في الجاهلية العربية، ومعتزلاً بهما من المجتمع الجاهلي، قبل أن يطهره الإسلام ويزكيه، ويرفعه من السفح الهابط إلى القمة السامقة)). (2)

وخلاصة القول كما تراه الباحثة:

1 - لا يجوز التزوج من المشركة التي ليس لها دين سماوي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ وَلَا أُمَّةً مُؤْمِنَةً حَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور، (6/ 119/120).

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب، (2/ 320).

حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبُدُّ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى  
الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿البقرة: 221﴾

وقال أيضاً سبحانه: ﴿... وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَابًا أَنْفَقُوا  
ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿المتحنة: 10﴾

وهذا نهي من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان، وأمر لهم  
بفراقهن. (1)

2 - جواز التزوج من الكتابية سواء كانت يهودية أو نصرانية، بنص كتاب الله المخصص من  
عموم المشركات، فقال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا  
آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴿المائدة: 5﴾

3 - أن تكون الكتابية المراد التزوج بها عفيفة من الزنا.

(1) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، (331/23).



## المبحث الثالث

### مقومات وحقوق صحبة الأخيار

#### المطلب الأول: رابطة التقوى والإيمان:-

إن الإنسان اجتماعي بطبعه، ميال إلى الاجتماع بالناس والاستئناس بهم، فعندما يتخذ صاحباً لا بد له أن يكون بينهما رابطاً أدى إلى صحبتها، وبالتأكيد إذا كان هذا الرابط هو رابط التقوى والإيمان، فإنه سيكون له أثر عظيم للانتفاع بالصاحب، لأن أهمية الصحبة تتجلى في تقوى الله ﷻ، فهو القائل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:28]

فإنه ﷺ يأمر نبيه محمداً ﷺ بصحبة الذين يقصدون وجه الله، ويسعون إلى رضاه، وهذا الأمر ليس مقتصرًا على النبي ﷺ، وإنما هو إرشاد لنا بصحبة أهل التقوى والإيمان. والصاحب إذا اختار أهل الإيمان والتقوى، فإنه يكتسب منهم الخلق القويم، والإيمان الراسخ، والصفات العالية، أما إذا اختار أهل الفساد والشر، فإن أخلاقه بالتأكيد ستتحدّر إلى الأسفل، وصفاته ستتغير إلى الأسوأ.

لذلك فإن الرابطة الأساسية للصحبة الصالحة هي التقوى؛ لأنها تنفعه في دنياه وآخرته. ولقد حث النبي ﷺ على مصاحبة أهل التقوى، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»<sup>(1)</sup>.

وإن الصاحب المؤمن يفرح لفرحك، ويحزن لحزنك ويحب لك ما يحبه لنفسه، ويأمرك بالمعروف وينهاك عن المنكر، ويسمعك القول الصادق والحكمة البالغة، ويحثك على العمل الصالح، لذلك فإن قوام التقوى من أهم مقومات صحبة الأخيار.

ولقد وصف الله ﷻ الأصحاب بأنهم كلهم أعداء لبعضهم يوم القيامة، واستثنى الله المتقين، وذلك لأنه لم يجمعهم على الصحبة إلا تقوى الله.

قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:67]

(1) سنن الترمذي كتاب الزهد باب ماجاء في صحبة المؤمن، (ح2395)، (4/600) حكم الألباني عليه:حسن.

((أي كل صداقة وصحبة لغير الله فإنها تتقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله ﷻ، فإنه دائم بدوامه)).<sup>(1)</sup> (لأن المتقين يعين بعضهم بعضاً على الطاعة، كنت توجهنى وتذكرني إن غفلت فيزداد الحب بينهما)).<sup>(2)</sup>

قال ابن عجيبة: ((أي المتحابون في الدنيا على الأمور الذميمة متعادون يوم القيامة، يبغض بعضهم بعضاً، فتقطع في ذلك اليوم كل صلة كانت لغير الله، وتتقلب عداوة ومقتاً؛ لانقطاع سببها، وهو الاجتماع على الهوى. إلا المتقين، أي: الأئمة المصادقين في الله)).<sup>(3)</sup>

### المطلب الثاني: المنبت الطيب

قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 58]

إن أصل التربية في الإسلام أن تقوم على المنبت الحسن، والأخلاق الحسنة، فالنبي ﷺ بُعث للأمة من أجل هذه الأخلاق، وكان خلقه حسن كما وصفه ربه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم: 4] فكل إنسان عليه أن يتحلى بهذه الأخلاق اقتداءً بالنبي ﷺ؛ لأن المنبت الطيب والأخلاق الحسنة من أهم مقومات صحبة الأخيار، فالله تعالى شبه المنبت الطيب بالنبات الذي ترعرع، وأن منبت الصحاب ضروري، لأننا سوف نأتمنه على بيوتنا ونطلعه على أسرارنا بعد معرفته.

ولقد حدثنا الإسلام على ضرورة التعارف قبل الصحبة، والتعرف على اسم الصحاب وعمله، وما يتبع ذلك من أصول التعارف، وأساس هذا التعارف هو المنبت الطيب والسلوك القويم. فهذه المعلومات التي يجمعها الصحاب عن صاحبه ستزرع الثقة وتزيدها بين الأصحاب .

يقول الشوكاني في تفسيره ((أي التربة الطيبة يخرج نباتها بإذن الله وتيسيره إخراجاً حسناً تماماً وأفياءً، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً، أي: والتربة الخبيثة لا يخرج نباتها إلا نكداً)).<sup>(4)</sup>

((هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فمثل المؤمن مثل البلد الطيب الزاكي يخرج نباته ربيعة بإذن الله، ومثل الكافر كمثل الأرض السبخة الخبيثة التي لا يخرج نباتها، وغلتها. إلا نكداً، أي: عسيراً قليلاً بعناء ومشقة)).<sup>(5)</sup>

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (237/7).

(2) تفسير الشعراوي، متولي الشعراوي، (1525/1).

(3) البحر المديد، (262/5).

(4) فتح القدير، (245/2).

(5) الكشف والبيان للعلبي، (243/4).

وترى الباحثة أن اختيار صاحب يبدأ بالمنبت الحسن، وإن تحقق هذا المقوم سترتب عليه باقي المقومات الناجحة لصحبة الأخيار؛ لأن البداية الطيبة والنافعة ستنتهي نافعة .

### المطلب الثالث: حسن المعاملة

لا يستغني الناس في مختلف مجتمعاتهم عن بعضهم بعض، بل إن كل إنسان في حاجة للتعامل مع الآخرين، ولا بد أن يكون هذا التعامل مستقيماً، ويرتاح إليه الناس وهذه الراحة تكون قائمة على أساس التفاهم والصدق والثقة المتبادلة، وهذا كله لا يمكن أن يكون إلا إذا عاملت الناس بالرفق واللين والإخلاص، وأن تمنحهم النصح والإرشاد، كما أن الكلمة اللينة، تكسب الآخرين سروراً، ولا تكلف شيئاً، بل تكسبك رضاهم وتلين قلوبهم وتجعل الناس يلتفتون من حولك.

ولقد كان سيدنا محمد ﷺ الأسوة الحسنة في ذلك، فقد كان رحيماً ليناً مع المسلمين وغيرهم من الكفار، فقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:159]

ومن حسن المعاملة مع الآخرين أن تحسن الظن بالصاحب، وتذكر محاسنه، وتبتعد عن الغيبة والنميمة والحسد، كما أن تكون بعيداً عن انتقاده.

ولقد وصف الله تعالى رسوله والمؤمنين في حبهم وتراحمهم في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. [الفتح 29].

ففي هذه الآية الكريمة تتجسد معاني الرحمة، وحسن المعاملة، وضرورة إظهارها للصاحب، ويخبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم أشدّاء على الكفار، أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم

المسلمون. رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق. (1)

وترى الباحثة أن حسن المعاملة مقوم مهم للصحة، وأن الصحبة تستمر أكثر وتطول إذا عامل صاحب صاحبه معاملة حسنة، قائمة على الود والاحترام المتبادل، وتجعل صاحب يهتم بصاحبه أكثر إذا وجد الأخلاق الحسنة، وانه سيتعلم منه الرحمة والشفقة على الآخرين، والصفح عن الظالمين، فهذه هي صفة صاحب القويم الذي ينتهج نهج النبي ﷺ في رحمته.

### المطلب الرابع: الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات

لاشك أنه من الضروريات وأهم المقومات التي تقوم عليها الصحبة بذل الجهد والعطاء، والوقوف بجانب صاحب بجميع الوسائل الممكنة.

فهذا المقوم يبين مدى قوة الصحبة، ويكشف عنها وقت الشدائد والمحن، لأن من حق صاحب على صاحبه رفع الأذى عنه، فمن المؤكد عندما نجد صاحب وقت الشدة تزيد أواصر المحبة والمودة، وتدوم الرحمة بين الأصحاب، وقد تحدثنا سابقا عن صحبة أبي بكر للنبي ﷺ ووقوفه معه في أصعب المواقف والشدائد (2)، عندما قال له في قوله تعالى: ﴿لَا تُحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ..﴾ [التوبة:40] فإذا كان شعار الأصحاب هكذا، ستكون صحبتهم ناجحة بإذن الله، ومن إعانة صاحب لصاحبه وقوفه معه بالنفس والمال، فالصاحب الحقيقي يفدي صاحبه بنفسه ويخوض معه الأخطار ويتحمل النتائج دون ضيق أو حرج، لأن صحبة صاحب الوفي أن يُعِينَ صاحبه في الدنيا حتى يعينه الله في الآخرة .

إن الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات، بأن تقدم هذه الحاجات على الحاجات الخاصة، فأدائها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة مع البشاشة، والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة.

وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده، ويقوم بحاجاتهم، ويتردد كل يوم إليهم ويموتهم من ماله، وبهذا تظهر الشفقة والإخوة، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتُّ خِصَالٍ: يَعُوذُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَا، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَنْصَحُ لَهُ إِذَا غَابَ أَوْ شَهِدَ..» (3)

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (1/795).

(2) انظر، (ص16) من الرسالة.

(3) سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب النهي عن سب الأموات (ح1938)، (4/53)، حكم الألباني: صحيح.

وقد أكد الله في كتابه على حق الإعانة بالنفس في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ

إِلَى مَيْسَرَةٍ...﴾ [البقرة:280].

فالساحب إذا أراد أن يستدين من صاحبه ولم يداينه أو يساعده ويخفف عنه، لا يكون صاحباً؛ لأن حقيقة الصحبة تقوم على مساعدة كل منهما للآخر. (1)

فالدين الإسلامي دين يسر، وأكد على أن المدين إذا كان غير قادر على السداد، فأمهله إلى أن يبسر الله له رزقاً، فيدفع إليه المال، وإن سامحته أفضل؛ لأن التسامح من صفات الإنسان المسلم النقي الذي يقف بجانب صاحبه.

وقال السعدي في تفسيره: ((إن كان المدين ذو عسرة لا يجد وفاء، فنظرة إلى ميسرة، وهذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به)). (2)

### المطلب الخامس: العفو عن زلات وهفوات صاحب

وهفوة صاحب لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية، أو في حق كالتقصير في الإخوة والصحبة.

أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها، فعلى صاحب التلطف في نصح صاحبه بما يقوم وده، ويجمع شمله، ويعيد إلى الصلاح والورع حاله، ويكون سبباً في دعوته وهدايته .

ومن الوفاء مع صاحب أن لا يهمل حاجته وفقره، وفقر الدين أشد من فقر المال، وقد أصابته جائحة، وألمت به آفة، افتقر بسببها في دينه، فينبغي أن يراقب ويراعى، ولا يهمل، بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الواقعة التي ألمت به .

فالأخوة والصحبة عدة للنائبات وحوادث الزمان، وهذا من أشد النوائب، والفاجر إذا صحب تقياً وهو ينظر إلى خوفه، ومدى وقفته فسيرجع على قرب ويستحيي من الإصرار، بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياءً منه.

وإن الصداقة لحة كلحة النسب، والقريب لا يجوز أن يهجر بالمعصية، ولذلك قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء:216]، ولم يقل إنني برئ منكم؛ مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب (3).

(1) إحياء علوم الدين للغزالي، ( 2/175)، (بتصرف) .

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (1/116) .

(3) إحياء علوم الدين للغزالي، (2/184)، (بتصرف) .

ومن العفو عن الصاحب عدم شتمه إذا شتمك، بل الصبر والعفو عنه، فإن لم تقدر فالأفضل أن يكون شعارك هو كظم الغيظ كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسِ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ» (1).

((وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ، أَي: لَا يَعْمَلُونَ غَضَبِهِمْ عَلَى النَّاسِ، بَلْ يَكْفُونَ عَنْهُمْ شَرَّهُمْ وَيَحْتَسِبُونَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، أَي: مَعَ كَفِّ الشَّرِّ يَعْفُونَ عَنِ ظَلْمِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَلَا يَبْقَى فِي أَنْفُسِهِمْ مَوْجُودٌ عَلَى أَحَدٍ، وَهَذَا أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فَهَذِهِ مِنْ مَقَامَاتِ الْإِحْسَانِ)) (2).

### المطلب السادس: الوفاء والإخلاص للصاحب

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن انقطع قبل الموت حبط عمله وضاع السعي.

ومن الوفاء للصاحب مراعاة جميع أصحابه وأقاربه المتعلقين به، لأن ذلك أوقع في قلب الصاحب من مراعاة الأخ في نفسه، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر، إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به، ومن ثمرات المودة في الله أن لا تكون حسد في دين ودنيا وكيف يحسده، وبه وصف الله تعالى الْمُحِبِّينَ فِي اللَّهِ (3).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (4)

(1) سنن الترمذي، البر والصلة، باب في كظم الغيظ (ح2021)، (372/4) قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (119/2).

(3) إحياء علوم الدين للغزالي، (184/2)، (بتصرف).

(4) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (ح1423)، (111/2).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:9]

فهذه صورة وضيئة صادقة، تبرز أهم الملامح المميزة للأعضاء، هذه المجموعة التي تقردت بصفات، وبلغت إلى آفاق لو أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أخلاقاً طاهرة ورؤىً مجنحة ومثلاً علياً، قد صاغها خيال مطلق. (1)

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ....﴾ [الحشر:9] وقد تبوأها الأنصار قبل المهاجرين. كما تبوأوا فيها الإيمان. وكأنه منزل لهم ودار، وهو تعبير ذو ظلال، وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان. لقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذي تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له، كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار .

﴿.... يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ....﴾ [الحشر:9] ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم، والبذل السخي، والمشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء، حتى ليرى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة؛ لأن عدد الراغبين في الإيواء المتراحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين.

ومعنى قوله تعالى: ﴿... وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا....﴾ [الحشر:9] مما يناله المهاجرون من مقام مفضل في بعض المواضع، ومن مال يختصون به كهذا الفيء، فلا يجدون في أنفسهم شيئاً من هذا، ولا يقول: حسداً ولا ضيقاً، إنما يقول: شيئاً، مما يلقي ظلال النظافة الكاملة لصدورهم والبراءة المطلقة لقلوبهم، فلا تجد شيئاً أصلاً .

قال تعالى: ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:9]

والإيثار على النفس مع الحاجة قمة علياً، وقد بلغ إليها الأنصار، بما لم تشهد البشرية له نظيراً، وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديماً وحديثاً. (2)

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب، (166/7).

(2) نفس المصدر السابق، (166/165/7).

ومن الوفاء أيضاً مخالفة الصاحب فيما يخالف الحق، فقد كان الامام الشافعي (1) ﷺ آخى محمد بن عبد الحكم وصاحبه وكان يقرُّبه ويقبل عليه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله فقال:

مرض الحبيب فعدته \* \* \* فمرضت من حذري عليه  
وأتى الحبيب يعودني \* \* \* فبرئت من نظري إليه

ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه، قال الامام الشافعي - رحمه الله -: إذا أطاع صديقك عدوك، فقد اشتركا في عداوتك.

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه، لاسيما من يظهر أولاً أنه محبٌ لصديقه؛ كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضاً. (2)

وترى الباحثة أن الوفاء والإخلاص من أهم المقومات الأساسية التي عليها الصحبة؛ لأن الصاحب إذا كان وقياً مع صاحبه ومخلصاً له، بالتأكيد فإنه سيحقق باقي المقومات الأخرى للصحبة، كالعفو عن الزلات، والإعانة له بالنفس والمال، وبالتأكيد فإن تلك المقومات مكملة لبعضها البعض.

### المطلب السابع: الدعاء للصاحب في حياته وبعد مماته

يكون دعاء الصاحب لصاحبه بكل ما يحبه لنفسه وأهله، وكل ما يتعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك، ولا تفرق بين نفسك وبينه، فإن دعائك له دعاءً لنفسك على التحقيق .

عن أبي الدرداء ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ» (3)

ولقد كان الرسول ﷺ وأصحابه يدعون لمن قبلهم، وقد تبعهم التابعون من بعدهم، فدعوا لإخوانهم وأصحابهم، وهذه الصورة الرائعة التي تبرز أهم ملامح التابعين، وأهم خصائص الأمة

(1) الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي الإمام زين الفقهاء وتاج العلماء، ولد بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن، كان الشافعي يلزم محمد بن الحكم ولا يفارقه و من أحب الناس إليه وأخصهم به، مات في شهر رَمَضانَ سنة أربع عشرة ومائتين رَحِمَهُ اللهُ، وأصر ابن الحكم أن يدفن بجانبه عند موته وتم ذلك بترتيب المدارك وتقريب المسالك (3, 189) ، (4, 160) . أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، وسير أعلام النبلاء للذهبي، (8, 348) .

(2) إحياء علوم الدين للغزالي، (186/1)، (بتصرف بسيط).

(3) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين في ظهر الغيب، ح (2732)، (2094/4).



المسلمة على الإطلاق، وفي جميع الأوطان والأزمان، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. [الحشر 10].

((هؤلاء الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار، ولم يكونوا قد جاءوا بعد عند نزول الآية في المدينة، إنما كانوا قد جاءوا في علم الله، وفي الحقيقة القائمة في هذا العلم المطلق من حدود الزمان والمكان سمة نفوسهم أنها تتوجه إلى ربها في طلب المغفرة، لا لذاتها ولكن كذلك لسلفها الذين سبقوا بالإيمان؛ وفي طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا على وجه الإطلاق، ممن يربطهم معهم رباط الإيمان، مع الشعور برأفة الله، ورحمته، ودعائه بهذه الرحمة، وتلك الرأفة... رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. [الحشر 10].

وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة، في هذا الوجود، تتجلى الأصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بأخرها، وآخرها بأولها، في تضامن وتكافل وتوادٍ وتعاطف، وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب؛ وتتفرد وحدها في القلوب، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة كما يذكر أخاه .

إنها صورة باهرة، تمثل حقيقة قائمة، كما تمثل أرفع وأكرم مثال للبشرية يتصوره قلب كريم، صورة تبدو كرامتها ووضاءتها على أتمها<sup>(1)</sup>.

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (166/7).

# الفصل الثاني

## صحة الأشرار ومقوماتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: صحة الأشرار

المبحث الثاني: مقومات صحة الأشرار

## المبحث الأول

## صحبة الأشرار

## المطلب الأول: صحبة الشيطان

الشيطان عدوٌّ للإنسان منذ نشأته الأولى، وقد آلى على نفسه أن يُضلَّ بني آدم، ويصرفهم عن الحقِّ، ويورد لهم موارد التهلكة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ لذلك فهو دائم السَّعي لِيُثْبِتَهُمْ عن كلِّ ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة. وللشيطان مسالكه، ومدخله ومخارجه، ليتغلغل في نفس الإنسان وينفث سمومه فيها؛ فإذا ما وقع في شركه أحدٌ من الناس، شرع بخطَّةٍ مأكرةٍ لإضلاله، فيجملُّ له القبيح، ويزيِّن الرَّذيلةَ في عينيه فيلبسها رداء الفضيلة، فينطلي مكره هذا على ضعف العقول، الَّذِينَ عَطَّلُوا مَلَكَةَ التَّفْكِيرِ، الَّتِي زَوَّدَهُم اللهُ تَعَالَى بِهَا، وَأَهْمَلُوا تَنْمِيتَهَا وَالِاسْتِفَادَةَ مِنْ طَاقَاتِهَا الْهَائِلَةِ، فَسُرْعَانَ مَا يَقْعُونَ تَحْتَ تَأْثِيرِهِ، وَيَنْقَادُونَ لِأَوْامِرِهِ، دُونَ أَنْ يَدْرِكُوا فَدَاخَةَ خَطِيئَتِهِمْ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ -عَظْفًا عَلَى أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَرَحْمَةً بِهِمْ - حَذَّرَ جَمِيعَ عِبَادِهِ، مَرَارًا وَتَكَرَّرًا، مِنْ خِدَاعِ هَذَا الْعَدُوِّ الْمَاكِرِ، لِيَكُونُوا بِمَنْأَى عَنْ شُرُورِهِ وَأَثَامِهِ، وَالْوَقُوعِ فِي شَرْكِهِ وَإِضْلَالِهِ.

والناس إزاء هذا التحذير على صنفين:

- 1- صنف تثمر النصيحة فيه، وتوتى أكلها فيتعظ، ويحتاط من شرِّ الشيطان ووساوسه.
  - 2- صنف يصمُّ أذنيه ويغلق عقله، فتراه سادراً في غيِّه يأمره الشيطان فيأتمر، وينهاه فينتهي، ولو أوقعه ذلك في الهلاك.. وقد تصل الجرأة به حدًّا يُحِلُّ فِيهِ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَيَحْرِمُ مَا أَحَلَّهُ لَهُ مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ وَأَرْزَاقِهَا، وَفِي هَذَا تَضْيِيعٌ لِلثَّرْوَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَهَدْرٌ لِلنِّعَمِ الْإِلَهِيَّةِ، وَتَعْطِيلٌ وَتَجْمِيدٌ لَهَا، مِمَّا يَعُودُ عَلَى الْمَجْتَمَعِ بِأَسْوَأِ النَتَائِجِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ... وَلَا تَنْحَصِرُ الْإِسَاءَةُ بِالْمَجْتَمَعِ وَحْدَهُ، بَلْ تَتَعَدَّاهُ إِلَى الْاِعْتِدَاءِ عَلَى شَرِيعَةِ اللهِ وَتَحْرِيفِ رِسَالَتِهِ الْحَنِيفَةِ وَإِفْسَادِهَا؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ يَنْسُبُونَ إِلَى اللهِ مَا لَمْ يَشْرَعْهُ لَهُمْ، وَيَتَقَوَّلُونَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ مِنْ لَدُنْهِ فِي شَأْنِ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، مِمَّا يُوَقِّعُ بَعْضَ النَّاسِ فِي أَبَاطِيلِ هَذِهِ الشَّرَائِعِ، الْمَشُوِّهَةِ الْمَفْتَرَاةِ، وَالَّتِي يَظُنُّونَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، إِلَّا أَنَّ عِلَامَ الْغَيْبِ - سُبْحَانَهُ - عَرَفْنَا غَوَايَةَ الشَّيْطَانِ مِنْ خِلَالِ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ
- فَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارِ الْمَجَاشِعِيِّ<sup>(1)</sup>، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: « أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهَلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ

(1) عياض بن حمار المجاشعي التميمي. له صحبة، وهو عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع، نسبه خليفة بن خياط، سكن البصرة، لقي النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، (تهذيب الكمال في أسماء الرجال 1/ 76 للمزى). (معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني 4/ 2164).

عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ (أي صرفتهم) عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ». (1)

فشرُّ عدوِّ للإنسان هو الشيطان، فمتى استرسل مع هذا العدو، أنكر نعم الله وبددّها، أو وضعها في غير مواضعها. فإن لم يرجع إلى الله، ويَزِنِ الأمور بميزان الشرع والعقل والحكمة، تتحوّل النعمة إلى نقمة، والمنحة إلى محنة، والنعيم إلى جحيم دائم في الدنيا والآخرة.

### أولاً: صفات الشيطان:

هناك صفات يتصف بها الشيطان، وإن الإنسان إذا صاحبه، فإنه يلزمه ويفتقرن به، ويصبح صاحباً له حتى يضعفه ويوصله إلى درجة الكفر أو الشرك، فيصبح هذا الإنسان متصفاً بصفاته، وإليك هذه الصفات:

1- معصية أمر الله للسجود لآدم عليه السلام فمنذ هذه اللحظة وقد اعتبر مخلوقاً عاصياً كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:34]

2- الشيطان يوقع البغضاء بين الناس، والزلل ببني الإنسان كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة:91]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:155]

3- الاستكبار والتعالي والزهو والافتخار والاستعلاء والخيلاء والتكبر هي صفات جميعها يتحلي بها الشيطان، كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:75]

فإنه سبحانه وتعالى يبين أن إبليس امتنع عن السجود له وذلك لاستكباره على الله تعالى.

وقوله: أستكبرت، أي: تعظمت، وقوله: أم كنت من العالين، أي: من القوم المتكبرين، قال ابن عباس: كان إبليس من أشرف الملائكة، وكان خازن الجنان، وأمين السماء الدنيا، فأعجبته

(1) صحيح مسلم، كتاب صفة الجنة والقيامة والنار، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (ح2865)، (4/2197).

نَفْسِهِ، وَرَأَى أَنْ لَهُ فَضْلًا عَلَى غَيْرِهِ، فَلَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ امْتَنَعَ لِذَلِكَ الَّذِي كَانَ فِي نَفْسِهِ. (1)

ثانيا: أسباب تمكن الشيطان من صحبة الانسان:

1- استغلاله لأهواء النفس وأمراض القلب:

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ [ الحج:53]

2- التزيين والخداع:

فإذا استجاب العبد لتزيين الشيطان وصدقته في أموره أصبح هذا مقارن له باستمرار يزين

له السوء قال تعالى: ﴿ وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [ فصلت:25].

((وَقَيِّضَ: أَتَّاحَ وَهَيَّأَ شَيْئًا لِلْعَمَلِ فِي شَيْءٍ. وَالْقُرَنَاءُ جَمْعُ قَرِينٍ، وَهُوَ الصَّاحِبُ الْمُلَازِمُ، وَالْقُرَنَاءُ هُنَا: هُمْ الْمُلَازِمُونَ لَهُمْ فِي الضَّلَالَةِ: إِمَّا فِي الظَّاهِرِ مِثْلَ دُعَاةِ الْكُفْرِ وَأَيْمَتِهِ، وَإِمَّا فِي بَاطِنِ النُّفُوسِ مِثْلَ شَيْاطِينِ الْوَسْوَاسِ)). (2)

3- إيقاع الإنسان في كثير من المنهيات والمخالفات ومن ذلك:

أ- التحاكم إلى الطاغوت والقتال في سبيله:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ

أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:60].

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ: يعني القرآن، وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ: يعني التوراة. ووصفهم بادعاء الإيمان بالقرآن وبما أنزل من قبله، لتأكيد العجيب من حالهم وتشديد التوبيخ والاستفباح، ببيان كمال المباينة بين دعواهم المقتضية حتماً للتحاكم إلى الرسول ﷺ، وبين ما صدر عنهم من مخالفة الأمر المحتوم يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ الداعي إلى الطغيان، بالحكم على خلاف المنزل إليك، والمنزل على من قبلك. والمراد بالطاغوت هنا ما سوى كتاب الله وسنة رسوله من الباطل، وَقَدْ أُمِرُوا فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْكُتُبِ أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ أَي: يتبرؤوا منه؛ لأنه تحاكم على خلاف ما أنزل الله في كتبه فيعصونه ويطيعون الشيطان، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَي: من الجن والإنس، أَنْ يُضِلَّهُمْ

(1) تفسير القرآن للسماعي، (4/454).

(2) التحرير والتتوير لابن عاشور، (24/274).

ضَالًّا بَعِيدًا: عن الحق والهدى، وقوله وَيُرِيدُ... إلخ عطف على (يريدون) داخل في حكم التعجيب. فإن اتباعهم لمن يريد إضلالهم وإعراضهم عن يريد هدايتهم، أعجب من كل عجيب. (1)

ب- ارتكاب المحرمات:

إن الشيطان يوقع الإنسان في كل ما يمكن إيقاعه فيه من المحرمات التي حرمها الله تعالى. فمن ذلك الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ \* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴾ [المائدة: 90-91]

يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة، ويخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رجس. فَاجْتَنِبُوهُ، أي: اتركوه، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ: فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله، خصوصاً هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره. والميسر وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما يُنصب ويُعبد من دون الله، والأزلام التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفسادها الداعية إلى تركها واجتنابها.

والأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأضرارها. ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان.

ومن المعلوم أن العدو يُحذر منه، وتُحذر مصايده وأعماله، خصوصاً الأعمال التي يعملها؛ ليوقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم في البعد عن عمل العدو المبين، والحذر منها، والخوف من الوقوع فيها... فهذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبهما سعادته، فالخمر والميسر، يصدانه عن ذلك أعظم صد، ويشغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو.

فأي معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيتها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ " فهل فوق هذه المفسد شيء أكبر منها؟ "

(1) محاسن التأويل للقاسمي، (193/3)، (بتصرف).

ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها عرضاً، بقوله: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ: لأن العاقل -إذا نظر إلى بعض تلك المفاسد- انزجر عنها وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ. (1)

ج- الدعوة إلى الكفر والضلال:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:60]

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر:16]

أي: مثل المنافقين في تزيينهم الشر والفساد ليهود بنى النضير كمثّل الشيطان إذ قال للإنسان في الدنيا اكفر بالله ﷻ فلما كفر ذلك الإنسان ومات على الكفر، وبُعث يوم القيامة، ووجد مصيره السيء ندم وألقى التبعة على الشيطان الذي قال له: إنني بريء منك ومن كفرك، إنني أخاف الله رب العالمين، ووجه الشبه: أن المنافقين تبرأوا من معاونتهم ومن مناصرتهم عندما حانت ساعة الجد كما يتبرأ الشيطان من كفر الكافر يوم القيامة.

وقوله سبحانه: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر:17] من تمام المثل الذي ضربه الله - تعالى - للمنافقين واليهود. .

أي: فكان عاقبة ذلك الشيطان وذلك الإنسان، أنهما في النار، حالة كونهما خالدين فيها خلوداً أبدياً، وكذلك حال المنافقين واليهود وذلك: الخلود في النار، جزاء الظالمين: الذين تجاوزوا حدود الله - تعالى - وحاربوا أوليائه - سبحانه - (2).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ [الفرقان:29].

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (1/243)، (بتصرف).

(2) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي، (14 / 306 / 307)، (بتصرف).

(خُدُولًا: صيغة مبالغة من الخذلان، نقول: خاذل وخذول، ومعنى خذلك أي: تخلى عنك في الأمر بعد أن مدَّ لك حبالَ الأمل، فإذا ما جاء وقت الحاجة إليه تخلى عنك وتركك، كذلك الشيطان يفعل بأوليائه). (1)

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 48]

د - الخوض والعودة مع الخائضين:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 68]

((المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله، فأمر الله رسوله أصلاً وأُمَّته تبعاً، إذا رَأوا من يخوض بآيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره، فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور.

فإن كان مصلحة كان مأموراً به، وإن كان غير ذلك، كان غير مفيد ولا مأمور به، وفي ذم الخوض بالباطل، حث على البحث، والنظر، والمناظرة بالحق. ثم قال: وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ أَي: بأن جلست معهم، على وجه النسيان والغفلة. فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ: يشمل الخائضين بالباطل، وكل متكلم بمحرم، أو فاعل لمحرم، فإنه يحرم الجلوس والحضور عند حضور المنكر، الذي لا يقدر على إزالته.

هذا النهي والتحريم، لمن جلس معهم، ولم يستعمل تقوى الله، بأن كان يشاركهم في القول والعمل المحرم، أو يسكت عنهم، وعن الإنكار، فإن استعمل تقوى الله تعالى، بأن كان يأمرهم بالخير، وبينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، فيترتب على ذلك زوال الشر أو تخفيفه، فهذا ليس عليه حرج ولا إثم)). (2)

(1) تفسير الشعراوي، (10427/10426/17).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (260/1).



ومن صفاته أيضا النزغ وإثارة العداوات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:200] وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ: ينخسك منه نخس، أي: وسوسة تحملك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب، ومقابلة سفيه، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ والتجئ إليه إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ: يسمع استعاذتك، ويعلم ما فيه صلاح أمرك. (1)

#### 4- التخذيل عن الطاعات:

ومن تخذيل الشيطان عن الطاعة أيضاً النسيان، إذ ينسيه الشيطان عن العمل الصالح بإشغاله بأشياء أخرى، قال تعالى ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:19]

استحوذ عليهم الشيطان أي: غلب عليهم واستولى واستولى وأحاط بهم. فأنساهم ذكر الله أي: أوامره والعمل بطاعته فلم يذكروا شيئاً من ذلك، وقيل: زواجره في النهي عن معاصيه، وقيل: لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم والإشارة بقوله: أولئك إلى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات، حزب الشيطان أي: جنوده وأتباعه ورهطه، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، أي: الكاملون في الخسران حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة إلى خسرانهم ليس بخسران؛ لأنهم باعوا الجنة والهدى بالضلالة، وكذبوا على الله وعلى نبيه، وحلفوا الأيمان الفاجرة في الدنيا والآخرة. (2)

وترى الباحثة أن حزب الشيطان هو الذي يفعل ما يرتضيه الشيطان، والذي يرتضيه الشيطان هو المعصية، فكل من قصد أن يعصى الله تعالى كان من حزب الشيطان.

إن صحبة الشيطان مانع أساسي من موانع الهداية الإلهية، حيث أنها سبب في كثير من المعاصي والآثام والجرائم، التي تكون سبباً في منع هداية الله للعبد؛ لأن القلب إذا أصبح مشرباً بالمعاصي، فإنه يصبح قلباً أسوداً؛ لأن القلب إذا حل به أحدهما لا يتسع للآخر. ولا يمكن لهذا القلب أن يستقبل هدى الله، إذ إن شأنه كالكأس المعكوس الذي لا يمكن أن يملأ بشيء إلا الهواء، وكذلك هذا القلب لا يملأه إلا الهوى، الذي هو نقيض الهدى، ما لم يكن هوى الإنسان تبعاً لما جاء به محمد ﷺ.

(1) البحر المديد لابن عجيبة ، (297/2).

(2) فتح القدير للشوكاني، (230/5)، (بتصرف).

## المطلب الثاني: صحبة المملأ

(معنى المملأ) المملأ: (الجماعة) والمملأ: (الطمع والظن). والجمع أملاء، أي جماعات المملأ إنما هم (القوم ذوو الشارة، والتجمع) للإدارة. (1)، والمملأ، مهْمُوز مَقْصُور: أشرف الناس ووُجُوهُهم (2).

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...﴾ [البقرة: 246]، وقال أيضاً: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: 60]

وإن المملأ الأشراف الذين يملأون العيون جمالاً، والقلوب هيبة، وقال بعضهم: المملأ الجماعة من الرجال دون النساء، والأول الصحيح وهو من ملأت، ويجوز أن يكون المملأ الجماعة الذين يقومون بالأمر، من قولهم هو مليء بالأمر إذا كان قادر عليه، والمعنيان يرجعان إلى أصل واحد وهو الملاء. (3)

يتضح من ذلك أن المملأ هم:

أشراف القوم وقادتهم ورؤساؤهم وساداتهم، فهم أصحاب النفوذ، وقد يكونون هم القادة والحكام في مثل حال قريش، أو هم السلطان وبطانته كما في قصة فرعون مع موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتِهِ ظُلْمًا بَهِيمًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 103]

هل المملأ موجود في عصرنا؟

إن أساليب المملأ في محاربة الدعوة إلى الله ﷻ متكررة في كل زمان ومكان، فهم يقفون في وجه كل دعوة إلى الله ولكن اسم المملأ في وقتنا الحالي لم يكن يعرف بهذا المسمى ولكنه يوجد بمسميات أخرى منها حاشية الملك أو السلطان أو الأمير إلى غير ذلك من المسميات وما يزال المتجبرون الظالمون سبب لخراب الديار، وسبب لهلاك الأمم والشعوب، وهم سبب لحياة الضنك التي يشكو منها الناس، وهم سبب للعذاب الأليم في الآخرة، فهم ظلمات بعضها فوق بعض، يبدأ معهم في الدنيا، بالتعذيب في القبر من الله تعالى، وبعدها يفسد الشيطان عليهم آخرتهم فيؤبقهم في النار والعياذ بالله.

(1) تاج العروس للزبيدي، (436/1).

(2) تهذيب اللغة للازهري، (290/15).

(3) لفروق اللغوية للعسكري، (280/1).

إن أسباب معاداة الملائكة كثيرة، تذكر الباحثة بعضها:

أولا الاستكبار والعلو :

وهو بيّن واضح في فرعون، قال تعالى في وصفه: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ

خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: 83]

فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ أَي: في مبدأ أمره. إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ: إلا أولاد من أولاد قومه بني

إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه؛ خوفاً من فرعون إلا طائفة من شبانهم. (1)

إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ أَي: لغالِبٌ فِيهَا قَاهِرٌ. وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ قِيلَ: الْمُرَادُ أَنَّهُ

كَثِيرُ الْقَتْلِ كَثِيرُ التَّعْذِيبِ لِمَنْ يُخَالِفُهُ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ بَيَانُ السَّبَبِ فِي كَوْنِ أَوْلَادِكَ

الْمُؤْمِنِينَ خَائِفِينَ، وَقِيلَ: إِنَّمَا كَانَ مُسْرِفًا لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَحْسَنِ الْعَبِيدِ فَادْعَى الْإِلَهِيَّةَ. (2)

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ \* وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا

أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾. [النمل 13-14].

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا بِأَن جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِهَا مُبْصِرَةً بَيِّنَةً...، إِشْعَارًا بِأَنَّهَا لَفِرْطِ اجْتِلَاثِهَا

لِلْأَبْصَارِ بِحَيْثُ نَكَادُ تَبْصُرَ نَفْسِهَا لَوْ كَانَتْ مِمَّا يَبْصُرُ، أَوْ ذَاتُ تَبْصُرٍ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا تَهْدِي، وَالْعَمِي

لَا تَهْتَدِي فَضلاً عَنْ أَنْ تَهْدِي، أَوْ مَبْصُرَةٌ كُلٌّ مِنْ نَظَرِ إِلَيْهَا وَتَأْمَلِ فِيهَا.. «مُبْصِرَةٌ» أَي مَكَاناً

يَكْتَرِكُمْ فِيهِ التَّبْصُرُ. قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ: وَاضِحٌ سِحْرِيَّتِهِ.

وَجَحَدُوا بِهَا وَكَذَبُوا بِهَا. وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ وَقَدْ اسْتَيْقَنَتْهَا.. ظُلْمًا لِأَنْفُسِهِمْ. وَعُلُوًّا: تَرْفَعًا

عَنِ الْإِيمَانِ وَانْتِصَابِهِمَا عَلَى الْعِلَّةِ مِنْ جَحْدُوا. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ: وَهُوَ الْإِغْرَاقُ فِي

الدنيا والإحراق في الآخرة. (3)

(1) أنوار التنزيل و أسرار التأويل للبيضاوي، (121/3).

(2) مفاتيح الغيب للرازي، (289/17).

(3) أنوار التنزيل و أسرار التأويل للبيضاوي، (156/4).

ثانياً - حب الرياسة:

فهم يحبون الجاه والملك والتسلط على رقاب العباد، ولذلك فهم يعرضون عن كل دعوة تسلبهم مكانتهم بين الناس وتجعلهم تابعين كبقية الناس، وهم يتصورون أن قبولهم للدعوة يسلبهم الجاه والسلطان، قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى﴾ [المؤمنون: 24]

قال أشراف قوم فرعون الذين كفروا به: ما هذا إلا بشرٌ مثلكم أي: من جنسكم في البشريّة، لا فرق بينكم وبينه، يريد أن يتفضل عليكم أي: يطلب الفضل عليكم بأن يسودكم حتى تكونوا تابعين له مُقَادِينٌ لأمره، ثم صرّحوا بأنّ البشر لا يكونون رسولا، فقالوا: ولو شاء الله لأنزل ملائكة أي: لو شاء الله إرسال رسولٍ لأرسل ملائكة، وإنما عير بالإنزال عن الإرسال لأن إرسالهم إلى العباد يستلزم نزولهم إليهم. ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين أي: بمثل دعوى هذا المدعي للنبوّة من البشر، أو بمثل كلامه، وهو الأمر بعبادة الله وحده، أو ما سمعنا ببشرٍ يدعي هذه الدعوى في آبائنا الأولين، أي: في الأمم الماضية قبل هذا. (1)

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا

نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 78]

لتصرفنا، وتصدنا عما وجدنا عليه آبائنا يقول: عما كان يعبد آباؤنا، وتكون لكم الكبرياء يعني: السلطان والشرف والملك في الأرض، يعني: في أرض مصر، وما نحن لكم بمؤمنين يعني: بمصدقين بأنكما رسولا رب العالمين. (2)

قال تعالى: ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: 6]

وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش، القائلين: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا بأن امضوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم. إن هذا لشيءٌ يراد: أي إن هذا القول الذي يقوله محمد ﷺ، ويدعوننا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريد من محمد ﷺ يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعاً، ولسنا مجيبيه إلى ذلك. (3)

تري الباحثة أن الملائكة مازالوا يظنون ويوسوس بعضهم لبعض، أن الدعاة إلى الله يريدون الحكم والملك والعياذ بالله.

(1) فتح القدير للشوكاني، (3/569).

(2) بحر العلوم للسمرقندي، (2/127).

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، (21/151/152).

أساليب الملام في محاربة الدعاة، تذكر الباحثة بعضها:

### 1- الاستهزاء والسخرية:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام:10]

قال أبو جعفر الطبري: ((يقول الله تعالى لنبيه محمدا ﷺ مسلماً عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقي منهم من أذى الاستهزاء به، والاستخفاف في ذات الله: هَوْنٌ عليك، يا محمد، ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك، المستخفين بحقك فيّ وفي طاعتي، وامض لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدي والإقرار بي، والإذعان لطاعتي، فإنهم إن تمادوا في غيهم، وأصرّوا على المقام على كفرهم، نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم، من تعجيل النقمة)). (1)

وترى الباحثة أن الملام ما زالوا يمارسون الاستهزاء والسخرية عبر وسائل الإعلام، حيث أنهم وصفوا الجهاد بالإرهاب، والحجاب وصفوه بالرجعية، والوعود الإلهية بالخرافات، كما أنهم وصفوا الشرع بأنه لا يصلح لهذا الزمان، وأن المتدينين عملاء للخارج.

### 2- التكذيب:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ

الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:184]

أي: ((لما يوهنك تكذيب هؤلاء لك، فلك أسوة من قبلك من الرسل، الذين كذبوا مع ما جاؤوا به من البيّنات: وهي الحجج والبراهين القاطعة، والزُّبُر: وهي الكتب المتلقاة من السماء، كالصُّحُف المنزلة على المرسلين. وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ أي: البين الواضح الجلي)). (2)

### 3- الاتهام والفساد:

ما أكثر ما شتم وسبّ الدعاة إلى الله ﷺ، فيوصف المصلحون بأبشع الصفات وأخسها، ولا يكتفي الملام بهذه الأوصاف، بل يدعون أن الدعاة هم المفسدون في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ

يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر:26]

(1) جامع البيان عن تأويل إى القرآن، (27/11).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (177/2).

يقول سيد قطب: ((فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني، عن موسى رسول الله ﷺ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ!!؟ أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادي؟

إنه منطوق واحد، يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر. والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان. والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين)).<sup>(1)</sup>

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآهَتِكَ قَالَ سَتَقْتُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف:127]

قال ابن كثير: ((يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا تَمَلَّأَ عَلَيْهِ فِرْعَوْنَ وَمَلْؤُهُ، وَمَا أَضْمَرُوهُ لِمُوسَى ﷺ وَقَوْمِهِ مِنَ الْأَذَى وَالْبِغْضَةِ، وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: أَي لِفِرْعَوْنَ، أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ أَي: أَتَدْعُهُمْ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ أَي يُفْسِدُوا أَهْلَ رَعِيَّتِكَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ دُونَكَ يَا اللَّهُ الْعَجَبُ صَارَ هَؤُلَاءِ يُشْفِقُونَ مِنْ إِفْسَادِ مُوسَى وَقَوْمِهِ! أَلَا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَلِهَذَا قَالُوا: وَيَذَرَكَ وَآهَتِكَ أَي أَنْذَرَهُ وَقَوْمَهُ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَقَدْ تَرَكَ عِبَادَتَكَ؟)).<sup>(2)</sup>

وترى الباحثة أن الملاء حسن لفرعون وزينوا له قتل موسى ﷺ وأكدوا له أن بقاءه خطر على فرعون، وهذا فعل الملاء في كل زمان ومكان يخوفون السلاطين من الدعاة المصلحين رغم علمهم أنهم رحمة للعباد والبلاد.

#### 4-الطرد والإخراج والإبعاد من البلاد:

هؤلاء هم قوم لوط ﷺ يطردونه بعدما أمرهم بالطهارة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف:82] أي: المستكبرين في مقابلة نصحه إيا أن قالوا أَخْرِجُوهُمْ أَي: لوطا والمؤمنين معه مِنْ قَرْيَتِكُمْ أَي: بلدكم.<sup>(3)</sup>

قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ [الأعراف:88]

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب، (3087/5).

(2) تفسير القرآن العظيم، (413/3).

(3) محاسن التأويل للقاسمي، (139/5).

قَالَ أَشْرَافُ قَوْمِهِ وَأَكَابِرُهُمُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ لَهُ، وَعَتَوَا عَمَّا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ اتِّبَاعًا لَأَهْوَائِهِمْ وَقَدْ اسْتَضَعَفُوهُ: نَقَسِمُ لِنُخْرَجَنَّكَ يَا شَعِيبُ أَنْتَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيْبَتِنَا الْجَامِعَةِ أَوْ مِنْ بِلَادِنَا كُلِّهَا، فَلَفِظُ الْقَرْيَةِ وَالْبَلَدِ يُطْلَقُ أحيانًا عَلَى الْقَطْرِ أَوْ الْمَمْلَكَةِ، أَوْ لَتَعُوْدُنَّ وَتَرْجِعُنَّ إِلَى مِلَّتِنَا، وَمَا نَدِينُ بِهِ مِنْ تَقَالِيدِنَا الْمَوْرُوثَةِ عَنْ آبَائِنَا فَتَكُونُ مِلَّةً لَكُمْ، وَمُحِيطَةً بِكُمْ مَعَنَا. (1)

وترى الباحثة أن خيار المأل يقوم على أمرين إما ترك الدعوة وإقرار الباطل، أو الطرد من البلاد، فقال تعالى في بيان من الذين يجب معاداتهم: ﴿إِنَّمَا يَنْهَأكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة:9]

والإخراج لم يكن فقط نصيب الأنبياء بل كل من اتبعهم ونهج منهجهم، وكم هم كثر في هذه الأيام كقتل الشعب الفلسطيني وتشريد ابنائه، وتآمر الدول الأوروبية ضده، مثل لندن وأمريكا وكندا الى غير ذلك.

#### 5-السجن:

فإذا لم تنفع تلك الأساليب البشعة السابقة لم يبق سوى السجن والقهر قال تعالى على لسان فرعون. ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِلهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:29]، وقال أيضا: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:30]، وقال تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمَرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ \* قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. [يوسف: 32-33].

فهو في السجن وظلماته مع الظلم وظلماته! لا يغفل عن الدعوة لدينه، في كياسة وتلطف- مع الحزم والفصل- وفي إدراك لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها.. كما أنه لا يغفل عن حسن تمثيله بشخصه وأدبه وسلوكه لدينه هذا الذي يدعو إليه في سجنه. (2)

(1) تفسير المنار محمد رشيد رضا، (3/9).

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب، (1955/4).

وترى الباحثة أن سجن الدعاة لم ينته عند موسى ويوسف -عليهما السلام-، فقد سجن النبي ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب، وسجن بعدهم من سجن من أعلام الأمة، وما زال الدعاة يسجون في سجون الطواغيت والظلمة.

#### 6- التعذيب:

قد يصاحب السجن وقد يكون منفرداً عنه، فهذا رسول الله ﷺ يُضرب في مكة، عن عُرْوَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ﷺ أَخْبَرَنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَخَذَ بِمَنْكَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنَقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكَبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ " أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ " وقد بصق ابن أبي معيط على النبي ﷺ. (1)

وما زال تعذيب الدعاة والصالحين مستمراً، إلى أن يشاء الله، فهذا أحمد بن حنبل ومالك -رحمهما الله-، وكثير من المعاصرين من الدعاة عذبوا من أجل دعوتهم، مثل سجناء الشعب الفلسطيني المحاصر الذي يعذب ليلاً ونهاراً على أيدي الظلم والطواغيت.

#### 7- القتل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ وَفَرِّقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:87]، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ أَهْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَاهْجُرِّيْ مَلِيًّا﴾ [مريم:46]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:30]

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ، وفيه ثلاثة أقاويل: أحدها: ليثبتوك في الوثاق. والثاني: ليثبتوك في الحبس، والثالث: معنى يثبتوك أي يخرجوك، كما يقال قد أثبتته في الحرب إذا أخرجته، قاله بعض المتأخرين. أو يُخْرِجُوكَ فِيهِ وَجْهَانِ: أحدهما: أو يخرجوك من مكة إلى طرف من أطراف الأرض كالنفي. والثاني: أو يخرجوك على بعير مطرود حتى تهلك، أو يأخذك بعض العرب فنقتلك فتريحهم منك. (2)

وترى الباحثة أن سياسة الملاءمة في تعذيب الدعاة تتمثل في عدة أمور منها: القتل، والرجم، والهجر، والحبس، والطرده. وممن قتل في الأزمنة المتأخرة الإمام العلامة الشيخ أحمد ياسين -

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ونفخ في الصور، (ح4815)، (6/127).

(2) النكت والعيون للماوردي، (2/312).



رحمه الله وغفر له وأسكنه الجنة - فقد كان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، فلم يتوقف الشيخ - رحمه الله - عن الدعوة للتوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغم تعرضه للتعذيب في سجون الاحتلال، مع أن حالته الصحية وجسده الضعيف لم يكن ليحتمل هذا التعذيب، ولكنه كان صابراً محتسباً من أجل الدعوة في سبيل الله، وإعلاء كلمة لا اله إلا الله .

ولم يتركه الاحتلال رغم حالته الخاصة بل استمر بملاحقته إلى أن استشهد. رحمة الله عليه واسكنه الله فسيح جناته، فكم من الدعاة يعانون من أجل هذا الدين وهذا الوطن؛ لرفع راية الحق وهم بإذن الله منصورون، لأن الحق باقٍ ومستمر إلى يوم القيامة، والباطل إلى الزوال.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]

### عقاب الملاً:

أما جزاء الملاً وعقاب الله تعالى لهم، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 55]، وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: 64]، وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عِثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: 41]

ويجب أن يعلم الملاً وأتباعهم أن الله تعالى سينتقم منهم، وأن العذاب لا ينزل فقط على محاربة الزعماء، بل على كل من شارك في حرب الدعاة والمصلحين، ولو كان جندياً مغلوباً على أمره - زعم - فإن الله تعالى أغرق الجنود مع فرعون وجعلهم منه.

فقال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: 8]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: 78]، وقال تعالى: ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 6]

فلا تصح دعوى أنا عبد مأمور، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وقال تعالى واصفاً حال الأتباع مع المتبوعين: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167) ﴿. [البقرة: 166-167].

### المطلب الثالث: صحبة المشركين والكفار والمنافقين

إن المشركين لهم صفات ذميمة، وصفها القرآن وحذر منها، فهم يعادون الدين الإسلامي وأمته، لأنهم يشركون بالله ﷻ، ويدخل في صحبتهم اليهود والنصارى الذين نافقوا وخانوا الله ورسوله، فقد قال سبحانه عنهم: ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الحشر: 11]

كما يدخل في صحبتهم أيضاً كل من يواليهم ويشجعهم مثل مشركى العرب وقريش.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ \* وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ [الصفافات-36]. وقال أيضاً: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص:4]

إن القرآن الكريم وصف أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجبن وانطماس البصائر والقلوب.

وحذر الله تعالى المؤمنين من موالاتهم، وكل ما يلصق بهم من أي صفة، ولو من بعيد، وأدنى درجات النفاق الغفلة عن ذكر الله اشتغالاً بالأموال والأولاد، والتعاس عن البذل في سبيل الله تعالى.

وحركة النفاق التي بدأت بدخول الإسلام المدينة، واستمرت إلى قرب وفاة رسول الله ﷺ، ولم تنقطع في أي وقت تقريباً، وإن تغيرت مظاهرها ووسائلها بين الحين والحين..

ويكفيك لأجل أن تشعر بخطورة الدور الذي قام به المنافقون، وخاصة في أوائل العهد، أن تلاحظ أن المنافقين كانوا أقوىاء نسبياً بعصبياتهم التي كانت ما تزال قوية الأثر في نفوس سواد قبائلهم، كما أنهم لم يكونوا مفضوحين فضيحة تامة، ولم يكن الإسلام قد رسخ في هذا السواد رسوخاً كافياً، وأن النبي ﷺ كان محاطاً بالمشركين الجاحدين من كل جانب، وأهل مكة خصومه الألداء، وهم قبلة الجزيرة يتربصون به الدوائر، ويتحينون كل فرصة ووسيلة للقضاء عليه، واليهود في المدينة وحولها قد تنكروا له منذ عهد مبكر وتطيروا به، ثم جاهره بالكفر والعداء والمكر، ولم يلبث أن انعقد بينهم وبين المنافقين حلف طبيعي على توحيد المسعى، والتضامن في موقف المعارضة والكيد، حتى ليتمكن القول: إن المنافقين لم يقووا ويثبتوا ويكن منهم ذلك الأذى الشديد، والاستمرار في الكيد والدس إلا بسبب ما لاقوه من اليهود من تعصيد، وما انعقد بينهم من تضامن

وتواثق، ولم يضعف شأنهم، ويخف خطرهم، إلا بعد أن مَنَّ الله للنبي من هؤلاء وأظهره عليهم، وكفاه شرهم. (1)

### صفات المشركين والكفار والمنافقين:

#### 1- موالاته بعضهم بعضا:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51]

لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستتصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين. ثم علل النهي بقوله بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ أي: إنما يوالى بعضهم بعضاً لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْ جَمَلَتِهِمْ وحكمه حكمهم. وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله. (2)

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُدًىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120]

كان اليهود يدخلون على رسول الله ﷺ مدخل لؤم وكيد، فيقولون هادنا، أي: قل لنا ما في كتابنا، حتى ننظر إذا كنا نتبعك أم لا.. يريد الله تبارك وتعالى أن يقطع على اليهود سبيل الكيد والمكر برسول الله ﷺ... بأنه لا اليهود ولا النصارى سيتبعون ملتك.

وإنما هم يريدون أن تتبع أنت ملتهم.. أنت تريد أن يكونوا معك، وهم يطمعون أن تكون معهم، فقال الله سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ...﴾ [البقرة: 120]

نلاحظ هنا تكرار النفي، وذلك حتى نفهم أن رضا اليهود غير رضا النصارى، ولو قال الحق تبارك وتعالى، ولن ترضى عنك اليهود والنصارى بدون لا.. لكان معنى ذلك أنهم مجتمعون على رضا واحد أو متفقون.. ولكنهم مختلفون بدليل أن الله تعالى قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: 113]

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب، (6/ 3572/3573)، (بتصرف).

(2) الكشف للزمخشري، (1/642).

إن فلا يصح أن يقال: فلن ترضى عنك اليهود والنصارى.. والله ﷻ يريد أن يقول لن ترضى عنك اليهود ولن ترضى عنك النصارى.. وإنك لو صادفت رضا اليهود فلن ترضى عنك النصارى، وإن صادفت رضا النصارى فلن ترضى عنك اليهود ثم يقول الحق سبحانه: ﴿... حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾ [البقرة:120]. والملة هي الدين، وسميت بالملة لأنك تميل إليها، حتى ولو كانت باطلا. والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾. [الكافرون3-4].

فجعل لهم ديناً وهم كفرون ومشركون.. ولكن ما الذي يعصمنا من أن نتبع ملة اليهود أو ملة النصارى.. الحق ﷻ يقول: ﴿قُلْ إِنْ أِهْدَى اللَّهُ لِسَانَ الْفَاسِقِينَ إِلَى سَبِيلٍ يَسِيرٍ﴾ [آل عمران:73].

فاليهود حرقوا في ملتهم، والنصارى حرقوا فيها.. ورسول الله ﷺ معه هدى الله، والهدى هو ما يوصلك إلى الغاية من أقصر طريق، أو هو الطريق المستقيم باعتباره أقصر الطرق إلى الغاية، وهدى الله طريق واحد، أما هدى البشر فكل واحد له هدى ينبع من هواه. ومن هنا فإنها طرق متشعبة ومتعددة توصلك إلى الضلال، ولكن الهدى الذي يوصل للحق هو هدى واحد... هدى الله ﷻ.

وقوله تعالى: وَلَنْ اتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ: إشارة من الله ﷻ إلى أن ملة اليهود وملة النصارى أهواء بشرية، والأهواء جمع هوى.. والهوى هو ما تريده النفس باطلاً بعيداً عن الحق.. لذلك يقول الله ﷻ: وَلَنْ اتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ. والله تبارك وتعالى يقول لرسوله لو اتبعت الطريق المعوج المليء بالشهوات بغير حق.. سواء كان طريق اليهود أو طريق النصارى بعدما جاءك من الله من الهدى، فليس لك من الله من ولي يتولى أمرك ويحفظك، ولا نصير ينصرك.

إن ضرب المثل هنا برسول الله ﷻ مقصود به أن اتباع ملة اليهود أو النصارى مرفوض تماماً، تحت أي ظرف من الظروف، لقد ضرب الله - سبحانه - المثل برسوله حتى يقطع على المغرضين أي طريق للعبث بهذا الدين، بحجة التقارب مع اليهود والنصارى. (1)

2- الاستهزاء بدين الله:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِمَّنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:57]

(1) تفسير الشعراوي، متولي شعراوي، (1/561/562/563).

((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا: من شدة كفرهم، وغلبة سفههم مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْضًا الْكُفَّارَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْلِيَاءَ وَأَصْدِقَاءَ، أَوْ: لَا تَتَّخِذُوا مِنْ اتَّخَذَ دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْلِيَاءَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي مَوَالِيهِمْ. إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَقْتَضِي الْوُقُوفَ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

وكيف توالون من يستهزئ بدينكم، وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ: فَإِنَّ السَّفَهَ يُؤَدِّي إِلَى الْجَهْلِ بِالْحَقِّ وَالْهُزْءَ بِهِ، وَالْعَقْلُ يَقْتَضِي الْمَنْعَ مِنَ الْجَهْلِ وَالْإِقْرَارَ بِالْحَقِّ وَتَعْظِيمَهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وقد حذر الحق ﷺ من صحبة الأشرار، ويفهم منه الترغيب في موالاته الأخيار، وهم الصفة الأبرار، ففي صحبتهم سر كبير وخير كثير)). (1)

3- مداراة ما في قلوبهم من الكفر وإعلانهم الإسلام:

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:1].

فهذه الآيات تبدأ بوصف طريقتهم في مداراة ما في قلوبهم من الكفر، وإعلانهم الإسلام والشهادة بأن النبي ﷺ هو رسول الله، وحلفهم كذباً ليصدقهم المسلمون، واتخاذهم هذه الأيمان وقاية وجنة يخفون وراءها حقيقة أمرهم، ويخدعون المسلمين فيها.

إذا جاءك المنافقون قالوا: نشهد أنك لرسول الله -والله يعلم أنك لرسوله- والله يشهد إن المنافقين لكاذبون. اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله، إنهم ساء ما كانوا يعملون». فهم كانوا يجيئون إلى رسول الله ﷺ فيشهدون بين يديه برسالته شهادة باللسان، لا يقصدون بها وجه الحق، إنما يقولونها للتقية، وليخفوا أمرهم وحقيقتهم على المسلمين. فهم كاذبون في أنهم جاءوا ليشهدوا هذه الشهادة، فقد جاءوا ليخدعوا المسلمين بها، وداروا أنفسهم بقولها، ومن ثم يكذبهم الله في شهادتهم بعد التحفظ الذي يثبت حقيقة الرسالة: وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ.

والتعبير من الدقة والاحتياط بصورة تثير الانتباه. فهو يبادر بتثبيت الرسالة قبل تكذيب مقالة المنافقين (2)

وقال تعالى أيضاً في شأنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ \* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:14-15].

(1) البحر المديد لابن عجيبة، (54/2).

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب، (3573/6)، (بتصرف).

هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وذلك أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين، أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، (فإذا خلوا إلى شياطينهم) أي: رؤسائهم وكبرائهم في الشر، قالوا: ( إنا معكم) في الحقيقة، ( وإنما نحن مستهزئون): بالمؤمنين بإظهارنا لهم، أنا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحق المكر السيء إلا بأهله.

قال تعالى ( اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ )، وهذا جزاء لهم، على استهزائهم بعباده، فمن استهزأه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين، لما لم يسلم الله المؤمنين عليهم، ومن استهزأه بهم يوم القيامة، أنه يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً، فإذا مشى المؤمنون بنورهم، انطفأ نور المنافقين، وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم اليأس بعد الطمع.

قال تعالى: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [الحديد:14]

قوله: وَيَمُدُّهُمْ أي: يزيدهم، فِي طُغْيَانِهِمْ أي: فجورهم وكفرهم، يَعْمَهُونَ أي: حائرون مترددون، وهذا من استهزائه تعالى بهم.

ثم قال تعالى كاشفاً عن حقيقة أحوالهم: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة:16]

أولئك، أي: المنافقون الموصوفون بتلك الصفات، الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ أي: رغبوا في الضلالة رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة. وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر، كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبةً فيها، فهذه تجارتهم، فبئس التجارة، وبئس الصفقة صفقتهم. (1)

4- صحبتهم للكفار واطلاعهم على أسرارهم والثقة بهم:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران:118]

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (43/1).

((ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين من أهل الكتاب وغيرهم، يظهرونهم على سرائرهم، أو يولونهم بعض الأعمال الإسلامية، وذلك أنهم هم الأعداء الذين امتلأت قلوبهم من العداوة والبغضاء فظهرت على أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر: مما يسمع منهم، فلهذا، لا يألونكم خبلاً أي: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة وعمل الأسباب التي فيها ضرركم ومساعدة الأعداء عليكم، قال الله للمؤمنين قد بينا لكم الآيات أي: التي فيها مصالحكم الدينية والدنيوية، لعلمكم تعقلون: فتعرفونها وتفرقون بين الصديق والعدو، فليس كل أحد يجعل بطانة، وإنما العاقل من إذا ابتلي بمخالطة العدو أن تكون مخالطة في ظاهره، ولا يطلعه من باطنه على شيء، ولو تملق له وأقسم أنه من أوليائه)).

قال الله مهيباً للمؤمنين على الحذر من هؤلاء المنافقين من أهل الكتاب، ومبيناً شدة عداوتهم، فقال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. [آل عمران: 119]

((أي: جنس الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه وهم لا يؤمنون بكتابكم، بل إذا لقوكم أظهروا لكم الإيمان، وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل: وهي أطراف الأصابع من شدة غيظهم عليكم، قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور: وهذا فيه بشارة للمؤمنين أن هؤلاء الذين قصدوا ضرركم لا يضررون إلا أنفسهم، وإن غيظهم لا يقدر على تنفيذه، بل لا يزالون معذبين به حتى يموتوا فينقلوا من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

إن تمسكم حسنة: كالنصر على الأعداء وحصول الفتح والغنائم، تسؤهم أي: تغمهم وتحزنهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضرركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط: فإذا أتيتم بالأسباب التي وعد الله عليها النصر - وهي الصبر والتقوى - لم يضرركم مكرهم، بل يجعل الله مكرهم في نحورهم؛ لأنه محيط بهم علمه وقدرته، فلا منفذ لهم عن ذلك، ولا يخفى عليهم منهم شيء)). (1)

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (1/144).

5- تحاكمهم إلى الطاغوت:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:60].

(( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ يَعْنِي الْقُرْآنَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ: يعني التوراة. ووصفهم بادعاء الإيمان بالقرآن، وبما أنزل من قبله، لتأكيد العجيب من حالهم وتشديد التوبيخ والاستقباح، ببيان كمال المباينة بين دعواهم المقتضية حتماً للتحاكم إلى الرسول، وبين ما صدر عنهم من مخالفة الأمر المحتوم، يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ الداعي إلى الطغيان بالحكم على خلاف المنزل إليك والمنزل على من قبلك.. والمراد به هاهنا ما سوى كتاب الله وسنة رسوله، من الباطل وَقَدْ أُمِرُوا فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْكُتُبِ أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ أَي يَنْتَبِرُوا مِنْهُ. لِأَنَّهُ تَحَاكَمَ عَلَى خِلَافِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، فَيَعْصُونَهُ وَيَطِيعُونَ الشَّيْطَانَ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَي: مَنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا: عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى. وَقَوْلُهُ وَيُرِيدُ... إِخْ عَطْفٌ عَلَى (يُرِيدُونَ) دَاخِلٌ فِي حُكْمِ التَّعْجِيبِ. فَإِنَّ اتِّبَاعَهُمْ لِمَنْ يُرِيدُ إِضْلَالَهُمْ، وَإِعْرَاضَهُمْ عَمَّنْ يُرِيدُ هِدَايَتَهُمْ، أُعْجِبَ مِنْ كُلِّ عَجِيبٍ.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:61]

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ أَي: إِلَى حُكْمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي تَدْعُونَ الْإِيمَانَ بِهِ، وَإِلَى الرَّسُولِ أَي: حُكْمِهِ، رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ: أَي يَمْنَعُونَ خُصُومَهُمْ فَيُبْعِدُونَهُمْ عَنْكَ صُدُودًا بَلِيغًا لِيَتِمَّ كُنُوفُهُمْ مِمَّا يُرِيدُونَهُ بِالرَّشْوَةِ.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَكْمِلَةٌ لِمَادَةِ التَّعْجِيبِ بَيَانٌ إِعْرَاضُهُمْ صَرِيحاً عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ، إِثْرٌ بَيَانٌ إِعْرَاضُهُمْ عَنِ ذَلِكَ، فِي ضَمَنِ التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوتِ. وَإِظْهَارٌ (الْمُنَافِقِينَ) فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ لِلتَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ بِالنَّفَاقِ وَذَمِّهِمْ بِهِ. وَالْإِشْعَارُ بَعْلَةٌ (الحكم)). (1)

6- طعنهم بالمؤمنين والسخرية منهم:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:79]

(1) محاسن التأويل للقاسمي، (193/3).



الَّذِينَ يَلْمُزُونَ أَي: يعيبون، الْمُطَّوِّعِينَ أَي: المتبرعين من الْمُؤْمِنِينَ، فِي الصَّدَقَاتِ فيزعمون أنهم تصدقوا رياءً وَالَّذِينَ أَي ويلمزون الذين لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ أَي: لا يجدون ما يتصدقون به إلا قليلاً، وهو مقدار طاقتهم، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ أَي: يهزأون بهم، ويقولون إن الله غني عن صدقتهم، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَي: جازاهم على سخرهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

قال تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: 80]

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَي: لهؤلاء المنافقين، أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَي: فإنهما في حقهما سواء. ثم بين استحالة المغفرة لهم، وإن بولغ في الاستغفار بقوله تعالى: إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ أَي: عدم الغفران لهم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ أَي: الخارجين عن حدوده. (1)

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ لَمَزَ الْمُؤْمِنِ وَالسُّخْرِيَةَ مِنْهُ مِنَ الْكِبَائِرِ، لِمَا يَعْقُبُهُمَا مِنَ الْوَعِيدِ. (2)

(1) نفس المصدر السابق، (463/461/5).

(2) البحر المحيط لابن حيان، (470/5).

## المبحث الثاني

### مقومات صحبة الأشرار

#### المطلب الأول: رابطة الضلال والكفر

تقوم صحبة الأشرار على رابطة الضلال والكفر، وقد حذر القرآن من مجالسة أهل الفساد والضلال؛ لأنهم سبب في شقاء الإنسان في الدنيا والآخرة، وقد حرص النبي ﷺ على مصاحبة الأخيار، ونهى عن مصاحبة الأشرار؛ لأن مجالستهم تقوم على الثرثرة، واللغو والاستهزاء والكفر.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:140]

فهذا تحذير واضح من الانحياز إلى المجالس الشريرة، التي تخلو من ذكر الله ومن توقيره، ومعنى قوله تعالى: وقد نزل عليكم في الكتاب أي: أخبر من اتخذ من هؤلاء المنافقين الكفار أنصاراً وأولياء بعد ما نزل عليهم من القرآن، أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، يعني: بعد ما علموا نهي الله عن مجالسة الكفار الذين يكفرون بحجج الله وآي كتابه ويستهزئون بها، حتى يخوضوا في حديث غيره يعني بقوله: يخوضوا يتحدثوا حديثاً غيره، بأن لهم عذاباً أليماً.

وقوله: إنكم إذا مثلهم، يعني: وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها وأنتم تسمعون، فأنتم مثله يعني: فأنتم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، مثلهم في فعلهم، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله. فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتوه منها، فأنتم إذا مثلهم في ركوبكم معصية الله، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه. (1)

((وهذه الآية تدل على اجتناب أهل المعاصي إذا ظهر منهم منكر، ومجانبة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والقدرية، وغيرهم إذا خاضوا في فسقهم)). (2)

وكل ما لا يحل فهو من اللغو الذي مدح الله تاركه بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [التقصص:55].

(1) جامع البيان في تأويل إى القرآن للطبري، (9/ 320 1)، (بتصرف).

(2) الهداية إلى بلوغ النهاية، القيرواني الاندلسي، (2/ 1502).

وقال في موضع آخر ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: 29]

وقوله تعالى: ﴿...فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا...﴾ الآية، فيه تحذير من مخالطة الغافلين والصحبة لهم، فإن صُحبتهم سُم قاتل، والجلوس معهم تضييع وبطالة، إلا أن يستولي نور من يصحبهم على ظلمتهم، فيجرهم إلى الله، فهذا جلوسه معهم كمال. وقال بعضهم: الوحدة أفضل من الجلوس مع العامة، والجلوس مع الخاصة أفضل من العزلة، إلا من تحقق كماله، فلا كلام معه<sup>(1)</sup>.

وترى الباحثة أن الإنسان عليه أن لا يفرط بدينه، من أجل صحبة الظالمين والمنحرفين، لأن المجلس الذي فيه صاحب السوء كلما كان أشد كفراً وأكثر عناداً كان ضرره أكبر، ومفسدته على من يجالسه ويخالطه أعظم.

وينبغي علينا أن نحرص على المجالس المليئة بذكر الله، التي تعيننا على طاعة الله، والصبر على أهل الكفر، وعدم اتباعهم؛ لأنهم ينحازون إلى الشهوات والأهواء.

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. [الكهف: 28].

والإنسان لا بد أن يعرف حقيقة من يصاحبه، حتى تقوم علاقته على أساس من التقوى الذي هو سبيل النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، فهو خير عند الله وأبقى ممن أسس علاقته على الكفر والمعاصي.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 109].

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ أَي: بناءه الذي بناه، عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ أَي: مخافة الله، ورجاء ثوابه، وطلب مرضاته، خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ أَي: على حرف مهواة، فَانْهَارَ بِهِ، أَي: أوقع بنيانه، فِي نَارِ جَهَنَّمَ: وهذا مَثَلٌ والمعنى: إنَّ بناء هذا المسجد كبناء على حرف جهنم يتهور بأهله فيها، لأنه معصية وفعل لما كرهه الله من الضرار<sup>(2)</sup>.

وقد ضرب لنا الرسول ﷺ مثلاً فريداً يرغَّبُ فيه على مصاحبة الأخيار، ويحذَّرُ فيه من مصاحبة الأشرار، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ،

(1) البحر المديد لابن عجيبة، (905/5).

(2) الوجيز للواحدي، (482/1).

كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلِ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً». (1)

(مَثَلُ الْجَلِيسِ) أَي: الْمُجَالِسِ (الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ): يَفْتَحُ السَّيْنِ وَيَضُمُّ أَي: وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ (كَحَامِلِ الْمَسْكِ): نَاطِرًا إِلَى الْأَوَّلِ (وَنَافِخِ الْكَبِيرِ) بِكَسْرِ الْكَافِ زِقٌّ يَنْفُخُ فِيهِ الْحَدَّادُ، وَأَمَّا الْمَبْنِيُّ مِنَ الطَّيْنِ فَكُورٌ كَذَا فِي الْقَامُوسِ (فَحَامِلِ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ): مِنْ الْإِحْذَاءِ أَي يُعْطِيكَ مَجَانًا (وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ)، أَي: تَشْتَرِي (وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً) وَهَذَا بَيَانٌ أَقْلُ الْمَنْفَعَةِ («وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ»): مِنْ الْإِحْرَاقِ أَي: يَكُونُ سَبَبًا لِلْإِحْرَاقِ، أَوْ التَّقْدِيرِ يُحْرِقُ بِنَارِهِ ثِيَابَكَ، وَلَعَلَّهُ وَقَعَ اخْتِصَارًا حَيْثُ لَمْ يَقُلْ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ أَعْضَاءَكَ أَوْ ثِيَابَكَ («وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»). أَي: دُخَانُهُ، وَهَذَا أَقْلُ الْمَضَرَّةِ، وَالْمَعْنَى فَعَلَيْكَ بِمَحَبَّةِ الْأَوَّلِ وَمُصَاحَبَتِهِ، وَإِيَّاكَ وَمَوَدَّةِ الثَّانِي وَمُرَافَقَتِهِ. قِيلَ: فِيهِ إِرْشَادٌ إِلَى الرَّغْبَةِ فِي صُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ وَمُجَالَسَتِهِمْ ; فَإِنَّهَا تَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِلَى الْجَنَّتَابِ عَنْ صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ وَالْفُسَّاقِ; فَإِنَّهَا تَضُرُّ دِينًا وَدُنْيَا. قِيلَ: مُصَاحَبَةُ الْأَخْيَارِ تُورِثُ الْخَيْرَ وَمُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ كَالرِّيحِ إِذَا هَبَّتْ عَلَى الطَّيْبِ عَبَقَتْ طَيِّبًا، وَإِنْ مَرَّتْ عَلَى النَّتَنِ حَمَلَتْ نَتْنًا. وَقِيلَ: إِذَا جَالَسْتَ الْحَمَقَى عُلِقَ بِكَ مِنْ حِمَاقَتِهِمْ مَا لَا يِعْلَقُ لَكَ مِنَ الْعَقْلِ إِذَا جَالَسْتَ الْعُقَلَاءَ; لِأَنَّ الْفَسَادَ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ وَأَشَدُّ اقْتِحَامًا مَا فِي الطَّبَائِعِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الصُّحْبَةَ تُؤَثِّرُ. (2) لَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]

### المطلب الثاني: وحدة أهداف ومصير الأشرار

إن صحبة الأشرار إذا كانت قائمة على الفساد والضلال، فإن هدفها سيكون فاسداً وضالاً، لأن صاحب الشرير يدفع صاحبه نحو الهلاك، فيزين له الباطل ويقوده إلى دوائر الكذب والغفلة عن ذكر الله، وتزيين المنكر، فمثلاً اليهود والمنافقين يتبعون أساليب شريرة للوصول إلى أهدافهم الفاسدة، ومن أهدافهم:

#### 1- عدم رضا اليهود على المؤمنين حتى يتبعوا ملتهم

قال تعالى:

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَادِيَ وَلَنْ تَتَّبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120].

(1) صحيح البخارى، كتاب البيوع، باب المسك، (ح1959)، (96/7).

(2) مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح لأبو الحسن الهروى، (3136/3137/8).

2- الصد عن سبيل الله:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الرُخرف:36]

فوظيفة قرناء السوء من الشياطين أن يصدوا قرناءهم عن سبيل الله، بينما هم يحسبون أنهم مهتدون، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون.

وهذا أسوأ ما يصنعه قرين بقرين أن يصد عنه عن السبيل الواحدة القاصدة؛ ثم لا يدعه يفيق، أو يتبين الضلال فيثوب؛ إنما يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم! حتى يصطدم بالمصير الأليم. (1)

وقال أيضا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران:116]

فقوله تعالى: إن الذين كفروا: يعني اليهود، لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ: لن تدفع عنهم الضرر إذا نزل بهم، أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ المعنى: لن تغني عنهم أموالهم في الصدقات ولا أولادهم في الشافعات، بخلاف المؤمن، فإن المؤمن ينفعه ماله في الكفارات والصدقات، وأولاده في الشفاعة والدعاء.

3- عدواتهم للمؤمنين

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ

مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون:4]

فهم أجسام تعجب. لا أناسي تتجاوب! وما داموا صامتين فهم أجسام معجبة للعيون.. فأما حين ينطقون فهم خواء من كل معنى ومن كل حس ومن كل خالجة.. تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ ولكنها ليست خشبا فحسب. إنما هي خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ.. لا حركة لها، ملطوعة بجانب الجدار! هذا الجمود الراكد البارد يصورهم من ناحية فقه أرواحهم إن كانت لهم أرواح! ويقابله من ناحية أخرى حالة من التوجس الدائم، والفرع الدائم، والاهتزاز الدائم. يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ: فهم يعرفون أنهم منافقون مستترون بستار رقيق من التظاهر والحلف والملق والالتواء. وهم يخشون في كل لحظة أن يكون أمرهم قد افترضح وسترهم قد انكشف، والتعبير يرسمهم أبداً متلفتين حواليتهم يتوجسون من كل حركة ومن كل صوت ومن كل هاتف، يحسبونه يطلبهم، وقد عرف حقيقة أمرهم!! وبينما هم خشب مسندة ملطوعة إذا كان الأمر أمر فقه وروح وشعور بإيقاعات الإيمان.. إذا هم كالقصبية المرتجفة في مهب الريح، إذا كان الأمر أمر خوف على الأنفس والأموال! وهم بهذا وذاك يمثلون العدو الأول للرسول ﷺ وللمسلمين.

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب، (375/6).

هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ: هم العدو الحقيقي، العدو الكامن داخل المعسكر، المختبئ في الصف. وهو أخطر من العدو الخارجي الصريح، فاحذَرَهُمْ.. ولكن الرسول ﷺ لم يؤمر هنا بقتلهم، فأخذهم بخطة أخرى فيها حكمة وسعة وثقة بالنجاة من كيدهم، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤَفِّكُونَ: فإله مقاتلهم حينما صرفوا وأنى توجهوا، والدعاء من الله حكم بمدلول هذا الدعاء، وقضاء نافذ لا راد له، ولا معقب عليه.. وهذا هو الذي كان في نهاية المطاف. (1)

#### 4- تزيين المنكر:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112]

العدو: مرده الإنس والجن، والشيطان: كل عاتٍ متمردٍ من الجن والإنس.

إن من الجن شياطين ومن الإنس شياطين، وإن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن، وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس، وهو شيطان الإنس فأغواه بالمؤمن ليفتنه. وقوله: يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ أي يلقي ويسر إليه زخرف القول: باطله وكذبه، والزخرف: الباطل من الكلام الذي زُين بالكذب، يقال: فلان يزخرف كلامه، إذا زينه بالباطل والكذب.

والمعنى: أن هؤلاء الشياطين يزينون الأعمال القبيحة لبني آدم ويغرونهم غرُورًا، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ولو شاء لمنعهم من الوسوسة، فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ. (2)

ويحذر القرآن من مصادقة غير المسلمين، فيقول في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118]

#### 5- قتال المسلمين ومحاولة ردهم عن دينهم:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217].

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب، (3574/6).

(2) التفسير الوسيط للواحد، (313/2).

مصير صحبة الأشرار:

1- الضلال البعيد في الدنيا والآخرة :

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:167]،  
 وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمُا تَحْتَ أَقْدَامِنَا  
 لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت:29]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا  
 أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب:66]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي  
 ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق:27]، وقوله تعالى: ﴿حُدُوهُ فَاعْتَبِرُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان:47]، وقوله  
 تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا \* يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ  
 أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾.  
 [الفرقان26-29].

والمعنى: واذكر - أيها العاقل - يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء، يوم يعض الظالم  
 على يديه من شدة غيظه وندمه وحسرتة، ويقول في هذا اليوم يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا،  
 أي: يا لَيْتَنِي سَلَكْتُ مَعَهُ طَرِيقَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ، وَاتَّبَعْتَهُ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ. يَا  
 وَيْلَتَىٰ أَي: ثُمَّ يَقُولُ هَذَا الظَّالِمُ يَا هَلَاكِي أَقْبَلْ فَهَذَا أَوْانِ إِقْبَالِكَ، فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ تَسْتَعْمَلُ عِنْدَ وَقُوعِ دَاهِيَةِ  
 دَهِيَاءٍ لَا نَجَاةَ مِنْهَا، وَكَأَنَّ الْمُتَحَسِّرَ يَنَادِي وَيَلْتَهُ وَيَطْلُبُ حُضُورَهَا بَعْدَ تَنْزِيلِهَا مِنْزِلَةً مِنْ يَفْهَمُ نِدَاءَهُ.  
 لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا أَي: لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا الَّذِي أَضَلَّنِي فِي الدُّنْيَا صَدِيقًا وَخَلِيلًا لِي.  
 والمراد بفلان: كل من أضل غيره وصرفه عن طريق الحق، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي  
 أَي: وَاللَّهِ لَقَدْ أَضَلَّنِي هَذَا الصَّدِيقُ الْمُشْتَوِّمُ عَنِ الذِّكْرِ أَي: عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي الرَّسُولُ ﷺ  
 فَالْجُمْلَةُ الْكَرِيمَةُ تَعْلِيلٌ لَتَمْنِيهِ الْمَذْكُورِ، وَتَوْضِيحٌ لَتَمَلُّهُ. وَأَكَّدَهُ بِلَاغِ الْقَسَمِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي بَيَانِ شِدَّةِ نَدَمِهِ  
 وَحَسْرَتِهِ.

والمراد بالذكر هنا: ما يشمل القرآن الكريم، وما يشمل غيره من توجيهات النبي ﷺ وفي  
 التعبير بقوله بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي: إشعار بأن هدى الرسول ﷺ قد وصل إلى هذا الشقي، وكان في إمكانه  
 أن ينتفع به.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله: وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا أَي: وَكَانَ الشَّيْطَانُ دَائِمًا  
 وَأَبْدًا. خَذُولًا لِلْإِنْسَانِ. أَي: صَارِفًا إِيَّاهُ عَنِ الْحَقِّ، مُحَرِّضًا لَهُ عَلَى الْبَاطِلِ، فَإِذَا مَا أَحْتَاجَ الْإِنْسَانُ  
 إِلَيْهِ خَذَلَهُ وَتَرَكَهُ وَفَرَّ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ.

يقال: خذل فلان فلاناً، إذا ترك نصرته بعد أن وعده بها، وهكذا تكون عاقبة الذين يتبعون أصدقاء السوء. (1)

وصدق الله إذ يقول تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الرَّحْف:67]

أي لا تصحب من لا يُنْهَضُكَ حاله، ولا يَدُلُّكَ على الله مقاله - فكل من صحب أهل الغفلة أو رَكَنَ إلى أهل الدنيا فلا بد أن يرى ذلك حسرات يوم القيامة، يوم لا ينفع الندم وقد زلَّ القدم. (2)

لأن المتقين يعين بعضهم بعضاً على الطاعة، فالواحد منهم يقول لصاحبه: كنت تعينني على الطاعة، كنت توجهني وتذكرني إن غفلت، فيزداد الحب بينهما. لكن الإنسان يلعن من أغواه، وأول من نلعن يوم القيامة نلعن الشيطان، وكذلك الشيطان أول ما يتبرأ يتبرأ منا؛ ولذلك فعندما تحين المجادلة نجد الشيطان يقول لمن أغواهم وأضلهم. (3) قال تعالى: ﴿.. إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ..﴾. [إبراهيم:22].

### عدم الشفاعة:

قال تعالى:

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [الشعراء:100]

الشافع من الشَّفَع أي: الاتنين، والشافع هو الذي يضمُّ صوته إلى صوتك في أمر لا تستطيع أن تتأله بذاتك، فيتوسط لك عند مَنْ لديه هذا الأمر، والشفاعة في الآخرة لا تكون إلا لمن أذن الله له، ويقول سبحانه: ﴿... وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى...﴾ [الأنبياء: 28]. ويقول أيضاً: ﴿... مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:255]

إذن: ليس كل أحد صالحاً للشفاعة مُعداً لها، وكذلك في الشفاعة في الدنيا فلا يشفع لك إلا صاحب منزلة ومكانة، وله عند الناس أيادٍ تحملهم على احترامه، وقبول وساطته، فهي شفاعة مدفوعة الثمن، فللشافع رصيد من الجميل وسوابق الخير تزيد عما يطلب للمشفوع له. (4)

(1) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي، (191/10).

(2) البحر المديد لابن عجيبة، (209/1).

(3) تفسير الشعراوي متولي شعراوي، (1525/1).

(4) نفس المصدر السابق، (6587/1).



أو فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم من الذين كنا نعددهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاءهم عند الله تعالى، وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة، علموا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم، ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع، لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم. (1)

## 2- الندم والحسرة في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:36]

قال أبو جعفر الطبري: ((إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم، فيعطونها أمثالهم من المشركين؛ لينتقوا بها على قتال رسول الله ﷺ والمؤمنين به، ليصدوا المؤمنين بالله ورسوله عن الإيمان بالله ورسوله، فسيفقون أموالهم في ذلك، ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة، يقول: تصير ندامة عليهم، لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، لأن الله مُعلي كلمته، وجاعل كلمة الكفر السفلى، ثم يغلبهم المؤمنون، ويحشر الله الذين كفروا به ورسوله إلى جهنم، فيعذبون فيها، فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك! أما الحي، فحرب ماله وذهب باطلاً في غير درك نفع، ورجع مغلوباً مقهوراً محروباً مسلوباً، وأما الهالك، فقتل وسلب، وعجل به إلى نار الله يخذ فيها، نعوذ بالله من غضبه)). (2)

## 3- العذاب الأليم في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:14]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود:113]

((قال أبو جعفر الطبري: ولا تميلوا، أيها الناس، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم، فتمسك النار: بفعلكم ذلك، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم وولي يليكم. ثم لا تنصرون: يقول فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله، بل يخليكم من نصرته ويسلط عليكم عدوكم)). (3)

(1) روح المعاني للألوسي، (14/275).

(2) جامع البيان في تأويل آي القرآن، (13/529).

(3) نفس المصدر السابق، (15/500).

((والنهي هنا متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيتهم، ومدّ العين إلى زهرتهم. وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. وتأمل قوله وَلَا تَرَكُونَا فَإِنَّ الرُّكُونَ هُوَ المِيلُ اليَسِيرُ)).<sup>(1)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22]

وإن جنود الشيطان من أصحاب المبادئ الهدامة، فعن عبد الله بن مسعود قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً، ثم قال: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ خَطَّ خَطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سَبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ». <sup>(2)</sup>

### المطلب الثالث: سوء الظن والتجسس

إن سوء الظن من الذنوب القلبية، والأمراض المنتشرة التي يمكن أن تكون سبباً لذنوب أخرى كثيرة، وقلّة من الناس هم من لم يلوثوا بهذا الذنب، وأصعب ما فيه هو أن المصاب به لا يلتفت إلى إصابته، فحينئذ لا يرى فيه ذنباً، ومن ثم لا يعتريه الخجل منه ولا يتركه، فإذا اعتاد عليه انقلبت الصغيرة منه إلى كبيرة، وإن كان هذا الذنب مشمولاً بأدلة العفو فإنه يغدو بسبب الإصرار عليه، واستصغاره من الذنوب التي لا تغفر.

وإن حسن الظن يؤدي إلى سلامة الصدر، وتدعيم روابط الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع، فلا تحمل الصدور غلاً ولا حقدًا، وهذه من مقومات صحبة الأخيار، أما صحبة الأشرار فإنها تقوم على سوء الظن، الذي حذر منه الشرع، ونهى عنه، وعده من الكذب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث». <sup>(3)</sup>

وعلى كل إنسان أن يعرف حرمة سوء الظن، وأن يتجنب التلوث به، وعليه إذا تلوث به أن يسارع إلى التوبة منه، لأن التوبة واجبٌ فوري.

(1) الكشف للزمخشري، (433/2).

(2) سنن الدارمي، باب في كراهية أخذ الرأي، (ح 208)، (285/1)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. (208/7).

(3) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلوة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتعاجش، (ح 2536)، (4/1985).

أولاً: أنواع سوء الظن وأحكامه:

1- سوء الظن بالله:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:154].

وقال تعالى: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:6]

قال الفخر الرازي: ((واعلم أنه قدّم المنافقين على المشركين في الذكر في كثير من

المواضع لأمر:

أحدها: أنهم كانوا أشدّ على المؤمنين من الكافر المجاهر؛ لأن المؤمن كان يتوقّى المشرك المجاهر، وكان يخالط المنافق لظنه بإيمانه، وهو كان يفتسي أسرارَهُ، والمنافق على صورة الشيطان فإنه لا يأتي الإنسان على أنه عدوك، وإنما يأتيه على أنه صديقك، والمجاهر على خلاف الشيطان من وجهه، ولأن المنافق كان يظن أن يتخلص للمخادعة، والكافر لا يقطع بأن المؤمن إن غلب يديه، فأول ما أخبر الله أخبر عن المنافق وقوله الظانين بالله ظنّ السوء هذا الظنّ يحتمل وجوهاً أحدها: هو الظنّ الذي ذكره الله في هذه السورة بقوله: ﴿... بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَبِّينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح:12].

ثانيها: ظنّ المشركين بالله في الشرك، كما قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ

سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ الْأَمْرَ الْأَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ

الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:40] إلى أن قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم:28].

ثَالِثُهَا: ظَنُّهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرَى وَلَا يَعْلَمُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿... وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾. [فَصَلَتْ 22] وَالْأَوَّلُ أَصْحَحُ أَوْ نَقُولُ الْمُرَادُ جَمِيعُ ظُنُونِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ ظَنُّهُمْ الَّذِي ظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُحْيِي الْمَوْتَى، وَأَنَّ الْعَالَمَ خَلَقَهُ بَاطِلٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا<sup>(1)</sup>.

قال أبو حامد الغزالي: ((اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك، ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه، بل الشك أيضاً معفو عنه، ولكن المنهي عنه أن يظن، والظن عبارة عما تركز إليه النفس ويميل إليه القلب.

فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12]

وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً، إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته، وما لم تشاهده بعيانك ولم تسمعه بأذنك، ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه، فإنه أفسق الفاسق، وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق فنبأ فتنبئوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فلا يجوز تصديق إبليس، وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد، واحتمل خلافه، لم يجز أن تصدق به؛ لأن الفاسق يتصور أن يُصدق في خيره، ولكن لا يجوز لك أن تصدق به، حتى إن من استنكه فوجد منه رائحة الخمر، لا يجوز أن يحد، إذ يقال: يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر، ومجها وما شربها أو حمل عليه قهراً، فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة، فلا يجوز تصديقها بالقلب<sup>(2)</sup>.

وترى الباحثة أن صاحب الشرير يتصف بالأخلاق السيئة، التي هي السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى جهنم، والصاحب السيء يظن بصاحبه السوء، ويتجسس على الآخرين وقد أمر الله باجتنب هذه الصفات .

(1) مفاتيح الغيب، (28، 70).

(2) إحياء علوم الدين، (150/3).

فقال ﷺ في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12]

نهى الله تعالى عن كثير من الظن فقال: ﴿... اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ...﴾ [الحجرات:12]، وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فقال تعالى: ﴿.. إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ..﴾ فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضاً، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

ولا تجسسوا أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن أحواله التي إذا فتشت، ظهر منها ما لا ينبغي. (1)

((هذه الآية تقيم سياقاً آخرًا في هذا المجتمع الفاضل الكريم، حول حرمة الأشخاص به وكراماتهم وحررياتهم، بينما هي تعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم، في أسلوب مؤثر عجيب.

وتبدأ- على نسق السورة- بذلك النداء الحبيب: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» .. ثم تأمرهم باجتناب كثير من الظن، فلا يتركوا نفوسهم نهياً لكل ما يهجن فيها حول الآخرين، من ظنون وشبهات وشكوك. وتعلل هذا الأمر: «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»، وما دام النهي منصباً على أكثر الظن، والقاعدة أن بعض الظن إثم، فإن إحياء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السيء أصلاً؛ لأنه لا يدري أي ظنونه تكون إنمًا! بهذا يظهر القرآن الضمير من داخله أن يتلوث بالظن السيء، فيقع في الإثم ويدعه نقياً بريئاً من الهواجس والشكوك، أيضاً يكن لإخوانه المودة التي لا يخذشها ظن السوء والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع. وما أروع الحياة في مجتمع بريء من الظنون! ولكن الأمر لا يقف في الإسلام عند هذا الأفق الكريم الوضيء، في تربية الضمائر والقلوب، بل إن هذا النص يقيم مبدأ في التعامل، وسياجاً حول حقوق الناس الذين يعيشون في مجتمعه النظيف، فلا يؤخذون بظننة، ولا يحاكمون بريئة، ولا يصبح الظن أساساً لمحاكمتهم، بل لا يصح أن يكون أساساً للتحقيق معهم، ولا للتحقيق حولهم.

ومعنى هذا أن يظل الناس أبرياء، مصونة حقوقهم، وحررياتهم، واعتبارهم. حتى يتبين بوضوح أنهم ارتكبوا ما يؤخذون عليه. ولا يكفي الظن بهم لتعقبهم بغية التحقق من هذا الظن الذي دار حولهم! فأى مدى من صيانة كرامة الناس وحررياتهم وحقوقهم واعتبارهم ينتهي إليه هذا النص!

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (801/1).

وأين أقصى ما تتعجب به أحسن البلاد ديمقراطية وحرية وصيانة لحقوق الإنسان فيها من هذا المدى الذي هتف به القرآن الكريم للذين آمنوا، وقام عليه المجتمع الإسلامي فعلاً، وحققه في واقع الحياة، بعد أن حققه في واقع الضمير؟

ثم يستطرد في ضمانات المجتمع إلى مبدأ آخر يتصل باجتتاب الظنون: وَلَا تَجَسَّسُوا: والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن وقد يكون حركة ابتدائية لكشف العورات، والاطلاع على السوءات)).<sup>(1)</sup>

## 2- سوء الظن بالمؤمنين:

لا يجوز سوء الظن بالمؤمنين لأنه ظلم لهم، والواجب على المؤمن أن يحسن الظن بالمؤمنين، أما سوء الظن بالمؤمنين فإنه يشيع البغضاء والكراهية بين المؤمنين، وإن هذه الصفة هي من صفات الأشرار مثل المشركين والمنافقين، الذين اتهموا عائشة -رضي الله عنها- بصفات لا تليق بها، وقد برأها الله ﷻ، وحذر من ظن السوء بالمؤمنين والمؤمنات.

فسوء الظن بالمسلم يسبب البغضاء بين المسلمين، وإن هذه الصفة من صفات صحبة الأشرار، مثل المشركين والمنافقين الذين اتهموا عائشة -رضي الله عنها- بصفات لا تليق بها وقد برأها الله، وحذر من ظن السوء بالمؤمنين والمؤمنات.

قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ

مُبِينٌ﴾ [النور: 12]

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ يعني: الحديث الكذب، وهو قول أهل الإفك، ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ: بإخوانهم وأهل دينهم خيراً، والمعنى كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول أهل الإفك أن يكذبوه، ويحسنوا الظن، ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته، وفيه معاتبة للمؤمنين، وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ يعني: كذب بيّن لا حقيقة له.<sup>(2)</sup>

عن أبي هريرة ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَكَلَّتْ غُلَامًا أَسْوَدًا، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ قَالَ: أَرَاهُ عَرِقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عَرِقٌ».<sup>(3)</sup>

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب، (6/3345).

(2) لباب التأويل للخازن، (3/288).

(3) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما جاء في التعريض، (ح 6847)، (8/173).

وقد قال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: 12]

((هَذَا تَحْرِيسٌ عَلَى ظَنِّ الْخَيْرِ وَرَجْرٌ وَأَدَبٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْخِطَابَ لِلْمُؤْمِنِينَ حَاشَا مَنْ تَوَلَّى كِبْرَهُ. قِيلَ: وَيَحْتَمَلُ دُخُولُهُمْ فِي الْخِطَابِ وَفِيهِ عِتَابٌ، أَيْ كَانَ الْإِنْكَارُ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ، وَعَدَلَ بَعْدَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ وَعَنِ الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ فَلَمْ يَجِئِ التَّرْكِيبُ ظَنَنْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا وَقَلْتُمْ لِيُبَالِغَ فِي التَّوْبِيخِ بِطَرِيقَةِ اللَّتْفَاتِ وَلِيُصْرَحَ بِالْفِظِ الْإِيمَانَ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ الْإِشْتِرَاكَ فِيهِ مُقْتَضٍ أَنْ لَا يُصَدَّقَ مُؤْمِنٌ عَلَى أَخِيهِ قَوْلَ عَائِبٍ وَلَا طَاعِنٍ، وَفِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ حَقَّ الْمُؤْمِنِ إِذَا سَمِعَ قَالَةً فِي أَخِيهِ أَنْ يَبْنِيَ الْأَمْرَ فِيهِ عَلَى ظَنِّ الْخَيْرِ، وَأَنْ يَقُولَ بِنَاءً عَلَى ظَنِّهِ هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ هَكَذَا بِالْفِظِ الصَّرِيحِ بِبِرَاءَةِ أَخِيهِ كَمَا يَقُولُ الْمُسْتَبِقُونَ الْمُطَّلِعُ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ)).<sup>(1)</sup>

3- سوء الظن بالأشرار:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَتَبْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ \* هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ مُحِبِّيهِمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾. [آل عمران: 118-120].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ يعني: خلة وصداقة من غير أهل دينكم، وإنما سميت بطانة؛ لقربها من البدن، من دُونِكُمْ أي: من دون المؤمنين، نزلت الآية في شأن جماعة من الأنصار، كانت بينهم وبين اليهود مواصلة وخاصية، وكانوا على ذلك بعد الإسلام، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك. ويقال: كل من كان على خلاف مذهبه ودينه، لا ينبغي له أن يحدّثه.

وروى أبو هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»<sup>(2)</sup>

(1) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، (21/8).

(2) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ماجاء بأخذ المال بحقه، (ح2378)، (589/4) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

ثم بيّن الله المعنى الذي لأجله نهى عن المواصلة فقال تعالى: **لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا أَي فسادًا،** يعني لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني أنهم لا يتركون- وإن لم يقاتلوكم في الظاهر- فإنهم لا يتركون جهدهم في المكر والخديعة ودّوا ما عنتم ما أنتمت بربكم.

ثم قال: **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ، أَي:** ظهرت العداوة والتكذيب لكم من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر أي: والذي في صدورهم من العداوة أكثر مما أظهروا بأفواههم. ويقال: وما تخفي صدورهم أكبر، أي قصدهم قتل محمد ﷺ، لأنهم كانوا يضمرون ذلك، **قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ يَعْنِي:** أخبرناكم بما أخفوا، وبما أبدوا بالدلالات والعلامات، **إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ:** وتصدقون، **هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءِ** يعني: ها أنتم يا هؤلاء تحبونهم لمظاهرتكم إياهم، **وَلَا يُحِبُّوْنَكُمْ** لأنهم ليسوا على دينكم. (1)

قال تعالى: **﴿ فَلَا تَطْعِ الْمُكْذِبِينَ \* وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ \* وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ \* هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ \* مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾**. [القلم: 8-12].

يقول الله تعالى، لنبيه ﷺ: **فَلَا تَطْعِ الْمُكْذِبِينَ:** الذين كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلاً لأن يُطاعوا، لأنهم لا يأمرن إلا بما يوافق أهواءهم، وهم لا يريدون إلا الباطل، فالمطيع لهم مقدّم على ما يضره، وهذا عام في كل مكذب، وفي كل طاعة ناشئة عن التكذيب، وإن كان السياق في شيء خاص، وهو أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ، أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم، ويسكتوا عنه، ولهذا قال: **وَدُّوا، أَي:** المشركون، **لَوْ تُدْهِنُ، أَي:** توافقهم على بعض ما هم عليه، إما بالقول أو الفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، **فَيُدْهِنُونَ:** ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره، بنقض ما يضاده، وعيب ما يناقضه.

**وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ أَي:** كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا وهو كذاب، ولا يكون كذاباً إلا وهو مهين، أي: خسيس النفس، ناقص الهمّة، ليس له همة في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة.

**هَمَّازٍ أَي:** كثير العيب للناس، والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء، وغير ذلك.

**مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ أَي:** يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء.

**مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ:** الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك، **مُعْتَدٍ:** على الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض، **أَثِيمٍ أَي:** كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق الله تعالى.

(1) بحر العلوم للسمرقندي، (241/1).



عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَي: غليظ شر الخلق، قاس، غير منقاد للحق، زَنِيمٌ أَي: دعي، ليس له أصل ولا ينتج منه الخير، بل أخلاقه أفتح الأخلاق، ولا يرجى منه فلاح، له زنمة أَي: علامة في الشر، يعرف بها).

وحاصل هذا، أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيء الأخلاق، خصوصاً الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر على الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصي. (1)

ويقول طنطاوي في تفسيره لهذه الآية: ((أَي: إن ربك- أيها الرسول الكريم- لا يخفى عليه شيء من أحوالك وأحوالهم، وما دام الأمر كذلك، فاحذر أن تطيع هؤلاء المكذبين في شيء مما يقترحونه عليك، فإنهم أحبُّوا وودَّوا أن تقبل بعض مقترحاتهم، وأن تلاتينهم وتطاعهم فيما يريدون منك.. وهم حينئذ يظهر لك من جانبهم الملاينة والمصانعة.. حتى لكأنهم يميلون نحو الاستجابة لك، وترك إيذائك وإيذاء أصحابك)). (2)

من خلال ما سبق تبين للباحثة أنه يجوز سوء الظن بالأشرار؛ للحذر والابتعاد عنهم، كما بينت الآيات السابقة وتفسير العلماء في ذلك.

### ثانياً: أسباب سوء الظن ودوافعه:

إن سوء الظن ينشأ لعدة أسباب، ودوافع تذكر الباحثة أهمها:

#### 1- الجهل:

إن السبب الرئيس لسوء الظن بالله ﷻ هو الجهل به وبِعظمتِهِ، وعدم الإيمان به إيماناً حقيقياً ويدل على حرمة سوء الظن بالله، واليأس من رحمته قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 175]

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ يعني: إنما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان، يخوف بالوسوسة، بأن ألقى ذلك في أفواههم؛ ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجنبوهم، قوله أَوْلِيَاءَهُ يعني: الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين بأوليائه. وقيل: معناه أَوْلِيَاءَهُ في صدوركم لتخافوهم، وقيل: معناه يخوف أَوْلِيَاءَهُ المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين، وأَوْلِيَاءَهُ الشيطان هم الكفار والمنافقون، الذين يطيعونه ويؤثرون أمره، وأَوْلِيَاءَهُ الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان، إذا خوفهم ولا يطيعونه إذا أمرهم، فَلَا تَخَافُوهُمْ يعني فلا تخافوا أَوْلِيَاءَهُ الشيطان، ولا تقعدوا عن قتلهم، ولا تجنبوا

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (1/ 879).

(2) التفسير الوسيط، (15/ 43).

عنهم، وَخَافُونَ أَي: فجاهدوا في سبيلي مع رسولي، فَإِنِّي وَلِيُّكُمْ وَنَاصِرُكُمْ، إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ: أي مصدقين بوعدِي، إِنِّي مُتَكَفِّلٌ لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ. (1)

## 2- تسويل الشيطان وكيد إبليس:

من أعظم مكائد الشيطان أن يضرب الغفلة على قلوب العباد حتى يسهل السيطرة عليها بعد ذلك، وينسيهم ذكر الله ويزين لهم المعاصي كسوء الظن بالآخرين، والنجوى التي أساسها الشيطان، وتسبب العداوة والبغضاء بين المسلمين، وقد نهى الله عن سوء الظن والنجوى بالسوء، فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة:10]

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ أَي: إنما التتاجي أو المسارة بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ من تزيين الشيطان وتسويله ووسوسته ليسوء المؤمنين، ولأجل أن يوقعهم في الحزن بإيهامهم أنهم في مكيدة يكادون بها، وليس الشيطان أو التتاجي الذي يزينه الشيطان بضار المؤمنين شيئاً، إلا بإرادة الله تعالى ومشيتته.

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ أَي: فلا يأبه المؤمنون بتتاجيهم، وليتوكلوا على الله ربهم، بأن يوكلوا أمرهم إليه، ويفوضونه في جميع شؤونهم، ويستعينون بالله من الشيطان، ولا يبالون بما يزينه من النجوى. (2)

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴾ [المائدة:91]

إن هدف الشيطان، وغاية كيده، وثمره رجسه هو إيقاع العداوة والبغضاء في الصف المسلم- وصد الذين آمنوا عن ذكر الله وعن الصلاة.. ويا لها إذن من مكيدة! فالخمر بما تفقد من الوعي، وبما تثير من عرامة اللحم والدم، وبما تهيج من نزوات ودفعات. والميسر الذي يصاحبها وتصابه بما يتركه في النفوس من خسارات وأحقاد، إذ المقمور لا بد أن يحقد على قامره الذي يستولي على ماله أمام عينيه، ويذهب به غانماً وصاحبه مقمور مقهور، إن من طبيعة هذه الأمور أن تثير العداوة والبغضاء، مهما جمعت بين القرناء في مجالات من العريضة والانطلاق اللذين يخيل للنظرة السطحية أنهما أنس وسعادة! وأما الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فلا يحتاجان إلى نظر... فالخمر تنسي، والميسر يلهي، وغيوبة الميسر لا تقل عن غيبوبة الخمر عند المقامرين، وعالم

(1) لباب التأويل للخازن، (1/ 323).

(2) التفسير المنير للزحيلي، (35/28).

المقامير كعالم السكير لا يتعدى الموائد والأقداح والقداح! وهكذا عندما تبلغ هذه الإشارة إلى هدف الشيطان من هذا الرجز غايتها من إيقاظ قلوب الذين آمنوا وتحفزها، يجيء السؤال الذي لا جواب له عندئذ إلا جواب عمر رضي الله عنه وهو يسمع: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟ فيجيب لتوه: انتهينا. انتهينا. (1)

### 3- اتباع الهوى:

إن اتباع الهوى أمر خطير؛ لأنه يصد عن الحق، وعن الطريق الصحيح، وعواقبه تكون وخيمة على صاحبها، فقد ذم الله اتباع الهوى، وحذر منه في آيات كثيرة، ومن هذه الآيات قوله تبارك وتعالى: ﴿... فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ ...﴾. [النساء 135].

و شبه الله من اتبع هواه وركن إلى الدنيا بأخس مخلوقاته؛ فقال تعالى: ﴿... وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ كَحَمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176]، وقال تعالى: ﴿... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابَ﴾ [ص: 26]

((وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ أَي: ما يهوي بصاحبه فيسقطه من أوج الرضوان إلى حضيض الشيطان، ثم سبب عنه قوله فيضلك أي: ذلك الإتياع أو الهوى؛ لأن النفس إذا تعودت على ذلك صار لها خلقاً فغلب صاحبها عن ردها عنه، ولفت القول عن مظهر العظمة إلى الاسم الأعظم الجامع لجميع الأسماء الحسنی، والصفات العلی، تعظيماً لأمر سيبله، وحثاً على لزومه والتشرف بحلوه، فقال عن سبيل الله أي: طريقه التي شرعها للوصول إليه بما أنزل من النقل المؤيد بأدلة ما خلق من العقل، ولا يوصل إليه بدونها لأن إتياعه يوجب الانهماك في اللذات الجسمانية، والإهمال لتكميل القوى الروحانية، الموصلة إلى السعادة الأبدية، فإن دواعي البدن والروح متضادتان، فيقدر زيادة إحداهما تنقص الأخرى)). (2)

### 4- الحسد والحقد والتكبر والغرور:

وتعتبر عاملاً آخر من عوامل سوء الظن، لأن الإنسان الحسود والحقود يريد من خلال سوء الظن إسقاط شخصية الطرف الآخر والتقليل من اعتباره، وكذلك الشخص المتكبر يتحرك من موقع تحقير الآخرين، والسخرية بشخصيتهم، من خلال إساءة الظن بهم، وبذلك يخلق في ذهنه عن شخصية الطرف الآخر صورة مهزوزة وحقيرة.

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب، (976/2)، (بتصرف).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، (368/16).

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَمُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:109]

يقول الحق ﷻ في التحذير من اليهود، وغيرهم من الكفار: تمنى الذين كفروا من أهل الكتاب وغيرهم لو يصرفونكم عن دينكم ويردُّونكم من بعد إيمانكم بنبيكم كُفَّارًا ضالين، كما كنتم قبل الدخول فيه، وذلك حسدًا من تلقاء أنفسهم، غير أن تكون النبوة في غيرهم، وذلك من بعد ما تبين لهم الحق، وعرفوه كما يعرفون أبناءهم، فاعتفوا عن عقابهم، وأعرضوا عن تشغيبيهم حتى يأتي الله بأمره فيهم بالقتل والجلاء. إن الله على كل شيء قدير، واشتغلوا بما كلفكم به من أداء حقوق العبودية، والقيام بوظائف الربوبية، كإتقان الصلاة وأداء الزكاة، واعلموا أن الله لا يضيع من أعمالكم شيئاً، فما تقدموا لأنفسكم ليوم فقرم تجدوه عند الله خيراً، وأعظم أجراً، إن الله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأحوالكم. (1)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:206]

((هؤلاء أقوام استولى عليهم التكبر، وزال عنهم خضوع الإنصاف، فشمخت آنافهم عن قبول الحق، فإذا أمرته بمعروف قال: ألمتلي يقال هذا؟! وأنا كذا وكذا! ثم يتكبر عليك فيقول: وأنت أولى بأن تؤمر بالمعروف وتنتهى عن المنكر، فإن من حالك وقصتك كذا وكذا. أو لو ساعده التوفيق وأدركته الرحمة، وتقلد المنة بمن هداه إلى رؤية خطئه، ونبهه على سوء وصفه، لم يطو على نصيحة جنبيه وتبقى في القلب - إلى سنين - آثارها.

قال تعالى: **فحسبه جهنم**، يعنى: ما هو فيه في الحال من الوحشة وظلمات النفس، وضيق الاختيار، حتى لا يسعى في شيء غير مراده، فيقع في كل لحظة في العقوبة والمحنة)). (2)

**وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَي: لذلك الإنسان، اتق الله: في فعلك، أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، أي: لزمه التكبر** الحاصل بالإثم الذي في قلبه. فإن التكبر إنما حصل بسبب ما في قلبه من الكفر والجهل وسوء الظن، وعدم النظر في الدلائل، **فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ أَي: كافيته جهنم جزاء له وعذاباً وَلَيْسَ الْمِهَادُ.** (3)

(1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، (151/1) .

(2) لطائف الإشارات للقسيري، (1/170/171) . .

(3) مراحيب لبيد لكشف معنى القرآن المجيد محمد بن عمر نووي الجاوي، (69/1)، (بتصرف).

ثالثاً: آثار سوء الظن:

إن لسوء الظن آثار كثيرة تذكر الباحثة أهمها:

1- زوال الثقة:

حيث إن الثقة بين أفراد المجتمع تعدّ محور المجتمعات البشرية، والعنصر المهم في عملية شد مفاصل المجتمع، وتقوية الوشائج والعلاقات التي تربط بين أفرادها. فنجد أنّ المجتمع البشري الذي يسوده عدم الثقة، تتبخر فيه أجواء التعاون والتكاتف، وتزول منه البركات الكثيرة للحياة المشتركة في حياة الإنسان.

قال تعالى: ﴿.... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنََّّ

اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:2].

((وتعاونوا أي: ليعين بعضكم بعضاً، ويقال: للمرأة إذا كسى لحمها وتراجمها: متعاونة على البرّ، وهو متابعة الأمر، والتّقوى: وهو مجانبة الهوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان يعني: المعصية والظلم)).<sup>(1)</sup>

وقال أيضاً: ﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. [العصر: 1-3].

((أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح، والخسارة مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خاسراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم، وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسارة لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به، والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة، والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه، والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة. فبالأميرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأميرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسارة، وفاز بالربح العظيم)).<sup>(2)</sup>

(1) جامع البيان للطبري (11/4) .

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (934/1).

2- تولد الشك:

يتولد عن سوء الظن بالله والمؤمنين تولد الشك، فإن الكافرين والمشركين كانوا يشكون بالله، فقال تعالى: ﴿... وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:10]

إن المنافقين ظنوا أن محمداً وأصحابه سيغلبون ويستأصلون، وأمّا المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حق من أنه سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون. (1)

كما أنهم كانوا يشكون أن الله لا يعلم شيئاً، وهذه صفات صحبة الأشرار، كأمثال الكفار والمنافقين والمشركين، قال تعالى: ﴿... وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:22]

وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ، أَرْدَاكُمْ أَي: هَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ - وَهُوَ اعْتِقَادُكُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ - هُوَ الَّذِي أَتْلَفَكُمْ وَأَرْدَاكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ أَي: فِي مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ خَسِرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ. (2)

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهُ لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ» ((وإن المؤمن أحسن الظن بربه، فأحسن العمل. وإن المنافق أساء الظن بربه، فأساء العمل. فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ يعني: صرتم من المغبونين)). (3)

كما أن هؤلاء الكفار والمنافقون كانوا يشكون في قيام الساعة. فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية:32]

((حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ حَقٌّ، وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، قَالُوا: مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ؟ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ)). (4)

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ يَعْنِي: إِذَا قَالَ لَكُمْ الرِّسَالُ فِي الدُّنْيَا، أَيُّهَا الْكُفَّارُ الْمُشْرِكُونَ إِنْ الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا أَي: لَا شَكَّ فِيهَا... إِنْ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ

(1) الكشف والبيان للثعلبي، (بتصرف بسيط)، (18/8).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (172/7).

(3) بحر العلوم للسمرقندي، (224/223/3).

(4) مفاتيح الغيب، للرازي، (682/27).

فيها، أي: لا شك فيها فُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ يَعْنِي: ما القيامة، وما البعثِ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا يَعْنِي: قلتم ما نظن إلا ظناً غير اليقين وما نَحْنُ بِمُسْتَيَقِّينَ أَنَّهَا كَانَتْ. (1)

قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا

يَفْعَلُونَ﴾ [يونس:36]

((قال أبو جعفر الطبري: وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ظناً، يقول: إلا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته، بل هم منه في شكٍّ وريبة، الظن لا يغني من الحق شيئاً يقول: إن الشك لا يغني من اليقين شيئاً، ولا يقوم في شيء مقامه، ولا ينتفع به حيث يُحْتَاجُ إِلَى اليقين، إن الله عليم بما يفعلون، يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون، من اتباعهم الظن، وتكذيبهم الحق اليقين، وهو لهم بالمرصاد، حيث لا يُغْنِي عَنْهُمْ ظَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)). (2)

(1) بحر العلوم للسمرقندي، (بتصرف ببسيط)، (282/3) .

(2) جامع البيان، (89/15) .

# الفصل الثالث

## آثار الصحبة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: آثار صحبة الأخيار على الفرد.

المبحث الثاني: آثار صحبة الأخيار على المجتمع.

المبحث الثالث: آثار صحبة الأشرار على الفرد.

المبحث الرابع: آثار صحبة الأشرار على المجتمع.



## الفصل الثالث

### آثار الصحبة

إن من حكمة الله ﷻ خلق الخلق بتدبيره، وفطرهم بتقديره، فكان من لطيف ما دبّر، وبديع ما قدر، أن خلق الإنسان مطبوعاً على الافتقار إلى جنسه، راغباً في مصاحبة من هم على شاكلته، ميالاً إلى مخالطة أفراد نوعه ومجالسة بني جلدته.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:13]

وقد جاءت شريعة أحكم الحاكمين، ملبية لهذه الحاجة الفطرية، التي يصلح بها معاش الناس ومعادهم، ولكنها بينت أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان، فحثت على صحبة المتقين الأبرار، ونهت وحذرت عن صحبة أهل المعاصي والأشرار، وذلك لما للأصحاب من أثر على دينه وعقله وخلقه، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال النبي ﷺ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل». (1) وقد أدرك العلماء والعقلاء أثر الصحاب على صاحبه، فحثوا على صحبة الأخيار، وحذروا من صحبة الأشرار .

وقد تمثل هذا بمثال ضربه لنا النبي ﷺ، فعن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ: «إنما مثل الجلوس الصالح، والجلوس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك - أي يعطيك - أو إما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» (2)

وقد نبه بهذا الحديث على أن حق الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار، ومجالستهم، فهي قد تجعل الشرير خيراً، كما أن صحبة الأشرار قد تجعل الخير شريراً، لأن الصحبة الصالحة تنتج إنساناً صالحاً في دينه وخلقه، أما الصحبة السيئة تنتج إنساناً عارياً من الخلق والدين، غير صالح لهذا المجتمع، بل هو بمثابة المرض الذي يقضي على الأسرة، وبالتالي على المجتمع.

(1) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ماجاء بأخذ المال بحقه، (ح2378)، (589/4) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب .

(2) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب المسك، (ح1959)، (96/7).

## المبحث الأول

## آثار صحبة الأخيار على الفرد

وفيه أربعة مطالب:

## المطلب الأول: الاستقامة والصلاح .

حث الشرع على صحبة الأخيار، ومودة المتقين الأبرار، لأنها تزيد الصحبة استقامة وصلاحاً، فإن صحبة هؤلاء تورث الخير في الدنيا والآخرة، ولها ثمرات طيبة وآثار مباركة، لذا أمر الله سبحانه ﷻ بها فقال جل ذكره: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. [الكهف:28].

ومن آثار صحبة الأخيار وثمارها أن حضور مجالس الخير معهم سبب لمغفرة الذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ» قال: «فَيَحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قال: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَمَجِّدُونَكَ » قال: « فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ » قال: « فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ » قال: « فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ » قال: « يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا » قال: « يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ » قال: « يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ » قال: « يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ » قال: « يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا » قال: « يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ » قال: « يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حَرِصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلِبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ » قال: « يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ » قال: « يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ » قال: « يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا » قال: « يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ » قال: « يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فَرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً » قال: « يَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ » قال: « يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ. » (1)

(1) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله، (ح 6408)، (86/8).

كما أن آثار صحبة الأخيار محبتهم، ومحبتهم سبب لمشاركتهم في خير الدنيا ونعيم الآخرة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». (1)

ومن آثارها أيضاً: التأثير بهم والافتداء بسلوكهم وأخلاقهم واستقامتهم.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾. [فصلت:30].

((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ اعْتِرَافاً بِرَبوبيته، وإقراراً بوحديته، ثُمَّ اسْتَقَامُوا فِي الْعَمَلِ، وَتَمَّ لَتْرَاحِيهِ عَنِ الْإِقْرَارِ فِي الرِّتْبَةِ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مَبْدَأُ الْاسْتِقَامَةِ، أَوْ لِأَنَّهَا عَسْرٌ قَلَّمَا تَتَّبَعِ الْإِقْرَارَ، وَمَا رَوَى عَنِ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ فِي مَعْنَى الْاسْتِقَامَةِ مِنَ الثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ، وَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ فَجَزَائِيَّتِهَا. تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ: فِيمَا يَعْنُ لَهُمْ بِمَا يَشْرَحُ صَدُورَهُمْ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ الْخَوْفَ وَالْحُزْنَ، أَوْ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ الْخُرُوجِ مِنَ الْقَبْرِ. أَلَّا تَخَافُوا: مَا تَقْدَمُونَ عَلَيْهِ. وَلَا تَحْزَنُوا: عَلَى مَا خَلْفْتُمْ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ: فِي الدُّنْيَا عَلَى لِسَانِ الرَّسْلِ)). (2)

وإن صاحب الصالح يسلك طريق الاستقامة ويعين أصحابه عليها، وينهج طريق الأنبياء والصالحين، ويؤثر عليهم بالهداية.

قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة 6،7].

أرشدنا الحق - سبحانه - إلى طلب الهداية والتوفيق منه، حتى نسير على منهج الحق والعدل، ونلتزم طريق الاستقامة والنجاة، وهو طريق الإسلام المستمر الذي أنعم الله به على النبيين والصدّيقين والصالحين. وهذا شأن صاحب القويم على منهج الله تعالى، فهو يختار طريق الهداية والاستقامة ويعين أصحابه عليه. (3)

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:112].

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله تعالى، (ح 6169)، (8، 39).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (5/ 71).

(3) التفسير المنير للزحيلي، (58/1)، (بتصرف).

((فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْفُواْ أَي: فالزم الصراط المستقيم، الذي لا عوج فيه واثبت عليه، وكذلك فليستقم من تاب من الشرك وأمن معك، ولا تتحرفوا عما رُسم لكم، بتجاوز حدوده غلواً في الدين، فإن الإفراط فيه كالتقريط، كلاهما زيغ عن الصراط المستقيم)). (1)

وإن الاستقامة تعمل على زيادة الإيمان والاطمئنان، وهي سبيل السعادة، وسبيل الفلاح للفرد وللمجتمع. ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ، فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا. فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ ﴿الجن:13﴾

((أي: وأنا لما سمعنا الهدى، أي: القرآن من النبي ﷺ، آمناً به: بدون تردد أو شك، فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ: وبما أنزله على نبيه ﷺ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا أَي: نقصاً في ثوابه، وَلَا رَهَقًا أَي: ولا يخاف-أيضاً- ظلماً يلحقه بزيادة في سيئاته، أو إهانة تذله وتجعله كسير القلب، منقبض النفس، فالمراد بالبخس: الغين في الأجر والثواب. والمراد بالرهق: الإهانة والمذلة والمكروه، والمقصود بالآية الكريمة إظهار تقتهم المطلقة في عدالة الله ﷻ)). (2)

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾. [طه:112].

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ مُصَدِّقٌ بَتَوْحِيدِ اللَّهِ ﷻ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا فِي الْآخِرَةِ يعني أن تظلم حسناته كلها، حتى لا يجازى بحسناته كلها، ولا ينقص منها شيئاً. (3)

((لأن المعنى: ومن يعمل من الصالحات، وهو مؤمن فليأمن، لأنه لم يفرط فيما وجب عليه، ونهيه عن الخوف أمر بالأمن، والهضم: النقص، يقال: يهضمني فلان حقي، أي ينقصني)). (4)

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[الرعد:28] ((أي: تسكن قلوبهم بذكر الله، وقيل: تستأنس قلوبهم بذكر الله، والسكون باليقين)). (5)

((فهم أصحاب اطمأنت قلوبهم بذكرهم الله، وفي الذكر وجدوا سلوتهم، وبالذكر وصلوا إلى صفوتهم. وأصحاب اطمأنت قلوبهم بذكر الله فذكرهم الله ﷻ بلطفه، وأثبت الطمأنينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم)). (6)

(1) تفسير المراغي، للمراغي، (90/12).

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي، (138/15).

(3) تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان، (بتصرف)، (42/3).

(4) التفسير الوسيط للواحدى، (223/3).

(5) تفسير القرآن للسمعاني، (92/3).

(6) لطائف الإشارات للقشيري، (229/2).

فما أعظم الصحبة الطيبة وأحسن عاقبتها، وما أكثر فوائدها وأطيب ثمارها، فهي سبيل للهداية في الدنيا، ونجاة من النار في الآخرة.

وأما في الدنيا قال تعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾. [فصّلت: 31]. وَفِي الْآخِرَةِ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ \* نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾. [فصّلت 31-32].

### المطلب الثاني: التناصح

إن للنصيحة في ديننا مكانة سامية، ومنزلة عالية، كيف لا وقد جعل رسول الله ﷺ مفهوم النصيحة مساوياً للدين كله فعن تميم الداري<sup>(1)</sup> رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(2)</sup>

وقد أخذ رسول الله ﷺ البيعة على أصحابه ببذل النصح للمسلمين، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: «بأيعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم».<sup>(3)</sup>

وقد اجتهد الرسل - عليهم السلام - أشد الاجتهاد في دعوة قومهم، وحرصوا أشد الحرص على هدايتهم، ولم يدخروا جهداً في نصيحتهم، فهذا نبي الله نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. [الأعراف: 61-62].

وقد سار على طريقة نوح في بذل النصيحة من جاء بعده من الرسل، فهذا هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾. [الأعراف: 68].

وقالها صالح عليه السلام: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾. [الأعراف: 79] وقال شعيب عليه السلام: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾. [الأعراف: 93].

(1) تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية: صحابي، أسلم سنة 9 هـ، روى له البخاري ومسلم 18 حديثاً. وللمقرئزي فيه كتاب سباه (ضوء الساري في معرفة خير تميم الداري). مات في فلسطين (الأعلام للزركلي 2، 87).

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين نصيحة، (ح55)، (74/1).

(3) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة، (ح21/1)، (ح57).

وقد شهد الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ أنه بلغ رسالة ربه ونصح لقومه، فعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «وأنتم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. (1)

وأن الله تعالى ذم بني إسرائيل لعدم قيامهم بواجب النصيحة فيما بينهم، فقد قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ\* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. [المائدة: 78-79].

قال أبو جعفر الطبري: ((كان هؤلاء اليهود الذين لعنهم الله "لا يتناهون" ، يقول: لا ينتهون عن منكر فعلوه، ولا ينهى بعضهم بعضاً. ويعني بـ"المنكر"، المعاصي التي كانوا يعصون الله بها. فتأويل الكلام: كانوا لا ينتهون عن منكر أتوه "لبئس ما كانوا يفعلون". وهذا قسم من الله تعالى ذكره يقول: أقسم: لبئس الفعل كانوا يفعلون، في تركهم الانتهاة عن معاصي الله تعالى ذكره، وركوب محارمه، وقتل أنبياء الله ورسله. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه"، لا تتناهى أنفسهم بعد أن وقعوا في الكفر)). (2)

وقد توعدهم الله تعالى المشركين بالعذاب لتكذيبهم النبي ﷺ، وعدم انتفاعهم بالنصيحة والذكرى، وأن الذكرى تنفع المؤمنين فقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ\* وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. [الذاريات: 54-55].

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يامحمد، وأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا، وعرفت عنهم العناد واللجاج، فلا لوم عليك في إعراضك بعد ما بلغت الرسالة، وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة، ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله، فإن الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، أي: تؤثر في الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون في الإيمان، أو يزيد الداخلين فيه إيماناً. (3)

قال ابن عاشور: ((وَالْأَمْرُ فِي وَذَكَرْ مُرَادٌ بِهِ الدَّوَامُ عَلَى التَّذْكَيرِ وَتَجْدِيدِهِ. وَأَقْتَصَرَ فِي تَعْلِيلِ الْأَمْرِ بِالتَّذْكَيرِ عَلَى عِلَّةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ انْتِفَاعُ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّذْكَيرِ؛ لِأَنَّ فَائِدَةَ ذَلِكَ مُحَقَّقَةٌ، وَلِإِظْهَارِ الْعِنَايَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَقَامِ الَّذِي أُظْهِرَتْ فِيهِ قَلَّةُ الْكَافِرَاتِ بِالْكَافِرِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَتِ الذِّكْرَى\* سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى\* وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ [الأعلى: 9-11].

(1) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، ﷺ (2/886)، (ح 161/8).

(2) جامع البيان، (10/496).

(3) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، (4/405).

وَالنَّفْعُ الْحَاصِلُ مِنَ الذِّكْرِ هُوَ رُسُوحُ الْعِلْمِ بِإِعَادَةِ التَّنْكِيرِ لِمَا سَمِعُوهُ، وَاسْتِفَادَةُ عِلْمٍ جَدِيدٍ فِيمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ أَوْ غَفَلُوا عَنْهُ، وَلِظُهُورِ حُجَّةِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ يَوْمًا فَيَوْمًا، وَيَتَكَرَّرُ عَجْزُ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْمُعَارَضَةِ وَوَقْفَةِ الْكَلَامِ الْمَعْجَزِ)). (1)

فالنصيحة دعامة من دعامات الإسلام. تعمل على تقويته وتماسكه وإن الإنسان المؤمن هو الحريص على تماسك المجتمع، فهو يتواصى بالحق ويتواصى بالصبر.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. [العصر 1-3].

قوله تعالى والعصر: أقسم الله تعالى بالدهر، لأن فيه عبرة للناظرين من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار.

إن الإنسان يعني: جميع الناس، لفي خسر: والخسر كالخسران، وهو النقصان، وذهاب رأس المال، والمعنى: إن كل إنسان، يعني: الكافر؛ لاستثنائه المؤمنين، لفي ضلال حتى يموت ويدخل النار، والإنسان في هلاك نفسه وعمره، إلا المؤمن العامل بطاعة الله، وهو قوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: وصدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعته، وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ: أوصى بعضهم بعضًا بالقرآن، أو بتوحيد الله تعالى. وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ: عن معاصي الله، وعلى فرائض الله. (2)

((وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عُمِرَ فِي الدُّنْيَا وَهَرِمَ لَفِي نَقْصٍ وَتَرَاجُعٍ، إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ يُكْتَبُ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَمَحَاسِنُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي شَبَابِهِمْ وَصِحَّتِهِمْ))، وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ \* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ [التين: 4-6]. (3)

وإن أثر الصحبة كبير، ووقعها في النفس عميق، فهي أساس المحبة في الله، وهي واجبة على كل فرد.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ». (4)

(1) التحرير والتنوير، (24/27).

(2) التفسير الوسيط للواحدي، (551/4).

(3) معالم التنزيل للبغوي، (302/5)، (بتصرف).

(4) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، (ح 2162)، (1705/4).

وإن صحبة الأخيار تؤثر على الفرد، حيث تجعله يراجع كلام صاحبه، ويدوره برأسه ويرى حقيقة ما كان عليه من خطأ، ويقوم حاله لأن أساسه الخير. أما أثرها على المجتمع، فالمجتمع يصلح بصلاح أفراده، فإذا سادت النصيحة بينهم صلح المجتمع، واندثرت كل الأخطاء والمعاصي التي تداولت بين أفرادها.

وإن الأساس القويم لبناء المجتمع المتماسك هو المحبة بين أفراد ذلك المجتمع، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، فالصاحب الصالح يحب السرور لأخيه، والله تعالى يجازيه على ذلك بسرور أعظم يوم القيامة.

وإن إدخال السرور على نفس صاحب تتم بقضاء حوائجه، أو بالرفق في مخاطبته أو بتخفيف آلامه ومصائبه عند شدائده، أو بتعليمه ما ينفعه، أو ما ينفع من يحبه كولده أو قريبه. فالكلمة الطيبة مفتاح القلوب.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:125]

أمر الله نبيه محمداً ﷺ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَشَرَعَهُ بِتَلَطُّفٍ وَلِينٍ، دُونَ مُخَاشَنَةٍ وَتَعْنِيفٍ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُوعِظَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (1)

((أي ادْعُ من بعثت إليهم. إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ: إِلَى الْإِسْلَامِ. بِالْحُكْمَةِ: بِالْمَقَالَةِ الْمُحْكَمَةِ، وَهُوَ الدَّلِيلُ الْمَوْضُوحُ لِلْحَقِّ الْمَزِيحُ لِلشَّبْهَةِ. وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ: الْخَطَابَاتُ الْمَقْنَعَةُ وَالْعَبْرُ النَّافِعَةُ، فَالْأَوْلَى لِدَعْوَةِ خَوَاصِّ الْأُمَّةِ الطَّالِبِينَ لِلْحَقَائِقِ، وَالثَّانِيَةِ لِدَعْوَةِ عَوَامِهِمْ. وَجَادِلْهُمْ وَجَادِلْهُمْ بِمَا فِيهِمْ، بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ طَرِيقِ الْمَجَادَلَةِ مِنَ الرَّفْقِ وَاللِّينِ وَإِثَارِ الْوَجْهِ الْأَيْسَرِ، وَالْمَقْدِمَاتِ الَّتِي هِيَ أَشْهَرُ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَعُ فِي تَسْكِينِ لَهُبِهِمْ وَتَبْيِينِ شُغْبِهِمْ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ أَي: إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَالِدَعْوَةُ، وَأَمَّا حُصُولُ الْهُدَايَةِ وَالضَّلَالِ وَالْمَجَازَاةِ عَلَيْهِمَا فَلَا إِلَيْكَ، بَلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالضَّالِّينَ وَالْمُهْتَدِينَ وَهُوَ الْمَجَازِي لَهُمْ)). (2)

وقد ضاعف الله أجر الناصح الأمين الذي يرجو بنصيحته خير المسلمين، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا نَصَحَ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ». (3)

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (10 / 200)، (بتصرف).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (245/3).

(3) صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده، (ح1664)، (3/1284).



## المطلب الثالث: التثبيت في الشدائد.

توطئة:

إن الله ﷻ خلق الناس لغاية واحدة، ألا وهي عبادته وحده لا شريك له فقد قال ﷻ: ﴿ وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:56]

ولقد بين لهم ﷻ كيفية العبادة، ووضح لهم صفتها، وفصل لهم أنواعها، فمنها عبادات ظاهرة بالجوارح كالصلاة والصيام، وما إلى ذلك، وعبادات باطنة قلبية، كالتوكل عليه، والرضا به، ومن أهم هذه العبادات القلبية التي نعبدها الله بها الصبر والثبات على المحن والابتلاءات، فإنها صفة من صفات الأنبياء، فقد تعرض النبي ﷺ وأصحابه للاضطهاد والتعذيب على يد أئمة الكفر من قريش، وتحمل الصحابة الكثير في سبيل عقيدتهم، وتعرضوا للفتنة، ورغم كل ألوان الاضطهاد وصنوف التعذيب، ظلوا في ثبات على عقيدتهم ودينهم؛ فمنهم من قضى نحبه تحت التعذيب، ومنهم من نجى من الموت حتى هاجر إلى الله ورسوله.

ومن أهم النماذج التي تعرض لها النبي ﷺ وأصحابه، مارواه عبد الله ﷺ قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ، وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ، فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَأَخَذَتْهُ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ. (1)

وقد كان المشركون يلفون أصحاب رسول الله ﷺ في جلود الإبل والبقر ويلبسونهم دروع الحديد، ثم يضعونهم على صخرة ملتعبة في وقت الظهيرة، ما يزحزحهم ذلك عن عقيدتهم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سَمِيَّةٌ، وَصَهْبِيُّ، وَبِلَالٌ، وَالْمَقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَعِ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدَّ وَأَتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ" (2)

إنه الصبر والثبات من أجل العقيدة، إنه تجسيد لقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ

وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴾. [آل عمران:142].

(1) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، (ح3854)، (5/45).  
 (2) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب فضل سليمان وأبى ذر والمقداد (1/53)، (ح150).  
 (حكم الألباني:حسن).

فإن من أهم مرتكزات ودعائم الثبات في المحن الصبر، فإن الله ﷻ قرن الصبر بالعبادات الأخرى، كالصلاة والتقوى والشكر والرحمة والصدق، فعندما قرنه بالصلاة قال سبحانه: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ\* الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. [البقرة: 45-46].

وعندما قرنه بالتقوى قال تعالى: ﴿... إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. [يوسف: 90]. وبالشكر في قوله تعالى: ﴿... فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: 31] وبالرحمة في قوله: ﴿... وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرِّحْمَةِ﴾ [البلد: 17] وبالصدق في قوله: ﴿... وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾. [الأحزاب: 35].

ففي هذه الآيات الكريمة دلالة واضحة على أهمية الصبر، وأن العبادات لا تتم إلا بالصبر، كالصلاة والصدق، وقد وعد الله المؤمنين بالبشارة على صبرهم، وأكد على ذلك في كتابه فقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ\* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. [البقرة: 155-156].

ولنبلونكم: ولنصيبكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم، هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أم لا؟ بشيء: بقليل من كل واحدة من هذه البلايا، وطرف منه، ويريهم أن رحمته معهم في كل حال، وأعلمهم بوقوع البلاء قبل وقوعها، ليوطنوا نفوسهم عليها، من الخوف: خوف الله والعدو، والجوع: أي القحط أو صوم شهر رمضان. (1)

قال الرازي: ((وَأَمَّا النِّقْصُ فِي الْأَمْوَالِ وَالنَّفْسِ فَقَدْ يَحْصُلُ ذَلِكَ عِنْدَ مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ بَأَن يُنْفِقَ الْإِنْسَانُ مَالَهُ فِي السِّتْعَادِ لِلْجِهَادِ وَقَدْ يُقْتَلُ، فَهَنَّاكَ يَحْصُلُ النِّقْصُ فِي الْمَالِ وَالنَّفْسِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 41].

وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 120] وقد يكون النقص في النفس بموت بعض الإخوان والأقارب، على ما هو التأويل في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29] وأما نقص الثمرات فقد يكون بالجذب، وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بجهاد الأعداء، وقد يكون ذلك بالإنفاق على من كان يرد على رسول الله ﷺ من الوفود، وقوله تعالى: وبشر الصابرين: أن الصبر

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي، (1/ 144).

وَأَجِبْ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ إِذَا كَانَ مِنْ قِبَلِهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ عَدْلٌ وَحِكْمَةٌ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مُحَقِّقًا فِي الْإِيمَانِ كَانَ كَمَنْ قَالَ فِيهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: 11] فَأَمَّا مَا يَكُونُ مِنْ جَانِبِ الظُّلْمَةِ فَلَا يَجِبُ الصَّبْرُ عَلَيْهِ مِثَالُهُ: أَنَّ الْمُرَاهِقَ يَلْزِمُهُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ بِهِ أَبُوهُ مِنَ التَّأْدِيبِ، وَلَوْ فَعَلَهُ بِهِ غَيْرُهُ، لَكَانَ لَهُ أَنْ يُمَانِعَ بَلْ يُحَارِبَ، وَكَذَا فِي الْعَبْدِ مَعَ مَوْلَاهُ فَمَا يُدْبِرُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَيْهِ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا حِكْمَةٌ وَصَوَابًا بِخِلَافِ مَا يَفْعَلُ الْعِبَادُ مِنَ الظُّلْمِ.

والخطابُ في قوله وبشر: لرسولِ الله ﷺ أو لكلِّ من يتأتَّى منه البشارة). (1)

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ

وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]

((لَتُبْلَوْنَ أَي: لتختبرن في أموالكم بما يصيبها من الآفات وأنفسكم بالقتل والأسر والجراح،

وما يرد عليها من أصناف المتاعب والمخاوف والشدائد.

وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا: بالقول والفعل،

وَإِنْ تَصْبِرُوا: على ذلك، وَتَتَّقُوا أَي: مخالفة أمره تعالى، فَإِنَّ ذَلِكَ: أي الصبر والتقوى مِنْ عَزْمِ

الأمور أَي: من معزومات الأمور التي يتنافس فيها المتنافسون. أي مما يجب أن يعزم عليه كل

أحد، لما فيه من كمال المزية والشرف. أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر به وبالغ فيه. يعني: أن

ذلك عزيمة من عزمات الله تعالى، لا بد أن تصبروا وتتقوا). (2)

وقد أكد لنا الرسول ﷺ أن الإنسان إذا وقع في مصيبة، أو حل به البلاء، وضاق به الدنيا،

عليه أن يثبت على الإيمان، فهو السبب الرئيس للصبر، وإن صاحب هذا الإيمان المحكم، واليقين

الجازم، يرى متاعب الدنيا مهما كثرت وكبرت وتفاقت واشتدت - يراها في جنب إيمانه - قليلة

يكسر بها السدود المنيعه، والقلاع الحصينة، فلا يبالي بشيء من تلك المتاعب، أمام ما يجده من

حلاوة إيمانه، وطرارة إذعانه، وبشاشة يقينه .

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: 17]

وإن صحبة الأخيار لها دور عظيم في التأثير على الآخرين، فهي تساعدهم على الصبر، وتدعوهم

إلى الإيمان والثبات على القول الحق، فتكون عوناً لهم في الدنيا، ونجاة من النار في الآخرة،

(1) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (4/129/130)

(2) محاسن التأويل للقاسمي، (2/476).

فقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ

الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27]

فقوله تعالى: (( يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَي: يثبتهم على الحق بالقول الثابت، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيه قولان: أحدهما: أن الحياة الدنيا زمان الحياة على وجه الأرض، والآخرة: زمان المساءلة في القبر)). (1)

قال الزمخشري: ((بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ الَّذِي ثَبَتَ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ، وَتَمَكَّنَ فِيهِ، فَاعْتَقَدَهُ وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ. وَتَثْبِيثُهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا: أَنَّهُمْ إِذَا فَتِنُوا فِي دِينِهِمْ لَمْ يَزَلُوا، كَمَا ثَبَتَ الَّذِينَ فَتَنَهُمْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ، وَالَّذِينَ نَشَرُوا بِالْمَنَاشِيرِ وَمَشَطَتْ لِحُومَهُمْ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، وَتَثْبِيثُهُمْ فِي الْآخِرَةِ. أَنَّهُمْ إِذَا سئَلُوا عِنْدَ تَوَاقُفِ الْأَشْهَادِ عَنِ مَعْتَقَدِهِمْ وَدِينِهِمْ، لَمْ يَتَلَعَثُوا وَلَمْ يَبْهَتُوا، وَلَمْ تَحِيرِهِمْ أَهْوَالُ الْحَشْرِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: الثَّبَاتُ عِنْدَ سُؤَالِ الْقَبْرِ)). (2)

وقد ختم ﷺ سورة آل عمران بأهم وصية للمؤمنين؛ لَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَتَحَقَّقُ بِهَا اسْتِجَابَةُ الدُّعَاءِ، وَإِيفَاءُ الْوَعْدِ بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَحَسُنُ الْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. [آل عمران: 200] أَي: اصْبِرُوا عَلَى مَا يَلْحَقُكُمْ مِنَ الْأَذَى، وَصَابِرُوا الْأَعْدَاءَ الَّذِينَ يُقَالُونَكُمْ لِيَغْلِبُوكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ، وَيَخَذُلُونَ الْحَقَّ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ، وَارْبِطُوا الْخَيْلَ كَمَا يَرْبِطُونَهَا اسْتِعْدَادًا لِلْجِهَادِ.

فَالْمُصَابِرَةُ، وَالْمُرَابِطَةُ، وَهِيَ الرِّبَاطُ بِمَعْنَى مُبَارَاةِ الْأَعْدَاءِ، وَمُغَالَبَتِهِمْ فِي الصَّبْرِ، وَفِي رَبْطِ الْخَيْلِ كَمَا قَالَ: وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي قَرَّرَهُ الْإِسْلَامُ مِنْ مُقَاتَلَتِهِمْ بِمِثْلِ مَا يُقَاتِلُونَنَا بِهِ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُبَارَاتُهُمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِعَمَلِ الْبِنَادِقِ، وَالْمَدَافِعِ، وَالسُّفُنِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْبَرِّيَّةِ وَالْهَوَانِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفُنُونِ، وَالْعُدَدِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَيَتَوَقَّفُ ذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى الْبِرَاعَةِ فِي الْعُلُومِ الرِّيَاضِيَّةِ، وَالطَّبِيعِيَّةِ، فَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ الْعَسْكَرِيِّ لَا يَنْبَغُ إِلَّا بِهَا، وَقَدْ أُطْلِقَ لَفْظُ الْمُرَابِطَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي تَغُورِ الْبِلَادِ، وَهِيَ مَدَاخِلُهَا عَلَى حُدُودِ الْمُحَارِبِينَ لِأَجْلِ الدَّفَاعِ عَنْهَا إِذَا هَاجَمَهَا الْأَعْدَاءُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يُقِيمُونَ فِيهَا وَيَقُومُونَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ بِرَبْطِ خَيْولِهِمْ، وَخِدْمَتِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ.

وَالْتَقْوَى: أَنْ تَقِيَ نَفْسَكَ مِنَ اللَّهِ، أَيْ مِنْ غَضَبِهِ، وَسَخَطِهِ، وَعَقُوبَتِهِ، وَلَا يُمَكِّنُ هَذَا إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ مَا يُرْضِيهِ وَمَا يُسَخِطُهُ، وَلَا يَعْرِفُ هَذَا إِلَّا مَنْ فَهِمَ كِتَابَ اللَّهِ ﷻ، وَعَرَفَ سُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَسِيرَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِ، مُطَالِبًا نَفْسَهُ بِالْإِهْتِدَاءِ بِذَلِكَ كُلِّهِ، فَمَنْ صَبَرَ، وَصَابَرَ، وَرَابَطَ لِأَجْلِ

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، (2/ 512).

(2) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 554).

حَمَايَةَ الْحَقِّ، وَأَهْلِهِ، وَتَشْرِ دَعْوَتِهِ، وَاتَّقَى رَبَّهُ فِي سَائِرِ شُؤْنِهِ فَقَدَّ أَعَدَّ نَفْسَهُ بِذَلِكَ لِلْفَلَاحِ وَالْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَإِنَّ الْفَلَاحَ هُوَ الْفَوْزُ، وَالظَّفَرُ بِالْبُعْيَةِ الْمَقْصُودَةُ مِنَ الْعَمَلِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ خَاصًّا بِالدُّنْيَا كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ حِكَايَةً عَنِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ [طه:64] وَقَدْ يَكُونُ خَاصًّا بِالْآخِرَةِ كَقَوْلِهِ حِكَايَةً عَنِ أَهْلِ الْكَهْفِ: ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ [الكهف:20] وَيَكُونُ مُشْتَرِكًا بَيْنَ الدَّارَيْنِ، وَعِنْدِي أَنَّ أَكْثَرَ وَعَدِّ الْقُرْآنِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ.

وَإِرَادَةُ الْفَلَاحِ الدُّنْيَوِيَّ مِنَ الْآيَةِ الَّتِي نَفَسَرُهَا ظَاهِرَةً؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ، وَمُصَابِرَةَ الْأَعْدَاءِ، وَالْمُرَابَطَةَ، وَالتَّقْوَى كُلُّهَا مِنْ أَسْبَابِ الْفَوْزِ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا أَنَّهَا مَعَ حُسْنِ النِّيَّةِ، وَقَصْدِ إِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ -الَّذِي هُوَ شَأْنُ الْمُؤْمِنِ- مِنْ أَسْبَابِ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ. وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا اخْتِيَارِيَّةٌ دَاخِلَةٌ فِي مَقْدُورِ الْإِنْسَانِ، وَلِذَلِكَ أُمِرَ بِهَا، فَعَلِمَهُ إِذَا هُوَ سَبَبُ فَلَاحِهِ. (1)

وترى الباحثة أن الثبات على الحق، والصبر على المحن، يجعل الإنسان في راحة وطمأنينة دائماً ويشعره بمعية الله تعالى، وقد ضرب لنا القرآن المثل الأعلى في سيدنا موسى ﷺ عندما ثبت على الشدة والبلاء، وأصحابه لم يثبتوا فكانت النتيجة أن موسى قال لهم إن معي ربي، وأكد الحق سبحانه على ذلك فقال: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿ [الشعراء: 61-62].

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ: أَي تَقَابَلَ الْجَمْعَانِ بَحِيثُ يَرَى كُلُّ فَرِيقٍ صَاحِبَهُ، وَهُوَ تَفَاعُلٌ مِنَ الرُّؤْيَةِ. قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ: أَي قَرَبَ مِنَّا الْعَدُوُّ وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى: قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ، لَمَّا لَحِقَ فِرْعَوْنُ بِجَمْعِهِ جَمَعَ مُوسَى وَقَرَّبَ مِنْهُمْ، وَرَأَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْعَدُوَّ الْقَوِيَّ وَالْبَحْرَ أَمَامَهُمْ سَاعَتْ ظُنُونُهُمْ، وَقَالُوا لِمُوسَى عَلَى جِهَةِ التَّوْبِيخِ وَالْجَفَاءِ: إِنَّا لَمُدْرِكُونَ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ وَرَجَرَهُمْ وَذَكَرَهُمْ وَعَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ بِالْهَدَايَةِ وَالظَّفَرِ كَلَّا أَي: لَمْ يُدْرِكُوكُمْ، إِنَّ مَعِيَ رَبِّي أَي: بِالنَّصْرِ عَلَى الْعَدُوِّ. سَيَهْدِينِ: أَي سَيَدُلُّنِي عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ. (2).

قال بن عجيبة: ((فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ أَي: تَقَابَلَا، بَحِيثُ يَرَى كُلُّ فَرِيقٍ صَاحِبَهُ، أَي: بَنُو إِسْرَائِيلَ وَالْقَبْطَ، قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ أَي: قَرَبَ أَنْ يَلْحَقَنَا عَدُونَا، وَأَمَامَنَا الْبَحْرَ، قَالَ

(1) تفسير المنار محمد رشيد رضا، ( 261/4 ) .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (13/ 106 ) .

موسى عليه السلام ثقة بوعده ربه: كَلَّا ارْتَدَعُوا عَنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، فَلَنْ يُدْرِكَكُمْ أَبَدًا، إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ أَي: سيهديني طريق النجاة منهم)). (1)

فإنَّه تعالى يجزى كل إنسان على صبره، والصبر على البلاء تكفير للذنوب، وإن الإنسان عليه أن يقتدي بالنبى صلى الله عليه وسلم، فهو الأسوة الحسنة، ومن أهم القصص الواردة على جزاء الصبر العظيم، قصة أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - التي علمتنا درساً مهماً في الصبر على المحن والشدائد، وأن الأمور كلها ترجع إلى الله تعالى.

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: 156]، اللَّهُمَّ اجْرِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِنَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». (2)

### المطلب الرابع: غرس الثقة بالله.

إن أكثر ما يحتاجه الإنسان الإيمان بالله صلى الله عليه وسلم والثقة به، والتوكل عليه، لأن الأمر كله لله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]. ولأنه تعالى يورث الأرض من يشاء من عباده، كما قال سبحانه: ﴿... إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]، ولأن الأمور عنده سبحانه كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [آل عمران: 109] لذلك لابد للمسلمين أن يكونوا على صلة بربهم، معتمدين عليه متوكِّلين، يطلبون منه القوة والمدد والاستعانة به، والصبر على دينه، لأنه صلى الله عليه وسلم مالك القوة جميعاً، وهو الذي يمنح أسبابها من يشاء صلى الله عليه وسلم.

إن المسلمين في زمن الضعف يجب عليهم أن يستحضروا دائماً الثقة بالله، والتوكل عليه واستمداد القوة منه، والركون إليه، وأنه صلى الله عليه وسلم ينصر من نصره، فإذا التجأ العبد إليه، فقد آوى إلى ركن شديد، وثقته بالله تجعله دائماً في سعادة واطمئنان، وإن استشعار عظمة الله تملأ القلب رضاً وصبراً.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ \* [الرعد: 28-29]..

((الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ يعني: تسكن قلوبهم وترضى بذكر الله، أي: إذا ذكروا الله تعالى بوحدانيته، آمنوا به غير شاكين. أي. تسكن وترضى قلوب المؤمنين، الَّذِينَ آمَنُوا يعني:

(1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، (4 / 138).

(2) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب ما يقال عند المصيبة، (ح 929)، (2 / 631).

صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ وَبِالْقُرْآنِ، وَتَخَشَى عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَتَرْضَى بِهِ مَوْلَىً وَنَصِيرًا، وَالْعُدُولَ إِلَى صِيغَةِ الْمَضَارِعِ لِإِفَادَةِ دَوَامِ الْأَطْمِئْنَانِ وَاسْتِمْرَارِهِ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ أَي: بِذِكْرِهِ دُونَ غَيْرِهِ تَسْكُنُ الْقُلُوبُ أُنْسًا بِهِ، وَعِظْمَادًا عَلَيْهِ، وَرَجَاءً مِنْهُ، وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ يَعْنِي: الطَّاعَاتِ، طُوبَى لَهُمْ يَعْنِي: غِيْطَةٌ لَهُمْ)). (1)

لَقَدْ كَانَ مِنْ ثِقَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِرَبِّهِ أَنَّهُ كَانَ دَائِمًا يَعْتَقِدُ بِنُصْرَةِ اللَّهِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَنْ يَخْذَلَهُ وَلَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُ ﷺ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِبُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:30]

وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَصَابُونَ بِإِحْبَابٍ وَيَأْسٍ مِنْ كَثْرَةِ رُؤْيَيْهِمْ لِقُوَّةِ الْكُفَّارِ، وَضَعْفِهِمْ هُمْ وَقِلَّةِ عِدَّتِهِمْ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُذَكِّرُ أَصْحَابَهُ بِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ لِلْإِسْلَامِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:33]

فَالْإِنْسَانُ الَّذِي امْتَلَأَ قَلْبَهُ بِعِظْمَةِ اللَّهِ سَتَكُونُ لَدَيْهِ ثِقَةٌ مَطْلَقَةً بِاللَّهِ، وَيَكُونُ هَادِيًا لِلْبَالِ، سَاكِنًا لِنَفْسِهِ، مَهْمَا ضَاغَتْ بِهِ السَّبِيلُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [يونس: 62-64].

وَقَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ (( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ «أَلَا» اسْتِفْتَاحٌ وَتَنْبِيهُ، وَأَوْلِيَاءَ اللَّهِ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ وَالَوْهُ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ يُعْطِي ظَاهِرَهَا أَنَّ مَنْ آمَنَ وَاتَّقَى اللَّهَ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الشَّرِيعَةُ فِي الْوَلِيِّ... وَهَذَا وَصْفٌ لِزَمِّ الْمُتَّقِينَ لِأَنَّهُمْ يَخْشَعُونَ وَيُخْشَعُونَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: لَهُمُ الْبَشَرَى... أَمَّا بَشَرَى الْآخِرَةِ، فَهِيَ بِالْجَنَّةِ بِلَا خِلَافٍ قَوْلًا وَاحِدًا، وَذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، وَأَمَّا بَشَرَى الدُّنْيَا الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تَرَى لَهُ وَهِيَ مَا يُبَشِّرُ بِهِ الْمُؤْمِنُ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَهُوَ حَيٌّ عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ بَشَرَى الدُّنْيَا مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْآيَاتِ الْمُبَشِّرَاتِ وَيَقْوَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ)). (2)

وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: ((وهو ما بشر به المتقين في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، وما يريهم من الرؤيا الصالحة، وما يسنح لهم من المكاشفات، وبشرى الملائكة عند النزاع، في الآخرة: بتلقي

(1) بحر العلوم للسمرقندي، (2، 226)، (بتصرف).

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، (3/ 253/255)، (بتصرف).

الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة، بيان لتوليه لهم، لا تبديل لكلماته: أي لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده... وذلك إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين. وَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). (1)

وإن الثقة بالله هي من صفات الأخيار كالأنبياء والصالحين فوجدنا في سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما ألقى في النار. فقال بعزة الوثائق بالله: حسبنا الله ونعم الوكيل فجاء الأمر الإلهي ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69].

كما نجد هذه الثقة في زوجته هاجر، عندما تركها إبراهيم عليه السلام في صحراء قاحلة، وشمس ملتهبة ووحشة.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطِقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطِقًا لَتَعْفَىٰ أَثَرَهَا عَلَىٰ سَارَةٍ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِنَهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تَرْضَعُهُ، حَتَّىٰ وَضَعَهَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جَرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسَقَاءَ فِيهِ مَاءً، ثُمَّ قَفَىٰ إِبْرَاهِيمُ مِنْطِقًا، فَتَبَعْتُهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا الْوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذْنًا لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ. (2)

ونراها في أم موسى عندما أمرها ربها ﷻ أن تلقي ابنها موسى في البحر، وهذا أمر صعب يحتاج إلى الصبر والثقة بالله، فأمرها الله تعالى أن لا تخاف ولا تحزن، فإن معرفة الله والتوكل عليه تورث القلب الشعور بمعيته سبحانه، وتمنحه الطمأنينة في المحن والبصيرة في الفتن.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. [القصص: 7].

((وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ بِالْهَامِ أَوْ رُؤْيَا، أَنْ أَرْضِعِيهِ مَا أَمَكْنِكَ إِخْفَاؤُهُ، فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ بِأَنْ يَحْسَ بِهِ. فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ: فِي الْبَحْرِ يَرِيدُ النَّيْلَ. وَلَا تَخَافِي عَلَيْهِ: ضِيعَةٌ وَلَا شِدَّةٌ. وَلَا تَحْزَنِي: لِفِرَاقِهِ، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ: عَنْ قَرِيبٍ بَحِيثٍ تَأْمِنِينَ عَلَيْهِ. وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)). (3)

فإن أم موسى صبرت على ذلك، ولولا ثقته بالله لما ألقت به إلى اليم، وكانت نتيجة ثقته بالله، أن الله تعالى ثبتها على الإيمان ونزع الخوف من قلبها.

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (118/3)، (بتصرف).

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا إسحاق بن إبراهيم، (ح3364)، (142/4).

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (172/4).



قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. [القصص: 11-10].

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا صَفْرًا من العقل، لَمَّا دَهَمَهَا من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ [إبراهيم: 43] أي: خلاء لا عقول فيها.

إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ: أنها كادت لتظهر بموسى أي بأمره وقصته من فرط الضجر أو الفرح لتبنيه، لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا: بالصبر والثبات، لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: من المصدقين بوعده الله، أو من الوائقين حفظه لا بتبني فرعون وعطفه.

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ مَرْيَمُ قُصِّيهِ: اتبعي أثره وتتبعي خبره. فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ: عن بعد، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أنها تقص أو أنها أخته. (1)

وقال ابن جزى: ((فارغاً من كل شيء إلا من همّ موسى، إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ أي تظهر أمره، وَ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا أي رزقناها الصبر لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أي: من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله، وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ أي: اتبعيه، والقص طلب الأثر، فخرجت أخته تبحث عنه في خفية، فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ: أي رأته من بعيد، ولم تقترب منه لئلا يعلموا أنها أخته، ومعناه أنها نظرت إليه، كأنها لا تريده، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أي: لا يشعرون أنها أخته)). (2)

والتقّة بالله نجدها في أولئك المجاهدين الذين قيل لهم "إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم"، ولكن ثقتهم بالله أكبر من قوة أعدائهم وعدتهم، فقالوا بعزة الواثق بالله: "حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء".

قال تعالى في شأنهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. [آل عمران: 173].

((أرشدت الآية: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: إلى أن المؤمن الصادق لا يكون جباناً، فالجبن لا يجتمع مع الإيمان، لأن علته الخوف من الموت والحرص على الحياة، وهما بعيدان عن المؤمن،

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (4 / 172).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، (2 / 110).

وكان الصحابة الذين ذهبوا مع النبي ﷺ في العام التالي لأحد في بدر الصغرى مثلاً عالية للشجاعة والتضحية والجرأة في سبيل الله.

ودلت هذه الآية أيضاً على أن المؤمن يمكنه التخلص من عوامل الخوف، فيقول: **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ أَي: كَافِينَا اللَّهُ**). (1)

ومن أهم النماذج الخالدة ثقة نبينا وحببينا وقوتنا محمد ﷺ بالله، عندما كان في الغار والكفار على بابهِ، وهو يطمئن صاحبه فيقول: **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**، وإن استشعار عظمة الله ومعيتِهِ، تبعث في النفس معنى الثبات والعزّة، وتقوي العزائم حتى في أشدّ الحالات .

قال تعالى: ﴿ **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ . [التوبة: 40-41].

هذا إعلام من الله أصحاب رسوله ﷺ أنه المتوكّل بنصر رسوله على أعداء دينه، وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكير منه لهم فعل ذلك به، وهو من العدد في قلة، والعدو في كثرة، فكيف به وهو من العدد في كثرة، والعدو في قلة؟

يقول لهم جل ثناؤه: **إِلَّا تَنْفِرُوا: أيها المؤمنون، مع رسولي إذا استنفركم فتنصروه، فإله ناصره ومعينه على عدوه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم؛ كما نصره إذ أخرجته الذين كفروا: بالله من قريش من وطنه وداره، ثاني اثنين، يقول: أخرجوه وهو أحد الاثنين، أي: واحد من الاثنين... وإنما عني - جل ثناؤه - بقوله: ثاني اثنين، أي: رسول الله ﷺ وأبا بكر ﷺ، لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش، إذ هموا بقتل رسول الله ﷺ واختفيا في الغار.**

**إذ هما في الغار، يقول: إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رحمة الله عليه، في الغار، إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر: لا تحزن، وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: لا تحزن، لأن الله معنا، والله ناصرنا، فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا.**

يقول جل ثناؤه: **فقد نصره الله على عدوه، وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد، فكيف يخذله ويُحَوِّجُه إليكم، وقد كثُرَ اللهُ أنصاره، وعدد جنوده؟** (2)

(1) التفسير المنير للزحيلي، (172/4).

(2) جامع البيان للطبري، (258/257/14).

قال ابن كثير: ((يَقُولُ تَعَالَى: إِلا تَنْصُرُوهُ أَي: تَنْصُرُوا رَسُولَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَكَافِيهِ وَحَافِظُهُ، كَمَا تَوَلَّى نَصْرَهُ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ أَي: عَامَ الْهَجْرَةِ، لَمَّا هَمَّ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِهِ أَوْ حَبْسِهِ أَوْ نَفْيِهِ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ هَارِبًا صُحْبَةً صَدِيقَهُ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ بَنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَجَا إِلَى غَارٍ نَوْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لِيَرْجِعَ الطَّلَبُ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي آثَارِهِمْ، ثُمَّ يَسِيرًا نَحْوَ الْمَدِينَةِ، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، يَجْرِعُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ، فَيَخْلُصَ إِلَى الرَّسُولِ، فَخَلَّصَ مِنْهُمْ أَدَى، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُسْكِنُهُ وَيَبْنِيهِ وَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِهُمَا.

ولهذا قال تعالى: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ أَي: تَأْيِيدَهُ وَنَصْرَهُ عَلَيْهِ، أَي عَلَى الرَّسُولِ فِي أَشْهَرِ الْقَوْلَيْنِ، وَقِيلَ: عَلَى أَبِي بَكْرٍ، قَالُوا: لِأَنَّ الرَّسُولَ لَمْ تَزَلْ مَعَهُ سَكِينَةٌ، وَهَذَا لَا يُنَافِي تَجَدُّدَ سَكِينَةٍ خَاصَّةً بِتِلْكَ الْحَالِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: وَأَيُّهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا أَي: الْمَلَائِكَةَ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا.

وقوله: وَاللَّهُ عَزِيزٌ أَي: فِي انْتِقَامِهِ وَانْتِصَارِهِ، مَنِعُ الْجَنَابِ، لَا يُضَامُ مَنْ لَازَ بِبَابِهِ، وَاحْتَمَى بِالْتَمَسُكِ بِخَطَابِهِ، حَكِيمٌ: فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ)). (1)

وترى الباحثة أن الثقة أساس الدين، وهي ميزة تميز بها المؤمن الصادق العارف بربه ﷺ؛ لأن الواثق بربه قد عرفه بصفاته وأسمائه؛ فهو الرب سبحانه العليم القدير، نافذ المشيئة، قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. [النحل: 40].

لذا تجد المؤمن مطمئناً في هذه الحياة الدنيا، واثقاً منتصراً بربه ﷺ على كل من سواه، وهو - وإن أصابه ما أصابه - على يقين بحسن العاقبة؛ لأن الله يقول: ﴿...وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفصص: 83]

وإن الثقة بالله طمأنينة بالنفس، وراحة في الضمير، وعلو في الهمة، وهي روح التوكل، وعنوانها أمن العبد، والرضا واليقين بالله، والصبر لأمره وقضائه، لأنه تعالى يحب المؤمنين المتوكلين عليه ويدافع عنهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: 38]

إن الله يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه، وأنابوا إليه، شر الأشرار، وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلوهم وينصرهم على أعدائهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (4 / 155).

وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿ [غافر: 51] وقال أيضا: ﴿ .. وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: 3]

ومعنى قوله: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** أي: إنه تعالى لا يحب خائن العهد والميثاق والأمانة، جاحد النعم الذي لا يعترف بها، والمراد أن المؤمنين هم أحياء الله، وأن الله سيعاقب أعداءهم، فهو تعليل للوعد وللوعيد؛ لأن نفي المحبة كناية عن البغض الموجب للعقاب. وخيانة الأمانة، إما جميع الأمانات، وإما أمانة الله وهي أوامره ونواهيه. (1)

هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدفع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر -بسبب إيمانهم- من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف. كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر.

**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ**، أي: خائن في أمانته التي حمّله الله إياها، فيبخس حقوق الله عليه، ويخونها، ويخون الخلق، وقوله **كُفُورٌ**: لنعم الله، يوالي عليه الإحسان، ويتوالى منه الكفر والعصيان، فهذا لا يحبه الله، بل يبغضه ويمقتّه، وسيجزيه على كفره وخيانتّه، ومفهوم الآية، أن الله يحب كل أمين قائم بأمانته، شكور لمولاه. (2)

(1) التفسير المنير للزحيلي، (17 / 226)، (بتصرف).

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (1/539).

## المبحث الثاني

## آثار صحبة الأخيار على المجتمع

المطلب الأول: الترابط بين المسلمين:

توطئة:

لقد صورّ الإسلام مبلغ التعاون والترابط بين أبناء المجتمع المسلم بعضه مع بعض، وهذا التصوير البليغ عبّر عنه النبي ﷺ فعن أبو موسى قال: قال ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً» (1)

فَاللِّبْنَةُ وحدها ضعيفة مهما تكن مَتَانَتَهَا، وآلاف اللبانات المبعثرة المتناثرة لا تصنع شيئاً، ولا تكوّن بناءً، إنما يتكون البناء القوي من اللبانات المتماسكة، المترابطة في صفوف منتظمة، عندئذ يتكون من اللبانات جدار متين، ومن مجموع الجُدُر بيتٌ مكين، يصعب أن تتال منه أيدي الهدّامين. كما صور ﷺ مبلغ تراحم المجتمع وتكامله، وتعاطف بعضه مع بعض بقوله: ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» (2)

فهو ترابط عضوي، لا يستغني فيه جزء عن آخر، ولا ينفصل عنه، ولا يحيا بدونه.

والقرآن وصف مجتمع الصحابة بأنهم: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: 29]؛

فالتراحم سمة أولى من سمات المجتمع المسلم، وصورة عظيمة من صور الترابط.

ومقتضى ذلك أن يشد القوي أزر الضعيف، وأن يأخذ الغني بيد الفقير، وأن يُنير العالم الطريق للجاهل، وأن يرحم الكبير الصغير، كما يوقر الصغير الكبير، ويعرف الجاهل للعالم حقه، وأن يقف الجميع صفّاً واحداً في الشدائد والمعارك العسكرية والسلمية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ [الصّف: 4]

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ أي: بنيان لاصق بعضه ببعض، فاعلم أنه يجب من يثبت في الجهاد، ويلزم مكانه كثبوت البنيان المرصوص. ويجوز أن يكون عنى أن يستوي ثباتهم في حرب عدوهم، حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص. (3)

(1) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، (ح467)، (1/182).

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (ح2586)، (4/1999).

(3) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، (4/278).

والمعنى: أن الله - تعالى - يحب الذين يقاتلون في سبيل إعلاء دينه قتالاً شديداً، حتى لكانهم في ثباتهم، واجتماع كلمتهم، وصدق يقينهم.. بنيان قد التصق بعضه ببعض، فلا يستطيع أحد أن ينفذ من بين صفوفه. فالمقصود بالآية الكريمة: الثناء على المجاهدين الصادقين، الذين يثبتون أمام الأعداء وهم يقاتلونهم، ثباتاً لا اضطراب معه ولا تزلزل. (1)

إن لصحبة الأخيار دور عظيم في تحقيق الترابط، والوحدة بين أفراد المجتمع، مما يُعطي للأمة القوة والعزة والصمود في وجه التحديات الكبرى، والمؤامرات الاستكبارية، فالترابط والتوحد من صفات المؤمنين، والتفرقة والاختلاف والتشردم من صفات اليهود والمنافقين كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. [آل عمران 103].

هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يعتصموا بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، واتلاف قلوبهم يصلح دينهم، وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام، ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء: يقتل بعضهم بعضاً، ويأخذ بعضهم مال بعض، حتى إن القبيلة تعادي بعضهم بعضاً، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والافتتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي ﷺ فلما بعثه الله وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان، كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالاته بعضهم لبعض، ولهذا قال: **فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار أي: قد استحققت النار، ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها، فأنقذكم منها: بما منَّ عليكم من الإيمان بمحمد ﷺ، كذلك يبين الله لكم آياته أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لعلمكم تهتدون: بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكراً له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يُذكر من نعمه، نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول ﷺ، واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها. (2)****

(1) التفسير الوسيط لططاوي، (14/ 355).

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (1/ 141)، (بتصرف).

فالقُرآن حبلُ الله المتين لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، من قال به صدق ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم.

وَلَا تَفَرَّقُوا وَلَا تَتَفَرَّقُوا عَنِ الْحَقِّ بِوُقُوعِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَكُمْ، كَمَا اخْتَلَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، أَوْ كَمَا كُنْتُمْ مَنفَرِقِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَتَدَابِرِينَ، يِعَادِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَيَحَارِبُهُ، أَوْ وَلَا تَحَدَّثُوا مَا يَكُونُ عَنْهُ التَّفَرُّقُ وَيَزُولُ مَعَهُ الْاجْتِمَاعُ وَالْأَلْفَةُ، الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا مِمَّا يَأْبَاهُ جَامِعُكُمْ وَالْمُؤَلَّفُ بَيْنَكُمْ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الْحَقِّ وَالتَّمَسُّكُ بِالْإِسْلَامِ. كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَاتُ وَالْحُرُوبُ الْمُتَوَاصِلَةُ، فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِم بِالْإِسْلَامِ، وَقَذَفَ فِيهَا الْمَحَبَّةَ، فَتَحَابَبُوا وَتَوَافَقُوا وَصَارُوا إِخْوَانًا مَتْرَاحِينَ مَتَّاصِحِينَ مَجْتَمِعِينَ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ، قَدْ نَظَمَ بَيْنَهُمْ وَأَزَالَ الْاِخْتِلَافَ، وَهُوَ الْأَخُوَّةُ فِي اللَّهِ: وَقِيلَ: هُمُ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، كَانَا أَخْوَيْنَ لِأَبِ وَأُمِّ، فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمَا الْعِدَاوَةُ، وَتَطَاوَلَتِ الْحُرُوبُ مِائَةَ وَعِشْرِينَ سَنَةً إِلَى أَنْ أَطْفَأَ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْإِسْلَامِ وَأَلَّفَ بَيْنَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ: وَكُنْتُمْ مُشْرِفِينَ عَلَى أَنْ تَقْعُوا فِي نَارِ جَهَنَّمَ لَمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَانْقَدَكُمْ مِنْهَا: بِالْإِسْلَامِ. (1)

وفي قصص القرآن صور حية للترابط المثمر البناء، تذكر الباحثة أهمها:

1- الترابط والتعاون بين موسى وأخيه هارون، وقد سأل الله أن يشد به أزره في قيامه برسالته:

قال تعالى:

﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾. [طه: 29-35].

((وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ، يعني: اجعل لي معيناً من أهلي يعني: أخي هارون. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، حتى يكون قوة لي. والأزر: الظهر وجماعته: أزر ويراد به القوة.

يقال: أزرْت فلاناً على الأمر أي: قويته عليه، وإنما نصب هارون لوقوع الفعل عليه، والمعنى: اجعل هارون أخي وزيراً، فصار الوزير المفعول الثاني. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي، يعني: في نبوتي. ثم قال: كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، يعني: نصلي لك كثيراً، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، يعني: على كل حال، إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا أي: كنت عالماً بنا في الأحوال كلها)). (2)

((وَاعْلَمْ أَنَّ طَلَبَ الْوَزِيرِ إِذَا أَنْ يَكُونَ لِأَنَّهُ خَافَ مِنْ نَفْسِهِ الْعَجْزَ عَنِ الْقِيَامِ بِذَلِكَ الْأَمْرِ، فَطَلَبَ الْمُعِينِ، أَوْ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ لِلتَّعَاوُنِ عَلَى الدِّينِ، وَالتَّظَاهُرِ عَلَيْهِ، مَعَ مُخَالَصَةِ الْوُدِّ، وَرَوَالِ التُّهْمَةِ

(1) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري. (1/395/394)، (بتصرف).

(2) بحر العلوم للسمرقندي، (2/394).

مَرْيَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي أَمْرِ الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64]

وَأَنَّ التَّعَاوُنَ عَلَى الْأَمْرِ، وَالتَّظَاهَرَ عَلَيْهِ، مَعَ مُخَالَصَةِ الْوُدِّ، وَزَوَالِ التَّهْمَةِ، لَهُ مَرْيَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي تَأْثِيرِ الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاتِّقَا بِأَخِيهِ هَارُونَ، فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَشُدَّ بِهِ أَرْوَاحَهُمْ حَتَّى يَتَحَمَّلَ عَنْهُ مَا يُمَكِّنُ مِنَ التَّقَلِّ فِي الْإِبْلَاحِ.

وَإِنْ مُوسَى طَلَبَ أَنْ يَكُونَ الْوَزِيرُ الَّذِي مِنْ أَهْلِهِ هُوَ أَخُوهُ هَارُونَ؛ لِأَنَّ التَّعَاوُنَ عَلَى الدِّينِ مَنَقِبَةٌ عَظِيمَةٌ، فَأَرَادَ أَنْ لَا تَحْصَلَ هَذِهِ الدَّرَجَةُ إِلَّا لِأَهْلِهِ، أَوْ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَانَ فِي غَايَةِ الْمَحَبَّةِ لِصَاحِبِهِ وَالْمُؤَافَقَةِ لَهُ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا طَلَبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَارُونَ وَزِيرًا لَهُ، طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَشُدَّ بِهِ أَرْوَاحَهُمْ وَيَجْعَلُهُ نَاصِرًا لَهُ، لِأَنَّهُ لَا اعْتِمَادَ عَلَى الْقَرَابَةِ، وَقَوْلُهُ: وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي: وَالْأَمْرُ هَاهُنَا النُّبُوَّةُ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمَ أَنَّهُ يَشُدُّ بِهِ عَضُدَهُ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا، وَأَفْصَحُ مِنْهُ لِسَانًا، ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ حَكَى عَنْهُ مَا لِأَجَلِهِ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ فَقَالَ: كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، وَالتَّسْبِيحُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِاللِّسَانِ، وَأَنْ يَكُونَ بِالْإِعْتِقَادِ، وَعَلَى كُلِّ التَّقْدِيرَيْنِ فَالتَّسْبِيحُ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَأَمَّا الذِّكْرُ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّفْسَ مُقَدِّمَةً عَلَى الْإِثْبَاتِ، أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا فَبِهِ وَجُوهٌ: أَحَدُهَا: إِنَّكَ عَالِمٌ بِأَنَا لَا نَرِيْدُ بِهَذِهِ الطَّاعَاتِ إِلَّا وَجْهَكَ وَرِضَاكَ وَلَا نَرِيْدُ بِهَا أَحَدًا سِوَاكَ. وَثَانِيهَا: كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا، لِأَنَّ هَذِهِ السِّتْعَانَةَ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِأَجْلِ حَاجَتِي فِي النُّبُوَّةِ إِلَيْهَا، وَثَالِثُهَا: إِنَّكَ بَصِيرٌ بِوَجْهِهِ. (1)

وَكَانَ الْجَوَابُ الْإِلَهِيُّ: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ [القصص: 35].

وَبِهَذَا كَانَ هَارُونَ يِعَاوَنُ أَخَاهُ مُوسَى فِي حَضْرَتِهِ، وَيُخَلِّفُهُ عَلَى قَوْمِهِ فِي غَيْبَتِهِ.

2- نَصْرَةُ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» أَي تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ. (2)

3- التَّرَابِطُ عَلَى الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ: فَالْقُرْآنُ يَصِفُ التَّرَابِطَ وَالتَّعَاوُنَ، وَيَجْعَلُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، بِمُقْتَضَى عَقْدِ الْإِيمَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 71]، وَهَذَا فِي مَقَابِلَةِ وَصْفِ مَجْتَمَعِ الْمُنَافِقِينَ

(1) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي، ( 45/22).

(2) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب انصر أخاك ظالما أو مظلوما، (ح/2444)، (128/3).



بقوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: 67].

جَعَلَ تَعَالَى الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرَقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ أَحْصَى أَوْصَافَ الْمُؤْمِنِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَرَأْسُهَا الدُّعَاءُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْقِتَالُ عَلَيْهِ. (1)

ومعنى قوله تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أي: في التناصر والتراحم، يأْمُرُونَ بالمعروف: بالطاعة والإيمان، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ: عن الشرك والعصيان. (2) وقال الخازن: (المقصود بالموالاة: يعني الموالاة في الدين، واتفاق الكلمة، والعون والنصرة). (3)

4- التكافل بين أبناء المجتمع المسلم، وهو تكافل مادي ومعنوي، اقتصادي وسياسي، عسكري ومدني، اجتماعي وثقافي.

يبدأ هذا التكافل بين الأقارب بعضهم وبعض، كما يفصل ذلك نظام النفقات في شريعة الإسلام، فالتقريب الموسر ينفق على قريبه المعسر، وفق شروط وأحكام مفصلة في الفقه الإسلامي، كما قاله الله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 75].

ثم تتسع دائرة هذا التكافل لتشمل الجيران وأبناء الحي الواحد في البلد الواحد، بمقتضى حق الجوار، الذي أكدته الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36].

ولم يجعل القرآن ذلك شيئاً من نوافل الدين، يقوم به من ترقى في درجات الإيمان والإحسان، ولا يطالب به الشخص العادي من الناس. بل اعتبره القرآن أمراً أساسياً من دعائم الدين، لا يحظى برضا الله من لم يحم به، ولا ينجو من عذابه من فرط فيه.

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (47/4).

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي، (693/1).

(3) لباب التأويل للخازن، (382/2).

قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ \* فَكُ رَقَبَةً \* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ \* يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ \* أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ \* ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾. [البلد: 11-17].

وقوله تعالى في سورة أخرى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ \* إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ \* فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ \* عَنِ الْمُجْرِمِينَ \* مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ \* وَلَمْ نَكُ نُنْطَعِمُ الْمَسْكِينِ﴾. [المدثر: 38-44].

فجعل مصيرهم النار؛ لأنهم أضاعوا حق الله بإضاعة الصلاة، وأضاعوا حق عباده؛ إذ لم يطعموا المسكين، ثم تتسع أكثر وأكثر بحيث تشمل الإقليم عن طريق الزكاة التي أمر الله بإعطائها، فيوجب في المال حقاً معلوماً، ليس بصدقة تطوعية، ولا بإحسان اختياري، من شاء أداه ومن شاء تركه، بل "حق" -أي "دين"- في عنق المكلفين، وحق معلوم غير مجهول، كما في قوله تعالى في وصف المتقين: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. [الذاريات: 19]، وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: 141].

((وهذا الحق هو الزكاة، والأمر بإيائها يوم الحصاد؛ ليهتم به حينئذ، حتى لا يؤخر عن وقت الأداء)). (1)

وترى الباحثة أن القاعدة الكبرى في تحقيق سعادة المجتمع وضمان استقراره، والركيزة العظمى في تشييد حضارة الأمة وبناء أمجادها، تكمن بعد عقيدتها وإيمانها بربها، في نسيجها الاجتماعي المترابط، ومنظومتها القيمة المتألفة، التي تنظم عواطف الود المشترك، والحب المتبادل، والتصافي المشاع، والصلة المستديمة، في بُعدٍ عن الضغائن والبغضاء، وغوائل التقاطع والجفاء، وإثارة الأحقاد والشحناء.

(1) أنوار التنزيل للبيضاوي، (185/2).

## المطلب الثاني: تحقيق النصر ورفع المعنويات:

إن الله تعالى جعل قوة عباده المسلمين في دينهم وعقيدتهم، وعزتهم في تمسكهم بحبل الله، ووحدة صفهم وغلبتهم، ونصرهم في تضامنهم وتعاونهم على البر والتقوى والعمل الصالح، فبذلك جاء الخطاب الإلهي الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ \* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ . [آل عمران: 102-103].

إن نهضة المسلمين في زمن الخلفاء الراشدين، كانت بسبب تمسكهم بهذا الدين واستقامتهم عليه واعتزازهم به، وبارخاص حياتهم في سبيل إعزازه، وإن ما نحن فيه من ذلة وهوان، ليس راجعا إلى الإسلام، وإنما راجع لضعف إيمان المسلمين، وقلة يقينهم وعدم تمسكهم بشرائعه.

وإن وعد الله لا يتخلف بتمكين المسلمين، كما مكن الرعيل الأول من الخلفاء الراشدين، والصحابة الطاهرين، ولكن باستيفاء شروط حققها المسلمون الأوائل.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ . [النور: 55].

هذا من وعوده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان، وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبذلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل.

فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، ولا يخافون أحداً إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح، بما يفوقون على غيرهم، فمكّنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاريبها، وحصل الأمن التام والتمكين التام،

فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلب عليهم الكفار والمنافقين، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح.

وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ: التمكن والسلطنة التامة لكم يا معشر المسلمين، فأولئك هم الفاسقون: الذين خرجوا عن طاعة الله، وفسدوا، فلم يصلحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير، لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه وقهره، وعدم وجود الأسباب المانعة منه، يدل على فساد نيته، وخبث طويته، لأنه لا داعي له لترك الدين إلا ذلك. ودلت هذه الآية، أن الله قد مَنَّ مَنْ قَبْلَنَا، واستخلفهم في الأرض، كما قال موسى لقومه: ﴿وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:129] وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ \* وَنَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿ [القصص:5-6]. (1)

وقال الرازي: ((اعلم أن تقدير النظم بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون، فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات أي: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن يستخلفهم في الأرض، فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين، كما استخلف عليها من قبلهم في زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما، وأنه يمكن لهم دينهم: وتمكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة والإعزاز ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو أمنا: بأن ينصرهم عليهم فيقتلوه ويؤمنوا بذلك شرهم، فيعبدونني: آمنين لا يشركون بي شيئا ولا يخافون، ومن كفر: أي من بعد هذا الوعد وارتد فأولئك هم الفاسقون)). (2)

إن لصحبة الأخيار دوراً عظيم في تحقيق النصر، فإن صحبة الأخيار تقوم على تحقيق الترابط والوحدة بين أفراد المجتمع، مما يعطي للأمة القوة والعزة والسمود في وجه التحديات الكبرى، والمؤامرات الاستكبارية؛ لأن التضامن والتكافل والترابط والتعاطف إذا تحقق في المجتمع، سيتحقق النصر بين المسلمين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. [محمد:8].

((قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم معناه: إن تنصروا نبي الله أو دين الله ينصركم. والنصرة من الله: هي الحفظ والهداية. وعن قتادة قال: من ينصر الله ينصره،

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (573/1).

(2) مفاتيح الغيب، (412/24).

وَمَنْ يَسْأَلْهُ يُعْطِهِ، وَيُقَالُ: يَنْصُرُكُمْ بِتَغْلِيْبِكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ وَإِعْلَانِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَقَوْلُهُ: وَيَثْبُتُ أَقْدَامَكُمْ أَيُّ: فِي الْقِتَالِ. وَيُقَالُ: يَثْبُتُ أَقْدَامَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ)). (1)

قال الرازي: ((وَفِي نَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَجُودٌ: الْأَوَّلُ: إِنْ تَنَصَّرُوا دِينَ اللَّهِ وَطَرِيقَهُ، وَالثَّانِي: إِنْ تَنَصَّرُوا حِزْبَ اللَّهِ وَفَرِيقَهُ، وَالثَّالِثُ: الْمُرَادُ نَصْرَةُ اللَّهِ حَقِيقَةً، فَنَقُولُ النُّصْرَةَ تَحْقِيقُ مَطْلُوبٍ أَحَدِ الْمُتَعَادِيَيْنِ عِنْدَ الْجَاهِدِ، وَالْأَخْذُ فِي تَحْقِيقِ عِلْمَتِهِ، فَالشَّيْطَانُ عَدُوُّ اللَّهِ يَجْتَهِدُ فِي تَحْقِيقِ الْكُفْرِ وَغَلْبَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَاللَّهُ يُطَلِّبُ قَمَعَ الْكُفْرِ، وَإِهْلَاكَ أَهْلِهِ، وَإِفْنَاءَ مَنْ اخْتَارَ الشِّرْكَ بِجَهْلِهِ، فَمَنْ حَقَّقَ نَصْرَةَ اللَّهِ حَيْثُ حَقَّقَ مَطْلُوبَهُ لَا نَقُولُ حَقَّقَ مُرَادَهُ فَإِنْ مُرَادَ اللَّهِ لَا يُحَقِّقُهُ غَيْرُهُ، وَمَطْلُوبُهُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ غَيْرُ مُرَادِهِ، فَإِنَّهُ طَلَبَ الْإِيمَانَ مِنَ الْكَافِرِ وَلَمْ يُرِدْهُ وَإِلَّا لَوَقَعَ.

ثُمَّ قَالَ: يَنْصُرُكُمْ فَإِنْ قِيلَ: فَعَلِمَ؟ قُلْتُ: إِذَا نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَدْ حَقَّقَ مَا طَلَبَهُ، فَكَيْفَ يُحَقِّقُ مَا طَلَبَهُ الْعَبْدُ وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ؟ فَنَقُولُ: الْمُؤْمِنُ يَنْصُرُ اللَّهَ بِخُرُوجِهِ إِلَى الْقِتَالِ وَإِقْدَامِهِ، وَاللَّهُ يَنْصُرُهُ بِتَقْوِيَّتِهِ وَتَثْبِيْتِ أَقْدَامِهِ، وَإِرْسَالِ الْمَلَائِكَةِ الْحَافِظِينَ لَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَقِدَامِهِ)). (2)

وترى الباحثة أن تحقيق النصر لا يتحقق إلا بعوامل كثيرة، أهمها:

أولاً: قوة الإيمان والعقيدة: وهذا لا يتحقق إلا بعدة أمور هي:

1- التقوى: وهي الأساس المتين والركن الركين ﴿.... فَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾ [الأنفال: 1]

2- الطاعة لله وللرسول: ﴿... وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1] فإن طاعة

الرسول من طاعة الله وطاعتها لهما دور كبير في تحقيق النصر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال: 24]

فقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ: هَذَا الْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ بِلَا خِلَافٍ. وَالاسْتِجَابَةُ: الْجَابَةُ، وَقَوْلُهُ: يُحْيِيكُمْ أَيُّ: أَسْأَلُهُ يُحْيِيكُمْ، وَالْمَعْنَى: اسْتَجِيبُوا لِمَا يُحْيِيكُمْ إِذَا دَعَاكُمْ. وَقِيلَ: اللَّامُ بِمَعْنَى إِلَيَّ، أَيُّ إِلَى مَا يُحْيِيكُمْ، أَيُّ يُحْيِي دِينَكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ. وَقِيلَ: أَيُّ إِلَى مَا يُحْيِي بِهِ قُلُوبَكُمْ فَتَوَحَّدُوهُ، وَ الْمَعْنَى اسْتَجِيبُوا لِلطَّاعَةِ وَمَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَوْامِرٍ وَنَوَاهِي، فَفِيهِ الْحَيَاةُ

(1) تفسير القرآن للسماعاني، (5/170).

(2) مفاتيح الغيب للرازي، (28/42).

الْأَبَدِيَّةُ، وَالنَّعْمَةُ السَّرْمَدِيَّةُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ "لِمَا يُحْيِيكُمْ" الْجِهَادُ، فَإِنَّهُ سَبَبُ الْحَيَاةِ فِي الظَّاهِرِ، لِأَنَّ الْعَدُوَّ إِذَا لَمْ يُغْزَرَ غَزَاؤُهُ، وَفِي غَزْوِهِ الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ فِي الْجِهَادِ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. (1)

قال الزمخشري: ((إِذَا دَعَاكُمْ: وَحَدَّ الضَّمِيرُ كَمَا وَحَدَّهُ فِيمَا قَبْلَهُ، لِأَنَّ اسْتِجَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَاسْتِجَابَتِهِ، وَإِنَّمَا يَذْكَرُ أَحَدُهُمَا مَعَ الْآخَرِ لِلتَّوَكُّيدِ، وَالْمُرَادُ بِالِاسْتِجَابَةِ: الطَّاعَةُ وَالِامْتِنَانُ. وَبِالدَّعْوَةِ: الْبَعْثُ وَالتَّحْرِيزُ)). (2)

3- الخوف من الله والتوكل عليه: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ رَأَدْتَهُمْ إِيْمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]

القلوب المتعلقة بالله ﷻ تُؤَثِّرُ ما عند الله ورسوله، وتتلهف على الشهادة، ولا تبالي بكثرة العدة والعتاد، وها هي المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان وأفغانستان تضرب أروع الأمثلة.

4- اليقين بأن النصر من عند الله: بأسباب مختلفة كالنعاس لبعث الطمأنينة، ونزول المطر؛ لتثبيت الأقدام، وإرسال الملائكة لتثبيت أفئدة المؤمنين، وإرسال الريح كيوم الأحزاب .

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ \* إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 10-12].

5- رفع الروح المعنوية: قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 139-140].

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا تَسْلِيَةٌ لَهُمْ عَمَّا أَصَابَهُمْ يَوْمَ أَحُدَ، وَالْمَعْنَى: لَا تَضَعِفُوا عَنِ الْجِهَادِ بِمَا أَصَابَكُمْ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ. وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ: وَحَالِكُمْ إِنَّكُمْ أَعْلَىٰ مِنْهُمْ شَأْنًا، فَإِنَّكُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَقِتَالِكُمْ لِلَّهِ، وَقِتَالِكُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ الْبَاطِلِ، وَقِتَالُهُمْ لِلشَّيْطَانِ، وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ، أَوْ لِأَنَّكُمْ أَصَبْتُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ أَكْثَرَ مِمَّا أَصَابُوا مِنْكُمْ الْيَوْمَ، أَوْ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ فِي الْعَاقِبَةِ فَيَكُونُ بَشَارَةً

(1) الجامع للقرطبي، (389/7)، (بتصرف).

(2) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، (210/2).

لهم بالنصر والغلبة. **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**: متعلق بالنهي، أي: لا تهنوا إن صح إيمانكم، فإنه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله أو الأعلون. (1)

((قال أبو جعفر الطبري: **إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوْهُمْ**، إن تتلوا، أيها المؤمنون، سروراً بظهوركم على عدوكم، وتتابع الناس في الدخول في دينكم، وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم يسوؤهم، وإن تتلكم مساءة بإخفاق سرية لكم، أو بإصابة عدو لكم منكم، أو اختلاف يكون بين جماعتكم يفرحوا بها)). (2)

**وَإِنْ تَصْبِرُوا عَلَى عِدَاوتِهِمْ، وَتَتَّقُوا** ما نهيتم عنه من موالاتهم. أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه، وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه، كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم. وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى. (3)

ثانياً: قوة الارتباط والتنظيم:

1- إصلاح ذات البين: قال تعالى: ﴿... وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...﴾ [الأنفال:1]

الكثير من الناس يقول في نفسه: ما دخل إصلاح ذات البين بعوامل النصر، والحق أن الجنود في الحرب حين تكون قلوبهم متصافية متوافقة، لا محن ولا خصومات، يكون التعاون بينهم مثمراً.

2- وحدة الصف: إن الله تعالى أكد على الجهاد في سبيل الله، وهذا لا يكون إلا بالتوحد والترابط بين المسلمين وإن يكونوا صفواً واحداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:4]

3- طاعة الأمير: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]

((أي: داوموا على طاعته، وأطيعوا الرسول: في سنته، وما أتاكم به، وأولي الأمر منكم أي: ولاية أموركم، وهم الأمراء)). (4)

**وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**. يعني: أطيعوا أولي الأمر منكم. يعني: أمراء السرايا. وقيل: الفقهاء والعلماء في الدين أو الخلفاء والأمراء. ويجب طاعتهم ما لم يأمروا بالمعصية. (1)

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (39/2).

(2) جامع البيان، (7/155).

(3) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، (1/408).

(4) الهداية إلى بلوغ النهاية للقيرواني الأندلسي، (2/1369).

4- الجهاد مع الجماعة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 23]

((يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم: يقربون منكم، من الكفار: القتال واجب مع جميع الكفرة قريبيهم وبعيدهم، ولكن الأقرب فالأقرب أوجب، وقد حارب النبي ﷺ قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز، ثم الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره، وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم، وليجدوا فيكم غلظة: شدة وعنفاً في المقال قبل القتال، واعلموا أن الله مع المتقين: بالنصرة والغلبة)). (2)

ثالثاً: قوة الساعد والسلاح:

1- الإعداد الحربي لقتال الأعداء بحسب الطاقة والاستطاعة،

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60]

وأعدوا لهم أيها المؤمنون: أي قضى العهد لنا أو لجميع الكفار، ما استطعتم من قوة: من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها، وقيل: هي الحصون، ومن رباط الخيل: هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال، وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال، ترهبون به: بما استطعتم، عدو الله وعدوكم أي: أهل مكة، وآخرين من دونهم: غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن، لا تعلمونهم: لا تعرفونهم بأعيانهم، الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفي إليكم: إليكم جزاؤه، وأنتم لا تظلمون: في الجزاء، بل تعطون على التمام. (3)

2- الإنفاق في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ [التوبة: 41]

وقال أيضاً: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

(1) بحر العلوم للسمرقندي، (312/1).

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي، (718 / 1).

(3) نفس المصدر السابق، (1 / 653 / 654).



والمعنى: ولا تقبضوا التهلكة بأيديكم، أى: لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم. وقيل بأيديكم: بأنفسكم، وقيل تقديره: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم، كما يقال: أهلك فلان نفسه بيده، إذا تسبب لهلاكها. والمعنى: النهى عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك، أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس، أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو<sup>(1)</sup>.

عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ رضي الله عنه قَالَ غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرَيْدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالرُّومُ مُلْصِقُوا ظُهُورَهُمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ، فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: "إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ فِينَا مَعَشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ قُلْنَا: هَلُمُّ نَقِيمٌ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصَلِحُهَا"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] فَالِلِقَاءِ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نَقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصَلِحُهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ، قَالَ أَبُو عِمْرَانَ: «فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ»<sup>(2)</sup>.

وترى الباحثة أن الجهاد في سبيل الله هي التجارة الرباحة، والنجاة من النار، وأن ذلك يكون بالنفس والمال؛ لإعلاء كلمة الحق، وراية لا اله إلا الله، وإن هذه العوامل السابقة إذا تحققت، فإن النصر بالتأكيد سيتحقق بإذن الله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجَارَةٍ تُنَجِّيْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 10-13]

هذه التجارة هي التي يتمناها أولياء الله المجاهدون؛ لتوصلهم إلى رضى ربهم، ورأس مالها، الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله، وربحها غفران الله ودخول الجنات، يضاف إلى ذلك نصر الله لأوليائه على أعدائه. وهي الصفة المعقودة بين الله وبين عباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [التوبة: 111].

(1) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، (237/1).

(2) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، (ح2512)، (3/12)، حكم الألباني: صحيح.

## المطلب الثالث: تحويل العداوة إلى مودة:

إن الله ﷻ حين خلق الناس خلقهم متفاوتين في كل شيء، متفاوتين في أخلاقهم وطباعهم وميولهم، ومع هذا التفاوت العظيم والبون الشاسع، فقد جعل الله تبارك وتعالى أرواحهم جنوداً مجنّدة، فما تقارب منها وتعارف انتلف، وما تنافر منها وتناكر اختلف، كما جاء في الحديث: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ، وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» (1)

وإن صحبة الأخيار لها أثر عظيم في تحقيق المحبة، والألفة بين الناس، كما أن هذه الصحبة تقوم على العفو والصفح ومقابلة الآخرين بالابتسامة، مما يزيد من محبة الآخرين لهم، ومن أهم آثار هذه الصحبة الناجحة تحويل العداوة إلى مودة، والرسول ﷺ القدوة الأولى لنا في ذلك، فرغم كره بعض المشركين له، وتأمروهم على قتله، إلا أنه كان يدفع بالتّي هي أحسن، لدخول أعداد كبيرة منهم في دين الله تعالى.

عن أبي هريرة ؓ قال: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بَرَجَلٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهَا: ثَمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ. يَا مُحَمَّدُ! إِنْ تَقَتَّلَنِي تَقَتَّلْ ذَا دَمٍ! وَإِنْ تُنْعِمَ تَنْعَمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكْتُ حَتَّى كَانَ الْعَدُوُّ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟ فَقَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمَ تَنْعَمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ. فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدُوِّ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ. فَقَالَ: أَطْلُقُوا ثَمَامَةَ. فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. يَا مُحَمَّدُ! وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَجْهًا أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوَجُوهِ إِلَيَّ. وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينَكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ. وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ. وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعِمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبُوتٌ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَةٌ حِنْطَةٌ حَتَّى يَأْتِيَنَّ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ». (2)

وهذا إن دل فإنما يدل على التحول من البغض والكره، إلى محبة الرسول ﷺ ومحبة الإيمان، وقد حث الله المؤمنين على أن يدفعوا بالتّي هي أحسن لتحقيق المحبة وزيادة الألفة بين أفراد المجتمع.

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجنّدة، (ح3336)، (4/133).

(2) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير، (ح462)، (1/99).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]

أرشد الله ﷻ إلى ما ينمي روح المحبة والمودة، بين الداعي والمدعويين بصفة خاصة، وبين المسلم وغيره بصفة عامة، فقال: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَي: ولا تستوي الخصلة الحسنة ولا الخصلة السيئة، لا في ذواتهما ولا في الآثار التي تترتب عليهما، إذ الخصلة الحسنة جميلة في ذاتها، وعظيمة في الآثار الطيبة التي تنتج عنها، أما الخصلة السيئة فهي قبيحة في ذاتها وفي نتائجها.

وقوله تعالى: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إرشاد منه - تعالى - إلى ما يجب أن يتحلى به عباده المؤمنون أي: ما دامت الخصلة الحسنة لا تتساوى مع الخصلة السيئة، فعليك - أيها المسلم - أن تدفع السيئة إذا جاءتك من المسيء، بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات، بأن تقابل ذنبه بالعمو، وغضبه بالصبر، وقطعه بالصلة وفضاطته بالسماحة.

وقوله ﷻ: فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ بيان للآثار الجميلة التي تترتب على دفع السيئة بالحسنة. والولي: هو الصديق المحب الشفيق عليك، من الولي بمعنى القرب. والحميم: يطلق في الأصل على الماء الحار ... والمراد به هنا: الصديق الصدوق معك، أي: أنت إذا دفعت السيئة بالحسنة، صار عدوك الذي أساء إليك، كأنه قريب منك، لأن من شأن النفوس الكريمة أنها تحب من أحسن إليها، ومن عفا عنها، ومن قابل شرها بالخير، ومنعها بالعتاء.

ولما كانت هذه الأخلاق تحتاج إلى مجاهدة للنفس. عقب ﷻ على هذه التوجيهات السامية بقوله: وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا. وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا نُو حَظٌّ عَظِيمٌ. والضمير في يُلْقَاهَا يعود إلى تلك الخصال الكريمة السابقة، التي على رأسها الدفع بالتي هي أحسن، أي: وما يستطيع القيام بتلك الأخلاق العظيمة التي على رأسها الدعوة إلى الله ومقابلة السيئة بالحسنة. إلا الذين صبروا على المكاره وعلى الأذى، وما يستطيعها - أيضا - إلا صاحب الحظ الوافر، والنصيب الكبير، من توفيق الله - تعالى - له إلى مكارم الأخلاق.

والمأمل في هذه الآيات الكريمة يراها قد رسمت للمسلم أحكام الطرق، وأفضل الوسائل، التي ترفع درجته عند - خالقه - تعالى. (1)

والمعنى: لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ يعني: لا تستوي الطاعة، والمعصية، ولا يستوي الكفر، والإيمان. ويقال: لا يستوي البصير والأعمى، ويقال: لا يستوي الصبر والجزع، واحتمال الأذى والإساءة. وذلك أن النبي ﷺ كان يؤذيه أبو جهل لعنة الله عليه، وكان النبي ﷺ يكره رؤيته بُغْضاً له، فأمره الله تعالى بالعمو والصفح، فقال: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ يعني: ادفع بالكلمة الحسنة،

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي، (12/351/352).

الكلمة القبيحة، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ يعني: إذا فعلت ذلك، يصير الذي بينك وبينه عداوة، بمنزلة القرابة في النسب.

قوله تعالى: وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا يعني: الكلمة الحسنة، ودفع السيئة، ما يعطاها إلا الذين صبروا على طاعة الله، وأداء الفرائض، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ يعني: ذو نصيب وافر في الآخرة.

ويقال: ادْفَعْ بِأَتِي هِيَ أَحْسَنُ يعني: بقول لا إله إلا الله، السيئة يعني: الشرك. وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ. (1)

إن النبي ﷺ قد حول قلوب كثيرة من عدا وكرهية، إلى محبة وألفة ومودة بإذن ربه، فعن ابن شهاب، قال: «عَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتَحَ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَافْتَتَلُوا بَحْنِينَ، فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بِنَ أُمِّيَّةَ مِائَةَ مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةَ ثُمَّ مِائَةَ» قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِتَهَ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» (2)

ومع ذلك فإن هناك عداوات يستحيل أن تتحول إلى محبة وألفة، كإصرار أعداء الله والمشركين على الكفر والفسق، ومع ذلك فهم يعادون المؤمنين ويحاربونهم بشتى الوسائل فهؤلاء تحرم محبتهم، فهم أعداء الإسلام والمسلمين.

قال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ [المتحنة:7]

والمعنى: عسى الله- تعالى- أن يجعل بينكم- أيها المؤمنون- وبين الذين عاديتموهم من أقاربكم الكفار، مودة ومحبة. بأن يهديهم إلى الدخول في دين الإسلام، فتتحول عداوتكم لهم، إلى أخوة صادقة. وصلة طيبة، ومحبة شديدة.

وقد أنجز الله- تعالى- وعده، فهدى كثيراً من كفار قريش إلى الدخول في الإسلام، والتقوا هم وأقاربهم الذين سبقوهم إلى الإسلام، على طاعة الله ومحبته، والدفاع عن دينه، وبذل أنفسهم وأموالهم في سبيله.

(1) بحر العلوم للسمرقندي، (227/3).

(2) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مسائل رسول الله ﷺ، (ح2313)، (1806/4).

وَاللَّهُ قَدِيرٌ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَي: والله - تعالى - شديد القدرة على أن يغير أحوال القلوب، فيصبح المشركون مؤمنين، والأعداء أصدقاء، والله - تعالى - واسع المغفرة والرحمة، لمن استجاب لأمره ونهيه، وأقلع عن المعصية إلى الطاعة، ونبذ الكفر وتحول إلى الإيمان.

فالآية الكريمة بشارة عظيمة للمؤمنين، بأنه - سبحانه - كفيل بأن يجمع شملهم بكثير من أقاربهم الكافرين، وبأن يحول العدا الذي بينهم، إلى مودة ومحبة، بسبب التقاء الجميع على طاعة الله - تعالى - وإخلاص العبادة له، وقد تم ذلك بصورة موسعة، بعد أن فتحت مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجا. (1)

يقول تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [المجادلة: 22].

أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملاً على مقتضى الإيمان ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه.

وهذا هو الإيمان على الحقيقة التي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبته وغرسه غرساً، لا يتزلزل، ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك.

وهم الذين قواهم الله بروح منه أي: بوحيه، ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني، وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار، التي فيها من كل ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين، وتختار، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ووافر المثوبات، وجزيل الهبات، ورفيع الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا فوقه نهاية.

وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو مع ذلك موداً لأعداء الله، محباً لمن ترك الإيمان وراء ظهره، فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى، لا تفيد شيئاً ولا يصدق صاحبها. (2)

(1) التفسير الوسيط لططاوي، (14/333/334).

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (1/848).

## المبحث الثالث

## آثار صحبة الأشرار على الفرد

## المطلب الأول: الانحراف والضلال

إن الله ﷻ حذر من مصاحبة الأشرار، فهي السم الناقع، والبلاء الواقع، فتجدهم يداومون على فعل المعاصي والمنكرات، ويرغبون فيها، ويفتحون لمن خالطهم وجالسهم أبواب الشر، ويُرِينُونُ لمجالسهم أنواع المعاصي، ويحثونهم على أذية الخلق، ويذكرونهم بأمر الفساد، التي لم تَثُرْ في خلدِهم، وإن همَّ أحدهم بتوبةٍ وانزجارٍ عن المعاصي، حسنوا عنده تأجيل ذلك، وطول الأمل، وأنَّ ما أنت فيه أهون من غيره، وفي إمكانك التوبة والإنابة إذا كبرت في السن، وما يحصل من مخالطتهم ومعاشرتهم أعظم من هذا بكثير.

فالصحبة السيئة تنتج إنساناً عارياً عن الخلق والدين، غير صالح لهذا المجتمع، بل هو بمثابة المرض الذي يقضي على الأسرة، وبالتالي على المجتمع.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ: بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى » (1)

فإن صحبة الأشرار تقطع طريق الهداية، وتصد عن سبيل الله، وتبعد عن طريق الجنة فتكون سبباً للهلاك والدخول في النار حتى عند الموت.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: « يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ » فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك». (2)

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ \* وَإِنَّهُمْ

لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [ الزخرف: 36-37 ]

(1) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام و أهل ومشورته (ح7198)، (9/77).

(2) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند موته لا اله إلا الله، (ح1360)، (2/95).

يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: وَمَنْ يَعِشْ أَي: يعرض ويصد، عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ: الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قَبِلَهَا، فقد قَبِلَ خَيْرَ المَوَاهِبِ، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض عنها وردّها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبداً، وقِيضَ له الرحمن شيطاناً مريداً، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويمتّيه، ويؤزّه إلى المعاصي أزا.

وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ أَي: الصراط المستقيم، والدين القويم. وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ: بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له، وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا وهذا.

فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟ قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله، مع تمكّنهم على الاهتداء، فزهدوا في الهدى مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم، فهذه حالة هذا المعرض عن ذكر الله في الدنيا، مع قرينه، وهو الضلال والغي، وانقلاب الحقائق.

وأما حاله، إذا جاء ربه في الآخرة، فهو شر الأحوال، وهو: إظهار الندم والتحسر، والحزن الذي لا يجبر مصابه، والتبرّي من قرينه، ولهذا قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف:38]

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ يَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف:39] أي: ولا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم في العذاب، أنتم وقرنائكم وأخلائكم، وذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، فاشتركتم في عقابه وعذابه.

ولن ينفعكم أيضاً، روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون، هان عليهم بعض الهون، وتسلى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة. (1)

فإن هذا القرين عبارة عن شيطان من شياطين الإنس أو شياطين الجن، يستعمل كل الوسائل التي تصد الإنسان عن طريق الحق، وتزين له السبيل على أنها طريق الهدى. و بمرور الزمن يألف الإنسان طريق الضلال، إلى أن يهلك و يصير من الخاسرين، و مصداق ذلك الأمر قوله تعالى: ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾. [فصّلت:25].

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (1 / 766).

إذا أراد الله بعد خيراً قيض له قرناً خيراً يعينونه على الطاعات، ويحملونه عليها، ويدعونه إليها. وإذا كانوا إخوان سوء حملوه على المخالفات، ودعوه إليها. ومن ذلك الشيطان فإنه مقيض مسلط على الإنسان يوسوس إليه بالمخالفات، وشر من ذلك النفس.

فإنها بنس القرين!! فهي تدعو العبد - اليوم - إلى ما فيه هلاكه، وتشهد عليه غداً بفعل الزلة. فالنفس - وشر قرين للمرء نفسه - والشياطين وشياطين الإنس.. كلها تزيّن لهم «ما بين أيديهم» من طول الأمل، «وما خلفهم» من نسيان الزلل، والتسوية في التوبة، والتقصير في الطاعة. (1)

إن الله تعالى أخبر عن صاحب من أهل الإيمان وقرين كان شريكاً له، وما كان بينهما من الصحبة، وما نتج عن هذه الصحبة لو أنه أطاع صاحبه وشريكه، فالصاحب والرفيق قد يكون سبباً وعوناً على العمل الصالح كالحث على الصدقة، وقد يكون مانعاً منها وسبباً في الهلاك.

قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ \* يَقُولُ أَتِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ \* أَتَدَّأ مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَتِنَّا لَمَدِينُونَ \* قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ \* فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ \* قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ \* وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: 51-57].

قال قائلٌ منهم إنِّي كان لي قرينٌ أي: قال قائلٌ من أهل الجنة إنِّي كان لي قرين في الدنيا، يقولُ أَتِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أي: كان يُؤبِّخني على التصديق بالبعث والقيامة ويقول تعجباً: أَتَدَّأ مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَتِنَّا لَمَدِينُونَ أي: لمحاسنون ومجازون، والمعنى أن ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار، ثم إن ذلك الرجل الذي هو من أهل الجنة يقول لجسائه يدعوهم إلى كمال السرور بالاطلاع إلى النار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته، هل أنتم مطلعون: فاطَّلَعَ وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ تَكَلَّفَ أَمْرًا اِطَّلَعَ مَعَهُ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُطَّلِعًا بَلَا تَكَلَّفَ لَمْ يَكُنْ إِلَى اِطَّلَاعِهِ حَاجَةً فَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ أَطْرَافِ الْجَنَّةِ فَاطَّلَعَ عِنْدَهَا إِلَى النَّارِ، فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ أي: في وسط الجحيم قال له موبخاً: تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ أي: لتهلكني بدعائك إياي إلى إنكار البعث والقيامة ولولا نعمة ربي بالارشاد إلى الحق والعصمة عن الباطل لكنت من المحضرين في النار مثلك، ولما تم ذلك الكلام مع الرجل الذي كان في الدنيا قريباً له، وهو الآن من أهل النار عاد إلى مخاطبة جسائه الذين هم من أهل الجنة. (2)

فالصاحب السيء يحث صاحبه على فعل المنكرات، وترك الأعمال الصالحات، فكلما أراد أن يتوب ويرجع كان صاحبه مانعاً له، يزين له المنهيات، ويصعب عليه فعل الخيرات، فيتبين له

(1) لطائف الإشارات للقسيري، (325/3).

(2) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي، (334/26).



يوم القيامة حقيقة هذا الصاحب، وتتحول هذه الصداقة التي كانت في الدنيا إلى عداوة، وكرهية يوم القيامة، ويبقى أهل الإيمان أهل الرفقة الحسنة المتحابين.

قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الرُحْرَف: 67]

### المطلب الثاني: الخسارة في الدنيا والآخرة

إن الصحبة السيئة التي يعيشها الفرد، من أخطر المعوقات التي تعيقه في السير إلى الله تبارك وتعالى، والتقرب إليه بفعل الصالحات والقربات، فقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ في اختيار من يجالسهم ويصاحبهم فقال ﷺ: ﴿وَاصِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

يأمر تعالى نبيه محمداً ﷺ - وغيره أسوته، في الأوامر والنواهي - أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين، الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ أَي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك. تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: فإن هذا ضار غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته، وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبدية، والندامة السرمدية، ولهذا قال: وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا: غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره. وَاتَّبَعَ هَوَاهُ أَي: صار تبعاً لهواه، حيث ما اشتتهت نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إليه هواه، كما قال تعالى: أفرأيت من اتخذ إليه هواه وأضله الله على علم... الآية. وَكَانَ أَمْرُهُ أَي: مصالح دينه ودنياه، فُرُطًا أَي: ضائعة معطلة.

فهذا قد نهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به، ودلت الآية على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماماً للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مرضاة ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما من الله به عليه، فحقيق بذلك، أن يتبع ويجعل إماماً، والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، ويتمامه تتم باقي الأقسام. وفي الآية استحباب الذكر والدعاء والعبادة طرفي النهار، لأن الله

مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله، دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه. (1)

يقول ابن كثير - رحمه الله -: ((أي اجلس مع الذين يذكرون الله، ويهللونه، ويحمدونه، ويسبحونه، ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشياً من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء، وقوله: وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا أَي: شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا. وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطاً أَي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعاً ولا محباً لطريقته ولا تغبطه بما هو فيه)). (2)

وقد أكد الله تعالى على خسارة صحبة الأشرار، ومن خالطهم وأصر على معاشرتهم، فإن حياتهم تكون في مشقة وتعب؛ لإعراضهم عن ذكر الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾. [طه: 124-126].

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي أَي: خالف أمرِي، وَمَا أَنْزَلْتُهُ عَلَى رَسُولِي، أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَنَاسَاهُ وَأَخَذَ مِنْ غَيْرِهِ هُدَاهُ. فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا أَي: فِي الدُّنْيَا، فَلَا طُمَأْنِينَةَ لَهُ، وَلَا انْشِرَاحَ لَصَدْرِهِ، بَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقٌ حَرَجٌ لِضَلَالِهِ، وَإِنْ تَنَعَّمَ ظَاهِرُهُ، وَلَيْسَ مَا شَاءَ وَأَكَلَ مَا شَاءَ، وَسَكَنَ حَيْثُ شَاءَ، فَإِنْ قَلْبُهُ مَا لَمْ يَخْلُصْ إِلَى الْيَقِينِ وَالْهُدَى، فَهُوَ فِي قَلْقٍ وَحَيْرَةٍ وَشَكٍّ، فَلَا يَزَالُ فِي رَيْبَةٍ يَتَرَدَّدُ. فَهَذَا مِنْ ضَنْكَ الْمَعِيشَةِ. (3) وقد ذكر القرآن الكريم تأثير الصحبة السيئة، وبيان خطورة الصحبة على الإنسان، وأنها قطعة من النار تعقب الضغائن، وتورث الحسرات والندم، وتجري على المعاصي والسيئات والهلاك.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 27-29]

((وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ: بشركه وكفره وتكذيبه للرسول، عَلَى يَدَيْهِ: تأسفاً وتحسراً وحنناً وأسفاً. يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا أَي: طريقاً بالإيمان به وتصديقه واتباعه. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا: وهو الشيطان الإنسي أو الجني. خَلِيلًا أَي: حبيباً مصافياً عاديت أنصح الناس لي، وأبرهم بي وأرفقهم بي، وواليت أعدى عدو لي، الذي لم تقفني ولايته إلا الشقاء والخسارة والخزي.

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (475/1).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (152/5).

(3) نفس المصدر السابق، (322/5).

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي: حيث زين له ما هو عليه من الضلال بخدعه وتسويله. وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا: يزين له الباطل ويقبِّح له الحق، ويعده الأمانى ثم يتخلى عنه، ويبترياً منه، كما قال لجميع أتباعه حين قضي الأمر، وفرغ الله من حساب الخلق. (1)

والمعنى: واذكر - أيها العاقل - يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء، يوم يعرض الظالم على يديه من شدة غيظه وندمه وحسرتة. ويقول في هذا اليوم، يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا أي: يا لَيْتَنِي سَلَكْتُ مَعَهُ طَرِيقَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ، وَاتَّبَعْتَهُ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ.

يا وَيْلَتِي أي: ثم يقول هذا الظالم يا هلاكي أقبل فهذا أوان إقبالك، فهذه الكلمة تستعمل عند وقوع داهية دهياء لا نجاة منها، وكأن المتحسر ينادي ويلته، ويطلب حضورها بعد تنزيلها منزلة من يفهم نداءه. لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا أي: لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا الَّذِي أَضَلَّنِي فِي الدُّنْيَا صَدِيقًا وَخَلِيلًا لِي. والمراد بفلان: كل من أضل غيره وصرفه عن طريق الحق.

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي أي: والله لقد أضلني هذا الصديق المشئوم عن الذكر أي: عن الهدى بعد إذ جاءني الرسول ﷺ، فالجملة الكريمة تعليل لتمنيه المذكور، وتوضيح لتملله، وأكده بلام القسم للمبالغة في بيان شدة ندمه وحسرتة.

والمراد بالذكر هنا: ما يشمل القرآن الكريم، وما يشمل غيره من توجيهات النبي ﷺ وفي التعبير بقوله: بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي إِشْعَارُ بَأْنِ هَدَى الرَّسُولِ ﷺ قد وصل إلى هذا الشقي، وكان بإمكانه أن ينتفع به.

ثم ختم ﷺ الآية بقوله: وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا أي: وكان الشيطان دائماً وأبداً. خذولاً للإنسان. أي: صارفا إياه عن الحق، محرضاً له على الباطل، فإذا ما احتاج الإنسان إليه خذله وتركه، وفر عنه وهو يقول: إني برىء منك، يقال: خذل فلان فلاناً، إذا ترك نصرته بعد أن وعده بها)). (2) وهكذا تكون عاقبة الذين يتبعون أصدقاء السوء، وصدق الله إذ يقول: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزُحُف: 67]

الأخلاء جمع خليل بمعنى صديق. وسمى الأصدقاء أخلاء، لأن المودة التي بينهم تخللت قلوبهم واختلطت بنفوسهم. أي: الأصدقاء في الدنيا، يصير بعضهم لبعض يوم القيامة أعداء، لأنهم كانوا يجتمعون على الشرور والآثام في الدنيا، وكانوا يتواصلون بالبقاء على الكفر والفسوق والعصيان فلما جاء يوم القيامة، وانكشفت الحقائق.. انقلبت صداقتهم إلى عداوة. إِيَّا الْمُتَّقِينَ: فَإِنَّ صَدَاقَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا تَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ أَقَامُوهَا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (582/1).

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي، (191/10).

فالآية الكريمة إنذار للكافرين الذين كانت صداقاتهم في الدنيا، تقوم على محاربة الحق، ومناصرة الباطل... وبشارة عظيمة للمتقين، الذين بنوا صداقتهم في الدنيا على طاعة الله - تعالى - ونصرة دينه، والعمل بشريعته. (1)

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي، (13 / 98).

## المبحث الرابع

## آثار صحبة الأشرار على المجتمع

المطلب الأول: التفكك الأسري:

توطئة:

شرع الإسلام مفهوم الزواج ورسخ معناه وربطه بالأنس والمودة والطمأنينة والتعاون، وقد دعا القرآن إلى حسن المعاشرة: ﴿...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ [النساء:19]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» (1)

فالأُسرة عماد المجتمع، وقاعدة الحياة الإنسانية، وأنها إذا أُسست على دعائم راسخة من الدين والخلق، والترابط الحميم، فإنها تكون لبنة قوية في بنيان الأمة، أو خلية حية في جسم المجتمع، ومن ثم كان صلاح الأسرة هو السبيل لصلاح الأمة، وكان فسادها أو انحلالها مناط فساد المجتمع أو انهياره.

ولأهمية الأسرة البالغة كان الاهتمام الكبير الذي أولته التشريعات الإلهية، والقوانين الوضعية لها، خاصة الشريعة الإسلامية التي بُعث بها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة، فقد قرر الإسلام المبادئ والقواعد التي تؤسس عليها الأسرة، والتي تكفل لها حياة فاضلة، تقوم على معاني المودة والرحمة، والسكن والوئام والسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾. [الرؤم].

وإن الأسرة المسلمة تتمتع بقسط وافر من القيم الإسلامية، قيم الترابط والتراحم والتعاطف والتآلف والتكافل، وقيم الإحسان والتعاون على البر والتقوى، قيم احترام الكبير والعطف على الصغير، قيم الإيثار والمحبة والكلمة الطيبة، وصلة الرحم، ومن ثم كان لها دورها الفاعل في حياة الأمة والمجتمع وقوتها ونهضتها، وكان لها القيادة والريادة والسبق الحضاري الذي أنار للغرب طريق العلم والتقدم.

(1) سنن الترمذي، كتاب أبواب الرضاع، باب ماجاء في حق المرأة على زوجها، (ح 1162)، (3/458)، حكم الألباني: حسن صحيح.

فالبيت هو موطن سكن الأسرة واستقرارها، ومكان راحة أفرادها، والملجأ من تعب الحياة وكدها، لتحقيق السكينة والهدوء والراحة والاستقرار .

وقد حرص الإسلام على أن يبعد أسباب الطلاق لبناء الأسرة، والحفاظ عليها من التصدع والانهييار، وغرس مخافة الله في النفوس، إلا أن الأسرة قد تنشأ فيها بعض المشاكل، وحالات التوتر والاضطراب بين الزوجين، مما يؤدي إلى انهيار الأسرة، وتفاقم الخلاف بين الزوجين وحلول الشقاق والكراهية، بدل الحب والسعادة والانسجام.

مما يؤدي إلى تشريد الأبناء وتضييعهم، لذلك كره الإسلام الطلاق، وحذر منه رغم إباحته للضرورة، وحث على الإصلاح بين الزوجين والتحكيم بينهما.

وإن هناك أسباباً كثيرة لوجود هذه المشاكل منها صحبة الأشرار، كصحبة الأبناء أو أحد الوالدين، فإن من الحزم والرشاد، ورجاحة العقل وفصاحة الرأي، ألا يجالس المرء إلا من يرى في مجالسته ومؤاخاته النفع له في أمر دينه ودنياه، وإن خير الأصحاب لصاحبه، وأنفع الجلساء لجليسه، من كان ذي بر وتقى، ومروءة ونهى، ومكارم أخلاق، ومحاسن آداب، وجميل عوائد، مع صفاء سريرة، ونفس أبية، وهمة عالية، وتكمل صفاته ويجل قدره حين يكون من أهل العلم والأدب، والفقہ والحكمة.

ولنتأمل في حال من ابتلوا بإدمان المسكرات، وتعاطي المخدرات، واقتراف الفواحش والمنكرات، واكتساب الأموال المحرمة من ربا ورشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة، وما هم عليه من سوء الحال في أنفسهم وأهلبيهم، وما كان لهم من أسوأ الأثر في من يخالطهم ويصافبيهم، فمن شقاء المرء أن يجالس أمثال هؤلاء الذين ليس في صحبتهم سوى الحسرة والندامة؛ لأنهم ربما أفسدوا عليه دينه وأخلاقه، حتى يخسر دنياه وآخرته، وذلك هو الخسران المبين، والغبن الفاحش، فالقرين يؤثر في عقيدة قرينه، وفي قناعاته الفكرية فكم من صديق جر الويلات على صديقه، وكم من قرين كان سبباً في انحراف قرينه، وعندها لا ينفع الندم.

وهكذا تكون عاقبة الذين يتبعون أصدقاء السوء، وصدق الله إذ يقول: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:67]

وقوله ﷺ: **الْأَخِلَاءُ** جمع خليل بمعنى صديق. وسمى الأصدقاء أخلاء، لأن المودة التي بينهم

تخللت قلوبهم واختلطت بنفوسهم.

أى: الأصدقاء في الدنيا، يصير بعضهم لبعض يوم القيامة أعداء، لأنهم كانوا يجتمعون على الشرور والآثام في الدنيا، وكانوا يتواصلون بالبقاء على الكفر والفسوق والعصيان، فلما جاء يوم القيامة، وانكشفت الحقائق.. انقلبت صداقتهم إلى عداوة.

إِنَّا الْمُتَّقِينَ: فَإِنْ صَدَقْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا تَتَفَعَّلُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ أَقَامُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِذْ ذَكَرَ لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَانَتْ صَدَقَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا تَقُومُ عَلَى مَحَارِبَةِ الْحَقِّ، وَمَنَاصِرَةِ الْبَاطِلِ... وَبَشَارَةَ عَظِيمَةَ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ بَنَوْا صَدَقَاتَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ، وَنَصْرَةِ دِينِهِ، وَالْعَمَلِ بِشَرِيْعَتِهِ. (1)

فَكَمَ مِنَ الشَّبَابِ ذَهَبُوا لِلسَّفَرِ لِلدِّرَاسَةِ وَالْعِلْمِ، وَقَدْ تَخَالَطُوا بِالنَّاسِ فَصَاحِبُوهُمْ لِيَعِينُوهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، أَوْ مَسَاعِدَتِهِمْ فِي مَجَالِ الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، فَكَانَ الْأَمْرُ عَكْسَ ذَلِكَ، وَكَانَتْ صَحْبَتُهُمْ سَبَبًا فِي هَدْمِ الْأُسْرَةِ وَتَفْكَكِهَا، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنِ صَحْبَةِ الْأَشْرَارِ، وَالِابْتِعَادِ عَنْهُمْ وَعَدَمِ طَاعَتِهِمْ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[الكهف:28].

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا غَفَلَ عَنِ اللَّهِ، فَعَاقِبَهُ بِأَن أَغْفَلَهُ عَنِ ذِكْرِهِ. وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ أَي: صَارَ تَبَعًا لِهَوَاهُ، حَيْثُ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ فَعَلَهُ، وَسَعَى فِي إِدْرَاكِهِ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ هَلَاكُهُ وَخَسْرَانُهُ، فَهُوَ قَدْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ أَي: مَصَالِحُ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ. فُرُطًا أَي: ضَائِعَةً مَعْطَلَةً. فَهَذَا قَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ طَاعَتِهِ، لِأَن طَاعَتَهُ تَدْعُو إِلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِ. (2)

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَذَرْنَا مِنْ أَهْلِ السُّوءِ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ

عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:68].

يَقُولُ الْحَقُّ ﷻ: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا أَي: الْقُرْآنَ بِالتَّكْذِيبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهَا وَالتَّطَعْنِ فِيهَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَلَا تَجَالِسْهُمْ، بَلْ قُمْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ أَي: غَيْرِ الْقُرْآنِ، وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ النِّهْيَ عَنِ مَجَالَسَتِهِمْ، وَجَلَسْتَ نَسِيَانًا، فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى أَي: بَعْدَ أَنْ تَذَكَرَ النِّهْيَ، مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَنَسْبَةَ النِّسْيَانِ إِلَى الشَّيْطَانِ أَدْبَاً مَعَ الْحَضْرَةِ، قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ، وَوَضَعَ الْمَظْهَرَ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ، أَي: مَعَهُمْ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ ظَلَمُوا بِوَضْعِ التَّكْذِيبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ مَوْضِعَ التَّصْدِيقِ وَالتَّعْظِيمِ.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ أَي: مَا عَلَى الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَجَالِسُونَهُمْ شَيْءٌ مِنْ حِسَابِهِمْ، بَلْ عِقَابُهُمْ عَلَى الْخَوْضِ خَاصًّا بِهِمْ، وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ ذِكْرُى أَي: تَذَكِيرُهُمْ وَوَعْظُهُمْ وَمَنْعُهُمْ مِنَ الْخَوْضِ إِنْ قَدَرُوا، وَكَرَاهِيَةِ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَقْدَرُوا، فَيَعْظُونَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، فَيَجْتَنِبُونَ ذَلِكَ

(1) التفسير الوسيط لسيد طنطاوى، (98/13)

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (475/1).

الخوض حياءً أو كراهية مُساعتهم، وإنما أبيح للمؤمنين القعود مع الكفار الخائضين ومخالطتهم لأن ذلك يشق عليهم، إذ لا بدُّ لهم من مخالطتهم في طلب المعاش وفي الطواف، وغير ذلك، بخلافه ﷺ لأن الله أغناه عنهم به، فنهاء عن مخالطة أهل الخوض مطلقاً.

فالإشارة هنا: التحذير من مخالطة أهل الخوض وصحبة العوام، وكل من ليس من جنس أهل النسبة، فإن الجأه الحال إلى صحبتهم - فليذكرهم، ويعظمهم، ويُنهضهم إلى الله بمقاله أو حاله ما استطاع. (1)

وقد حث الله الوالدين على رعاية أبنائهم وتحمل المسؤولية، وأن يهتم الأب لشأن ابنه، فيسأل عن أصدقائه، ويتعرف عليهم ويعرف سلوكهم، وكذلك الأم تهتم لشأن بنتها، فتعرف منخالط ومن تعاشر؛ من أجل الحفاظ على الأسرة في الدنيا، ونيل الأجر والثواب في الآخرة على تربيتهم. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6].

أي: يا من من الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه. قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا: موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً، ونهيه اجتناباً، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه.

ووصف الله النار بهذه الأوصاف، ليزجر عباده عن التهاون بأمره فقال: "وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ"، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء: 98]

عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ أَي: غليظة أخلاقهم، عظيم انتهارهم، يفرعون بأصواتهم ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمتثلون فيهم أمر الله، الذي حتم عليهم العذاب وأوجب عليهم شدة العقاب، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وهذا فيه أيضاً مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به. (2)

وترى الباحثة أن الإنسان عليه أن يحرص على صحبة الأخيار ويتعد عن صحبة الأشرار، لما لها من عواقب وخيمة في تدمير الفرد فالأسرة فالمجتمع، لأن بداية الشر يبدأ بالصغير ثم يكبر، إلى أن ينشر العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، فيعمل على هدم كثير من الأسر، وإن وسائل

(1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، (131/2)، (بتصرف) .

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (874/1).



الإعلام سبب آخر لنشوء المشاكل بين الأسر كالإنترنت، فكم من امرأة خانت زوجها بسبب صحبة الأشرار، وكم من زوج دمر حياته وأولاده لمعاشرته رفقة السوء، وبسبب هذه الوسائل التي تريد تفكيك المجتمع، فإن هدف الكفار هو زرع الفساد والانحلال الأخلاقي بين المسلمين، وإن معظم أسباب الطلاق من وراء المسلسلات والأفلام الماجنة التي حرمها الشرع ونهى عنها .

### المطلب الثاني: الانحراف والضلال

إن أي جماعة تتميز ببنائها الاجتماعي، وتتفرد بثقافتها الخاصة، والارتباط الوثيق بالجماعة يجعل الفرد منصاعاً لمعاييرها، وملتزمًا بتقاليدها، وبالتالي فإن من البديهي انحراف الفرد وسط جماعته بقدر انحراف معاييرها وضوابطها، وإن صحبة الأشرار لها أثر كبير في الانحراف الأخلاقي للمجتمع، فنجد أن جلسة تعاطي الحشيش - على سبيل المثال - تضم عادة مجموعة من الأصدقاء، لهم صفات التعاطي نفسها، وإذا انضم إليهم عضو آخر، فعليه أن يشترك معهم، مجاملة لهم في أول الأمر، ثم تتكرر العملية، إلى أن يصبح ذلك إيماناً، وعن طريق هؤلاء الأصدقاء بدؤوا ينشروا هذه العادات السيئة في المجتمع .

وهكذا كان رفقاء السوء عائقاً خطيراً للخلق الحسن وسبباً قوياً للانحراف، إذ إنهم يزينون المعاصي لمن يصادقهم، ويهونونها في أنظارهم ويجرونهم إليها جراً، والإسلام لم ينكر تأثير هذا العامل على السلوك، فقال الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: 68]

قال أبو جعفر الطبرى: ((وإذا رأيت، يا محمد، المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها إليك، ووحينا الذي أوحيناها إليك، و"خوضهم فيها"، كان استهزاءهم بها، وسبهم من أنزلها وتكلم بها، وتكذيبهم بها. فأعرض عنهم فصداً عنهم بوجهك، وقم عنهم، ولا تجلس معهم حتى يخوضوا في حديث غيره"، حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم وإما ينسيتك الشيطان، وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا)). (1)

(1) جامع البيان، (436/11).

وقال الزمخشري: ((يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فِي الاستهزاء بها والطعن فيها، وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك، فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ فَلَا تَجَالِسُهُمْ وَقَمَ عَنْهُمْ، حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ، فَلَا بَأْسَ أَنْ تَجَالِسَهُمْ حِينَئِذٍ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ وَإِنْ شَغَلَكَ بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم)). (1)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمُ تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصّلت: 29].

وقال الذين كفروا ربنا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِيهِمَا قَوْلَانِ: أحدهما: دعاة الضلالة من الجن والإنس. الثاني: أن الذي من الجن إبليس، يدعوه كل من دخل النار من المشركين، والذي من الإنس ابن آدم، وفي قوله: أَرْنَا الَّذِينَ وَجْهَانِ: أحدهما: أعطنا اللذين ضلّاناً. الثاني: أبصرنا اللذين ضلّاناً. نجعلهما تحت أقدامنا يحتمل وجهين: أحدهما: انتقاماً منهم. الثاني: استذلالاً لهم. لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ: يعني في النار، قالوا ذلك حنقاً عليهما وعداوة لها. ويحتمل قوله: من الأسفلين وجهين: أحدهما: من الأدلين. الثاني: من الأشدّين عذاباً لأن من كان في أسفل النار كان أشدّ عذاباً. (2)

نَجْعَلُهُمُ تَحْتَ أَقْدَامِنَا: هذه الإرادة وهذا التمني زيادة في عقوبتهم، أيضاً لأنهم يتأذون بتلك الإرادة وهذا التمني، فهم يجدون أنه لا نفع لهم من ذلك إذ لن يجابوا في شيء، ولن يمنع عنهم العذاب، ويفيد هذا الإخبار عنهم عن وقوع التبرّي فيما بينهم، فبعضهم يتبرأ من بعض، كما يفيد بأن الندم في غير وقته لا جدوى منه. (3)

والآيات واضحة في التحذير من مجالسة الأشرار والابتعاد عنهم، فصحبتهم والتعاون معهم على الضلال والكفر فساد في الأرض، لأن الله تعالى بيّن أن الكفر والمعاصي سبباً من أسباب الفساد في الأرض فقال سبحانه: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الرّوم: 41].

((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ يعني: قحط المطر، ونقص الثمار للناس والدواب، يعني: نقص النبات في البر للدواب والوحوش، وفي البحر يعني: القرى والأرضين ينقصان الثمار والزرع. سمى القرى والمدائن بحراً لما يجري فيها من الأنهار. ويقال: البحر نفسه لأنه إذا لم يكن مطر، فإنه لا يخرج منه اللؤلؤ بما كسبت أَيْدِي النَّاسِ أي: بما عملوا من المعاصي. ويقال: من

(1) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، (34/2).

(2) النكت والعيون للما وردى، (5/178/179).

(3) لطائف الإشارات للقسيري، (327/3).

أذنب ذنباً فجميع الخلق من الإنس والجن، والدواب والوحوش، والطير والذر، خصماًؤه يوم القيامة، لأنه يمنع المطر بالمعصية، فيضرب بأهل البر والبحر)). (1)

وهذه المعاصي واجتماع صحبة الأشرار عليها كالمشركين والكفار، عاقبتها الهلاك في الدنيا والآخرة، فهم ظلموا أنفسهم بسببها.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾. [الكهف: 58].

((بَيِّنَ فِي هَذِهِ آيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الْقُرَى الْمَاضِيَةَ لَمَّا ظَلَمَتْ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ، وَالْعِنَادِ، وَاللَّجَاجِ فِي الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ)). (2)

وهلاك الله للأمة بالظلم ضربان:

1- ضرب بعذاب الاستئصال للأقوام الذين بعث الله تعالى فيهم رسلاً لهدايتهم بالإيمان والعمل الصالح كقوم نوح وعاد وثمود، فعاندوا الرسل فأندروهم عاقبة الجحود والعناد بعد مجيئهم بالآيات الدالة على صدقهم.

2- ضرب بعذاب هو مقتضى سنته تعالى في نظم الاجتماع البشري، فالظلم مثلاً سبب لفساد العمران وضعف الأمم، ولاستيلاء القوية على الضعيفة كما قال تعالى ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾. [الأنبياء: 11].

وهو إما ظلم الأفراد لأنفسهم بالفسوق، والإسراف في الشهوات المضغفة للأبدان، المفسدة للأخلاق، وإما ظلم الحكام الذي يفسد بأس الأمة ويوهن من قوتها. (3)

كما أن الله ﷻ جعل تأثير صحبتهم على بعضهم بعض، واشتراكهم في المعاصي حسرة وندامة يوم القيامة فتوعدهم سبحانه بالاشتراك بالعذاب فقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: 39]

ولن ينفعم أيضاً، روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون، هان عليهم بعض الهون، وتسلى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة. (4)

(1) بحر العلوم للسمرقندي، (15/3).

(2) أضواء البيان للشنقيطي، (318/3).

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن للمراعي، (11/76)، (بتصرف).

(4) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (766/1).

## المطلب الثالث: الضعف والهزيمة:

توطئة:

إن الله ﷻ أودع في كل إنسان فطرة صافية، ووجداناً نقياً، وبالفطرة والوجدان يهتدي الإنسان إلى الخير، ويكتشف موارد الشر، وبها يتفق أبناء البشر على المبادئ الخيرة .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجْسَانِهِ، كَمَا تَنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةِ جَمْعَاءَ، هَلْ تَحْسُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» ثُمَّ يَقُولُ: أَبُو هُرَيْرَةَ وَأَقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: 30] الْآيَةَ. (1)

إلا أن تربية الإنسان والأجواء التي ينشأ فيها قد تلوث صفاء فطرته، ونقاء وجدانه، فإذا تربى الأبناء في البيت على النزاع والتفرقة، فإن ذلك يؤثر سلباً على الأسرة، ومن ثم المجتمع، وقد تكون تربيتهم سليمة، لكنهم قد يتأثرون بالأشرار، وإن صحبة هؤلاء تهدف إلى إلقاء العداوة والبغضاء بين أفراد والمجتمع، مما يؤثر ذلك على فساد المجتمع وتفككه، ولذلك يتوعد الله تعالى المنحرفين بإلقاء العداوة والنزاع في صفوفهم، فعن أدعياء النصرانية المنحرفين عن منهج الله يقول تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:14] .

إنَّ الله ﷻ جعل اتفاق الرأي في المصلحة العامة الموافقة لهدي الإسلام، والاتصال بصلبة الألفة سبباً للقوة واستكمال لوازم الراحة في هذه الحياة الدنيا، والتمكُّن من الوصول للخير في الآخرة، كما جعل سبحانه التنازع والتعابن والتدابير محلاً للضعف وداعياً للسقوط في هوة العجز والكسل عن كل مصلحة دنيوية أو أخروية.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:103]، وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. [النساء:59].

(1) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، (ح 2658)، (2047/4).

فإن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بأن يطيعوا الله ورسوله، وأولى الأمر، فإن طاعة الحاكم المؤمن من طاعة الله ورسوله، وإن الأمة لن تجتمع على أكثر من حاكم، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدُّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ».(1)

وقد خالف الصحابة رضوان الله عليهم أمر النبي ﷺ في غزوة أحد، وتنازعا على الغنائم، فهزموا نتيجة ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. [آل عمران: 152].

إن التعبير القرآني هنا يرسم مشهداً كاملاً لمسرح المعركة، ولتداول النصر والهزيمة. مشهداً لا يترك حركة في الميدان، ولا خاطرة في النفوس، ولا سمة في الوجوه، ولا خالجة في الضمائر، إلا ويثبتها.

ومنهج القرآن التربوي المميز: وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ.. وكان ذلك في مطلع المعركة، حيث بدأ المسلمون يحسون المشركين، أي يخدمون حسهم، قبل أن يلهيهم الطمع في الغنيمة.

حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ: مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ.. وهو تقرير لحال الرماة. وقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة، ووقع النزاع بينهم وبين من يرون الطاعة المطلقة لأمر رسول الله ﷺ، وانتهى الأمر إلى العصيان. بعد ما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذي يحبونه. فكانوا فريقين: فريقاً يريد غنيمة الدنيا، وفريقاً يريد ثواب الآخرة. وتوزعت القلوب فلم يعد الصف واحداً، ولم يعد الهدف واحداً. وشابت المطامع جلاء الإخلاص والتجرد الذي لا بد منه في معركة العقيدة. فمعركة العقيدة ليست ككل معركة، إنها معركة في الميدان ومعركة في الضمير. ولا انتصار في معركة الميدان دون الانتصار في معركة الضمير، إنها معركة لله، فلا ينصر الله فيها إلا من خلصت نفوسهم له.

وما داموا يرفعون راية الله وينتسبون إليها، فإن الله لا يمنحهم النصر إلا إذا محصهم ومحضهم للراية التي رفعوها؛ كي لا يكون هناك غش ولا دخل ولا تمويه بالراية، ولقد يغلب المبطلون الذين يرفعون راية الباطل صريحة في بعض المعارك - لحكمة يعلمها الله - أما الذين يرفعون راية العقيدة، ولا يخلصون لها إخلاص التجرد، فلا يمنحهم الله النصر أبداً، حتى يبتليهم

(1) سنن الترمذي، كتاب أبواب الفتن، باب ماجاء في لزوم الجماعة، (ح 2166)، (4/ 466)، حكم الألباني:

صحيح، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

فيمتحصوا ويتمحصوا.. وهذا ما يريد القرآن أن يجلوه للجماعة المسلمة بهذه الإشارة إلى موقفهم في المعركة، وهذا ما أراد الله ﷻ أن يعلمه للجماعة المسلمة، وهي تتلقى الهزيمة المريرة والقرح الأليم، ثمرة لهذا الموقف المضطرب المتأرجح! **مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ.**

والقرآن يسلط الأضواء على خفايا القلوب، التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم.. وبذلك يضع قلوبهم أمامهم مكشوفة بما فيها، ويعرفهم من أين جاءتهم الهزيمة ليتقوها!، وفي الوقت ذاته يكشف لهم عن طرف من حكمة الله وتدبيره وراء هذه الآلام التي تعرضوا لها، ووراء هذه الأحداث التي وقعت بأسبابها الظاهرة.

**ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ..** لقد كان هناك قدر الله وراء أفعال البشر. فلما أن ضعفوا وتنازعوا وعصوا، صرف الله قوتهم وبأسهم وانتباههم عن المشركين، وصرف الرماة عن ثغرة الجبل، وصرف المقاتلين عن الميدان، فلاذوا بالفرار، وقع كل هذا مرتباً على ما صدر منهم، ولكن مدبراً من الله ليبتليهم.. ليبتليهم بالشدة والخوف والهزيمة والقتل والقرح، وما يتكشف عن هذا كله من كشف مكونات القلوب، ومن تمحيص النفوس، وتمييز الصفوف.

**وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ..** عفا عما وقع منكم من ضعف ومن نزاع ومن عصيان، وعفا كذلك عما وقع منكم من فرار وانقلاب وارتداد.. عفا عنكم فضلاً منه ومنّة، وتجاوزاً عن ضعفكم البشري، الذي لم تصاحبه نية سيئة ولا إصرار على الخطيئة، عفا عنكم لأنكم تخطئون وتضعفون في دائرة الإيمان بالله، والاستسلام له، وتسليم قيادكم لمشيئته.

**وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ومن فضله عليهم أن يعفو عنهم، ما داموا سائرين على منهجه، مقرين بعبوديتهم له، لا يدعون من خصائص الألوهية شيئاً لأنفسهم، ولا يتلقون نهجهم ولا شريعتهم ولا قيمهم، ولا موازينهم إلا منه.. فإذا وقعت منهم الخطيئة، وقعت عن ضعف وعجز أو عن طيش ودفعة.. فيتلقاهم عفو الله بعد الابتلاء والتمحيص والخلاص. (1)

فالضعف والتخلف والانحطاط حين يحل بالأمة والأفراد، يفرز هزيمة نفسية عارمة تدمر المعنويات، وتنتشر التخاذل، وتشل المدارك، وتعطل النهوض والقيام، فهي داء عضال لم يتسلط على إنسان إلا أحبطه وأقعده، ولا على أمة إلا أصابها بالعجز واليأس، وقد نهى الله عنه فقال سبحانه: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.**

[آل عمران: 105].

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب، (1/ 494 / 495)، (بتصرف).

فإن التفرقة والنزاع هي من صفات صحبة الأشرار، كالكفار والمنافقين، وأن الثبات والتوحد هي صفة صحبة الأخيار، كالمؤمنين والصالحين، فالله تعالى أمرهم بالثبات ونهاهم عن التنازع والتفرق.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ \* ٤٥-٤٦. [الأنفال: 45-46].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا أَي: إذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار فاثبتوا لهم، ولا تفروا أمامهم، فإن الثبات قوة معنوية، طالما كانت السبب في النصر، والغلب بين الأفراد والجيوش، انظر إلى الرجلين الجلدين يتصارعان فيعيا كل منهما، وتضعف قوته، ويتوقع كل لحظة أن يقع صريعاً، ولكن قد يخطر له أن خصمه ربما وقع قبله، فيثبت إلى اللحظة الأخيرة، فيكون له الفلج والفوز على خصمه، وهكذا في الحروب فإن من أهم أسباب النصر فيها الثبات وعدم اليأس، بل الثبات نافع في كل أعمال البشر، فهو الوسيلة في الفوز والنجاح فيها.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا أَي: وأكثروا من ذكر الله في أثناء القتال في قلوبكم، بذكر قدرته ووعدته بنصر رسله والمؤمنين، ونصر كل من يتبع سنتهم بنصر دينه وإقامة سننه، وبأن النصر بيده ومن عنده يؤتية من يشاء، وبأسنتكم بالتكبير ونحوه، وبالذعاء والتضرع إليه مع اليقين بأنه لا يعجزه شيء.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أَي: إن الثبات وذكر الله هما وسيلتان من وسائل الفوز، ويعدان للفلاح في القتال في الدنيا، وفي نيل الثواب في الآخرة.

وفى ذلك إيماء إلى أنه يجب على العبد ألا يفتر عن ذكر الله أكثر ما يكون، همًا، وأشغل ما يكون قلباً، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك، وإن كانت متوزعة عن غيره.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَي: وأطيعوا الله فيما أمركم به من الأسباب الموجبة للفلاح، في القتال وفي غيره، وأطيعوا رسوله كذلك، فهو المبيّن لكلام ربه، والمنفّذ له بالقول والعمل والحكم، وهو القائد الأعظم في القتال، فطاعته هي جماع النظام، والنظام ركن من أركان الظفر، وهو المشارك لكم في الرأي والتدبير والاستشارة في الأمور.

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ أَي: ولا يكن منكم تنازع واختلاف، فإن ذلك مدعاة للفشل والخيبة، وذهاب القوة، فيتغلب عليكم العدو.

وأصل الريح الهواء المتحرك ثم استعيرت للقوة والغلبة، لأنه لا يوجد في الأجسام ما هو أقوى منها، فهي تهيج البحار، وتقتلع الأشجار، وتهدم الدور والقلاع، ومن ثم يقال: هبت رياح فلان إذا جرى أمره على ما يريد، كما يقال: ركبت رياحه إذا ضعف أمره، وولت دولته. (1)

وترى الباحثة أن المنهج الصحيح لعودة هذه الأمة إلى سابق مجدها وعزها لا بد أن ينطلق من الدعوة والتربية، والتركيز على التوحد والتماسك والابتعاد عن صحبة الأشرار التي قد تكون سببا من الأسباب التي تؤدي إلى تحكم الوهن في تصرفات الداعية، فالصحبة السيئة تحسن القبيح، وتقبح الحسن، وتجر المرء إلى الرذيلة، وتبعده عن كل خير وفضيلة، ذلك أن المرء يتأثر بعادات جليسه.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت 41].

(1) تفسير المراغي للمراغي، (10/ 9، 10).



## الخاتمة

اشتملت الخاتمة على موجز لما تناولته الرسالة، وأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة.

وكانت أهم نتائج التمهيد كالتالي:

- 1- للصحبة تعريفات في أصول اللغة العربية، فهي بمعنى الملازمة والمرافقة.
- 2- ذكرت الصحبة في القرآن الكريم بصيغ متنوعة، بالمفرد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ﴾ [الكهف:37] وبالمثنى في قوله تعالى: ﴿ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ .. ﴾ [يوسف:39]، وبالجمع في قوله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ مُوسَى ﴾ [الشعراء:61].
- 3- إن للصحبة نظائر كثيرة في القرآن الكريم، والسنة النبوية، فهي بمعنى الأخ، والخليل، والحواري، والقرين، والصاحب، والرفيق، والولي، والنصير.
- 4- أن صحبة الأخيار لها فضل عظيم، وأجر كبير عند الله ﷻ.
- 5- برزت أهمية الصحبة تكمن في الاقتداء بالأنبياء والصالحين في الدنيا؛ ليكونوا عوناً لنا في الآخرة.
- 6- أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بصحبة أهل الكتاب، ومعاملتهم معاملة حسنة ماداموا لم يعتدوا على المؤمنين ولم يحرّضوا أحداً ضدنا، ولم يسخرُوا من ديننا .
- 7- أن للصحبة مقومات تستند عليها كما أشار القرآن والسنة، والتي تمثلت في رابطة التقوى والإيمان، فإذا وجدت هذه الرابطة بالتأكيد ستتحقق باقي المقومات.
- 8- إن الصحبة الصالحة هي سبب للفلاح في الدنيا، والنجاة من النار في الآخرة قال تعالى: ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:67].
- 9- من آثار صحبة الأخيار على الفرد الاستقامة والتناصح، وعلى المجتمع الترابط بين المسلمين وتحقيق النصر.
- 10- إن صحبة الأخيار لها أثر كبير على الفرد، فهي تشعره بالطمأنينة، والراحة في الدنيا، و تنجيه من عذاب الله في الآخرة.
- 11- إن صحبة الأشرار تدفع الفرد إلى الانحراف والضلال في الدنيا، وتشعره بالندم والحسرة يوم القيامة.
- 12- إن صحبة الأخيار تعمل على غرس الثقة بالله، وتنتشر المحبة والألفة بين أفراد المجتمع، على عكس صحبة الأشرار فهي تعمل على فساد المجتمع وأفراده، وتنتشر الكراهية والبغضاء.

## التوصيات:

- 1- أوصي طلبة قسم علم التفسير بالاهتمام بالتفسير الموضوعي.
  - 2- أوصي الآباء بالاهتمام بأبناءهم وصحبتهم، وتحفيزهم لاختيار الصالح لهم، والمداومة على مرافقتهم .
  - 3- أوصي المتخصصين في كلية أصول الدين، والشريعة، والتربية، والواعظين، أن يهتموا بموضوع الصحبة الصالحة ضمن المساقات، والدروس، والمواعظ، والمحاضرات، والتركيز عليها لما لها نتائج طيبة وثمار نافعة.
- وفى ختام هذه الرسالة أحمد الله ﷻ على نعمته وفضله علي، وتوفيقه لي لإتمام رسالتي، وأرجو منه ﷻ أن يتقبل هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزى كل من ساهم معي وأعاننى لإتمام هذه الرسالة خير الجزاء .
- وصلِّ اللهم وبارك على نبينا، وحبينا، ومعلمنا، قنوتنا محمد ﷺ وأصحابه وسلِّم تسليماً كثيراً.

## الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس المراجع.

رابعاً: فهرس الأعلام.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهارس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الفاتحة		
102	7، 6	﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ ... ﴾
سورة البقرة		
72	15-14	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ... ﴾
73	16	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا ... ﴾
55	34	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا ... ﴾
109	46-45	﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ... ﴾
68	55	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً .. ﴾
25	83	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ ... ﴾
67	87	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ... ﴾
95	109	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ ... ﴾
70	113	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ ... ﴾
70	120	﴿ وَلَنْ نَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُ ... ﴾
19	124	﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ ... ﴾
34	178	﴿ .. فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ ... ﴾
131	195	﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ .. ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
95	206	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ ﴾
81	217	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ... ﴾
43	221	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ وَلَا مَئِمَّةً مُؤَمِّمَةً... ﴾
61	246	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ﴾
83	255	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ... ﴾
39	256	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ... ﴾
48	280	﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ... ﴾
109	156-155	﴿ وَلَنْبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ... ﴾
68	167-166	﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ... ﴾
سورة آل عمران		
28	18	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ... ﴾
40	64	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ... ﴾
34	103	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ .. ﴾
113	109	﴿ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾
80	116	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ... ﴾
73	118	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ... ﴾
74	119	﴿ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ... ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
74	120	﴿إِنْ تَمَسَسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا....﴾
49	134	: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَآظِمِينَ....﴾
129	140-139	﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ....﴾
109	142	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا....﴾
152	152	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ....﴾
86	154	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً...﴾
55	155	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ...﴾
46	159	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ....﴾
116	173	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ....﴾
92	175	﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا...﴾
64	184	﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ....﴾
110	186	﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ...﴾
111	200	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا....﴾
سورة النساء		
32	19	﴿...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾
32	36	﴿..وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ..﴾
35\27	36	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي...﴾

الصفحة	رقمها	الاية
130	59	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ ... ﴾
56\58	60	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ ... ﴾
75	61	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ... ﴾
19	125	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ... ﴾
93	135	﴿ . فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى ... ﴾
77	140	﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ... ﴾
82	167	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾
سورة المائدة		
41	5	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ... ﴾
37	8	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ... ﴾
70	51	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ ... ﴾
71	57	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا ... ﴾
105	79-78	﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ ... ﴾
57	91-90	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ ... ﴾
55	91	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ... ﴾
سورة الأنعام		
64	10	﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا ... ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
59	68	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ... ﴾
81	112	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ... ﴾
125	141	﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ... ﴾
سورة الأعراف		
45	58	﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ ... ﴾
61	60	﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾
104	62-61	﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ ... ﴾
68	64	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ... ﴾
104	68	﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِيسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾
104	79	﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِيسَالَتِ رَبِّي ... ﴾
65	82	﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ... ﴾
65	88	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ ... ﴾
104	93	﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِيسَالَاتِ رَبِّي ... ﴾
61	103	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ... ﴾
65	127	﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ... ﴾
113	128	﴿ ... إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
127	129	﴿ وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾



الصفحة	رقمها	الاية
93	176	﴿ .. وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ ... ﴾
23	184	﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾
60	200	﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
سورة الأنفال		
128	1	﴿ ... وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
129	2	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾
129	12-10	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ... ﴾
128	24	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ... ﴾
114\66	30	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِتُواكَ أَوْ يُقْتُلُواكَ أَوْ يُجْرِبُواكَ ... ﴾
84	36	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ... ﴾
154	46-45	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ... ﴾
59	48	﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَّا غَالِبَ لَكُمْ ... ﴾
123	64	﴿ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
39	61	﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
124	75	﴿ الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾
سورة التوبة		
84	14	﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ... ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
131	23	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ... ﴾
114	33	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ... ﴾
22	40	﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ... ﴾
117	41-40	﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ... ﴾
131	41	﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ... ﴾
124	67	﴿ الْمُتَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ... ﴾
123	71	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾
75	79	﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ... ﴾
76	80	﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ... ﴾
78	109	﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ ... ﴾
132	111	﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ... ﴾
سورة يونس		
98	36	﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ... ﴾
114	64-62	﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ... ﴾
62	83	﴿ فَمَا أَمَّنْ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّتُهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ ... ﴾
39	99	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ... ﴾
63	78	﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمًّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا ... ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
سورة هود		
102	112	﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
84	113	﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ ... ﴾
سورة يوسف		
66	33 - 32	﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ ... ﴾
21	39	﴿ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾
86	40	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ ... ﴾
33	58	﴿ .. وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ .. ﴾
109	90	﴿ .. إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
سورة الرعد		
111	17	﴿ فَأَمَّا الرِّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾
103	28	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾
سورة إبراهيم		
83	22	﴿ ... وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ... ﴾
85	22	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ ... ﴾
111	27	﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾
116	43	﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ حَوَاءٌ ﴾
سورة النحل		

الصفحة	رقمها	الاية
118	40	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ... ﴾
107	125	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ... ﴾
سورة الاسراء		
23	23	﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا... ﴾
68	81	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾
سورة الكهف		
44/11	28	﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ... ﴾
30	60	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ... ﴾
30	60	﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾
29	65	﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا... ﴾
29	66	﴿ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا.. ﴾
29	68	﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا... ﴾
30	72	﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا... ﴾
30	76	﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكِ.. ﴾
سورة طه		
122	35 - 29	﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ... ﴾
68	78	﴿ فَأَتَّبَعُهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾
103	112	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
141	126-124	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ... ﴾
سورة الأنبياء		
83	28	﴿ ... وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ... ﴾
10	43	﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ... ﴾
115	69	﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾
147	98	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾
سورة الحج		
56	53	﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ ... ﴾
118	38	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾
110	11	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ... ﴾
سورة المؤمنون		
63	24	﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ... ﴾
68	41	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
سورة النور		
12-1	55	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... ﴾
16	61	﴿ ... أَوْ يُبَيِّتَ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ... ﴾
90-89	12	﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفٍ... ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
سورة الفرقان		
82	29	﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾
سورة الشعراء		
66	29	﴿ قَالَ لَيْنَ اتَّخَذَتْ إِهْمًا عَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾
112	61-62	﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى ... ﴾
سورة النمل		
62	13-14	﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا ... ﴾
سورة القصص		
68	6	﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا .... ﴾
115	7	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ ... ﴾
68	8	﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ... ﴾
116	10-11	﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا ... ﴾
123	35	﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾
118	83	﴿ ... وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
سورة العنكبوت		
155	41	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ ... ﴾
40	46	﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ... ﴾
سورة الروم		

الصفحة	رقمها	الاية
144\32\31	21	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا... ﴾
151	30	﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾
149	41	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ... ﴾
سورة لقمان		
26	14-15	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ... ﴾
109	31	﴿ ... فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾
سورة الأحزاب		
97	10	﴿ ... وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾
109	35	﴿ ... وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾
82	66	﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾
سورة سبأ		
22	46	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى... ﴾
سورة يس		
113	82	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
سورة الصافات		
69	36	﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾
17	51	﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ... ﴾
139	57-51	﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ... ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
سورة ص		
69	4	﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾
63	6	﴿ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾
93	26	﴿ ... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ ... ﴾
سورة الزمر		
28	9	﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾
سورة غافر		
64	26	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ ... ﴾
119	51	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾
سورة فصلت		
97-87	22	﴿ ... وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
138/56	25	﴿ وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ... ﴾
149	29	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ... ﴾
102	30	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ ... ﴾
104	32-31	﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ .. ﴾
134/82	34	﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾
سورة الزخرف		



الصفحة	رقمها	الاية
80	37-36	﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا .... ﴾
138	38	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾
138	39	﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾
44/2	67	﴿ الْأَخْلَاءُ يُومِنُونَ بِعُضُوبِهِمْ لِبَعْضِ عَدُوِّ الْأُمْتِقِينَ ﴾
سورة الدخان		
82	47	﴿ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾
سورة الجاثية		
97	32	﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي .... ﴾
سورة الأحقاف		
27	15	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ .... ﴾
سورة محمد		
127	8	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾
سورة الفتح		
86	6	﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ... ﴾
86	12	﴿ ... بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ ... ﴾
46	29	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾
سورة الحجرات		
15	10	﴿ ..إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.. ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
87	12	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ... ﴾
1	13	: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ... ﴾
سورة ق		
82	27	﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾
سورة الذاريات		
125	19	﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾
105	55-54	﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ * وَذَكَرْ فَإِنَّ الدُّكْرَىٰ ... ﴾
108	56	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
سورة الحديد		
73	14	﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ... ﴾
سورة المجادلة		
93	10	﴿ إِنَّهَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ... ﴾
60	19	﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ... ﴾
34	22	﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ... ﴾
سورة الحشر		
50	9	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ... ﴾
52	10	﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا... ﴾
69	11	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
85	16	﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ... ﴾
سورة الممتحنة		
135	7	﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَرِهْتُمْ مَوَدَّةً... ﴾
38	8	﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ... ﴾
38	9	﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ... ﴾
43	10	﴿... وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ... ﴾
سورة الصف		
120	4	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾
132	13-10	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْحِيكُمْ ﴾
سورة المنافقون		
72	1	﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ... ﴾
80	4	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ... ﴾
سورة الطلاق		
119	3	﴿... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ... ﴾
سورة التحريم		
147	6	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا... ﴾
سورة القلم		
45	4	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

الصفحة	رقمها	الاية
91	12 - 8	﴿ فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ (8) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ... ﴾
سورة الجن		
10	3	﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾
103	13	﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ، فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ... ﴾
سورة المدثر		
10	31	﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾
125	44-38	﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ... ﴾
سورة الأعلى		
105	11-9	﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى * سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾
سورة البلد		
125	17 - 11	﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ... ﴾
109	17	﴿ ... وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴾
سورة التين		
106	6-4	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .... ﴾
سورة العصر		
96	3-1	﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ... ﴾
سورة الكافرون		
41	4-3	﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ... ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الرواي	طرف الحديث
44	أبي سعيد الخدري	لا تصاحب إلا مؤمناً...
107	عبد الله بن عمر	إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله ...
133	عائشة رضي الله	الأرواح جنودٌ مجنّدةٌ فما تعارف... ..
144	أبي هريرة	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً... ..
24	عياض بن حمار المجاشعي	ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم
24	عبد الرحمن بن أبي بكر	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً ... ..
33	أبي موسى	إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد... ..
33	النعمان بن بشير	إن أمه بنت روضة سألتني بعض الموهبة... ..
97	أبي هريرة	أنا عند ظن عبدي بي... ..
123	أنس رضي الله	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
115	سعيد بن جبير	أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل... ..
85	أبي هريرة	إياكم والظن فإن الظن... ..
104	جرير بن عبد الله	بأيعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة... ..
133	أبي هريرة	بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد... ..
108	عبد الله	بينما النبي ﷺ ساجد، وحوّله ناس... ..
24	عبد الله بن عمرو	جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد... ..
24	أبي هريرة	جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله... ..
106	أبي هريرة	حق المسلم على المسلم ست... ..
85	عبد الله بن مسعود	خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً... ..
36	عبد الله بن عمرو	خير الأصحاب عند الله... ..
90	أبي هريرة	الرجل على دين خليه فلينظر... ..
49	أبي هريرة	سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم... ..
135	ابن شهاب	غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح،... ..

الصفحة	الرواي	طرف الحديث
132	عَنْ أُسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ	غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ....
67	عروة بن الزبير	قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ
49	سَهْلُ بْنُ مُعَاذٍ	قَالَ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ.....
104	تَمِيمُ الدَّارِي	قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا... كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةَ....
108	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ	كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا....
102	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ	لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتُّ خِصَالٍ....
47	أَبِي هُرَيْرَةَ	لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ..... لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي....
137	سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ	مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ... مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ....
16	ابن عباس	مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ.....
137	أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.....
51	أَبِي الدَّرْدَاءِ	مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ... مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ.....
113	أُمُّ سَلَمَةَ	الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ.....
151	أَبِي هُرَيْرَةَ	الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ.....
79	أَبِي مُوسَى	وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟"....
120	النعمان بن بشير	يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرْقَةً.....
100	أَبِي هُرَيْرَةَ	يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي قَدِمْتَ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ.....
120	ابو موسى	يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَوَلَدْتُ غُلَامًا أَسْوَدًا....
105	جابر بن عبد الله	يَدُّ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ....
36	أَبِي ذَرٍّ	
28	أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ	
89	أَبِي هُرَيْرَةَ	
152	ابن عباس	

## ثالثاً: فهرس الأعلام

104	تميم بن أوس الدارى	-1
51	الشافعى ومحمد بن عبد الله الحكم	-2
24	عبد الرحمن بن أبى بكرة الثقفى	-3
54	عياض بن حمار المجاشعى	-4
33	النعمان بن بشير الانصارى	-5

### ثالثاً: فهرس المراجع

1. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: 4.
2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م.
3. الأعلام: المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، النشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.
4. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1 - 1418 هـ.
5. البحر المحيط: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار النشر: دار الفكر - بيروت، ط1420هـ.
6. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار النشر: دار الفكر - بيروت
7. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: 1419 هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية 1423 هـ - 2002 م.
8. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
9. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ.
10. ترتيب المدارك وتقريب المسالك: المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي المحقق: عبد القادر الصحراوي، 1966 - 1970 م، النشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط1.
11. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، الخقق: الدكتور عبد الله الخالدي، النشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط1 - 1416 هـ.



12. **التسهيل لعلوم التنزيل**: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي  
الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم -  
بيروت، ط1، 1416 هـ.
13. **تفسير التستري**: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (المتوفى: 283هـ).
14. **التفسير الحديث**: دروزة محمد عزت، النشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ط: 1383 .
15. **تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل)**: علاء الدين علي بن محمد بن  
إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية  
- بيروت ط 1415 هـ.
16. **تفسير الشعراوي - الخواطر**: محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم، ط:  
1997م، عدد الأجزاء: 20.
17. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن  
محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الناشر: الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، سنة النشر: 1990م.
18. **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي،  
تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999  
م.
19. **تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية  
، الخقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، النشر: دار ومكتبة  
الهلal - بيروت، ط1 - 1410 هـ.
20. **تفسير القرآن**: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن  
إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر دار الوطن - الرياض، سنة النشر 1418هـ -  
1997م .
21. **تفسير القرآن**: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق الدكتور: سعد بن  
محمد السعد، دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية، ط1، 1423 هـ، 2002 م.
22. **التفسير الكبير المسمى ( مفاتيح الغيب )**: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي  
الرازي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420 هـ.

23. تفسير الماوردي ( النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
24. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1365 هـ - 1946م.
25. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر مكان الطبع: بيروت دمشق، سنة الطبع: 1418 هـ.
26. التفسير الوسيط للزحيلي : دوهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، ط1 - 1422 هـ.
27. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1.
28. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط1 - 1423 هـ.
29. تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، ط1، 1406 - 1986.
30. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان.
31. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1400 - 1980.
32. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م .
33. التوقيف على مهمات التعريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، الناشر: عبد الخالق ثروت - القاهرة، ط1، 1410 هـ - 1990م.
34. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000م .

35. **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م.
36. **الجامع لأحكام القرآن**: أبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964م.
- جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، النشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية - بيروت ط1 - 1423 هـ.
37. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418 هـ.
38. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، النشر: دار القلم، دمشق.
39. **الدر المنثور**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، النشر: دار الفكر - بيروت.
40. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ.
41. **زاد المسير في علم التفسير**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422 هـ.
42. **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، النشر: دار الحديث - القاهرة، ط: 1427 هـ - 2006م، عدد الأجزاء: 18.
43. **فتح الباري**: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379.
44. **فتح القدير**: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1 - 1414 هـ.

45. **الفروق اللغوية:** أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر .
46. **في ظلال القرآن:** إبراهيم حسين الشاربي المعروف بسيد قطب، الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة، عدد الاجزاء 8.
47. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3 - 1407 هـ.
48. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن:** أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، ط1 - 1422 هـ - 2002م.
49. **لباب التأويل في معاني التنزيل:** علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ.
50. **اللباب في علوم الكتاب:** أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الخبيلي الدمشقي النعماني، الخقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998م.
51. **لطائف الإشارات:** عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3 .
52. **محاسن التأويل:** محمد جمال الدين بن محمد القاسم تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، ط1 - 1418 هـ.
53. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي اخاري، الخقق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
54. **مختار الصحاح:** زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420 هـ - 1999م.

55. **المخصص**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م.
56. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.
57. **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني، تحقيق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1417هـ.
58. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ - 2002م.
59. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420هـ.
60. **المعجم الوسيط**: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.
61. **معجم مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: 1399هـ - 1979م.
62. **معرفة الصحابة**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1419هـ - 1998م.
63. **موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلمه**: جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري - أحمد عبد الرزاق عيد - محمود محمد خليل، دار النشر: عالم الكتب، ط1، 1417هـ / 1997م، النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 - 1422هـ.
64. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
65. **النهاية في غريب الحديث والأثر**: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.

66. الهداية إلى بلوغ النهاية: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008 م .
67. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1415 هـ.
68. تفسير ابو السعود ارشاد العقل السليم الي مزايا الكتاب الكريم:أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى،النشر:دار احياء التراث العربي-بيروت.
69. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1415 هـ - 1994 م .

رابعاً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الاهداء.
ب-ج	شكر وتقدير.
1	<b>المقدمة:</b>
2	أولاً: أهمية الدراسة.
2	ثانياً: أسباب اختيار الموضوع.
3	ثالثاً: أهداف الدراسة.
3	رابعاً: الدراسات السابقة.
3	خامساً: منهج الباحثة.
4	سادساً: خطة الدراسة .
<b>التمهيد</b>	
9	أولاً : الصحبة لغةً.
15	ثانياً : الصحبة اصطلاحاً
17-15	ثالثاً : نظائر الصحبة في القرآن.
<b>الفصل الأول</b> <b>صحبة الأخيار ومقوماتها</b>	
19	المبحث الأول : صحبة الأخيار.
19	المطلب الأول : صحبة الأنبياء.
20-19	أولاً: صحبة سيدنا إبراهيم عليه السلام (خليل الله).
20	ثانياً: صحبة سيدنا يوسف عليه السلام.

الصفحة	الموضوع
21	ثالثاً: صحبة النبي محمد ﷺ لأبى بكر الصديق.
21	شروط صحبة الصحبة.
23-22	صحبة النبي محمد ﷺ لقومه في مكة.
27-24	المطلب الثاني: صحبة الوالدين.
28	المطلب الثالث: صحبة العلماء.
30-29	أهم الفوائد التربوية لصحبة موسى ومعلمه الخضر.
32-31	المطلب الرابع: صحبة الأزواج
34-33	المطلب الخامس: صحبة الإخوان
36-35	المطلب السادس: صحبة الجيران
43-37	المبحث الثاني: صحبة أهل الكتاب
44	المبحث الثالث: مقومات وحقوق صحبة الأخيار.
44	المطلب الأول: رابطة التقوى والإيمان.
45	المطلب الثاني: المنبت الطيب.
46	المطلب الثالث: حسن المعاملة.
42	المطلب الرابع: الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات.
47	المطلب الخامس: العفو عن زلات وهفوات الصاحب.
50-49	المطلب السادس: الوفاء والإخلاص للصاحب.
52-51	المطلب السابع: الدعاء للصاحب في حياته وبعد مماته.



الصفحة	الموضوع
<b>الفصل الثاني</b> <b>صحبة الأشرار ومقوماتها</b>	
54	المبحث الأول : صحبة الأشرار.
54	المطلب الأول : صحبة الشيطان.
55	أولاً: صفات الشيطان.
60-56	ثانياً: أسباب تمكن الشيطان من صحبة الانسان.
68-61	المطلب الثاني: صحبة الملائكة.
69	المطلب الثالث: صحبة المشركين والكفار.
76-70	صفات المشركين والكفار.
78	المبحث الثاني : مقومات صحبة الأشرار.
79-78	المطلب الأول : رابطة الضلال والكفر.
83-79	المطلب الثاني: أهداف ومصير الأشرار.
83	المطلب الثالث: سوء الظن والتجسس.
92-84	أولاً: أنواع سوء الظن وأحكامه.
95-92	ثانياً: أسباب سوء الظن ودوافعه.
98-96	ثالثاً: آثار سوء الظن.
<b>الفصل الثالث</b> <b>آثار الصحبة</b>	
100	المبحث الأول : آثار صحبة الأخيار على الفرد:
104-101	المطلب الأول : الاستقامة والصلاح.
107-104	المطلب الثاني : التناصح.

الصفحة	الموضوع
113-105	المطلب الثالث: التثبيت في الشدائد.
119-113	المطلب الرابع: غرس الثقة بالله.
120	المبحث الثاني : آثار صحبة الأخيار على المجتمع
125-120	المطلب الأول : قوة الترابط بين المسلمين.
132-126	المطلب الثاني : تحقيق النصر ورفع المعنويات.
136-133	المطلب الثالث : تحويل العداوة إلى مودة .
137	المبحث الثالث: آثار صحبة الأشرار على الفرد.
139-137	المطلب الأول : الانحراف والضلال.
143-140	المطلب الثاني : الخسارة في الدنيا والآخرة.
144	المبحث الرابع : آثار صحبة الأشرار على المجتمع.
147-144	المطلب الأول : التفكك الأسري.
150-148	المطلب الثاني : الانحراف والضلال .
151-155	المطلب الثالث: الضعف والهزيمة.
156	الخاتمة.
157	التوصيات.
158	الفهارس:
175-159	أولاً: فهرس الآيات القرآنية.
176-177	ثانياً : فهرس الأحاديث.
178	ثالثاً : فهرس الأعلام.
179-185	رابعاً: فهرس المراجع.
186-189	خامساً: فهرس الموضوعات.
190	ملخص الدراسة باللغة العربية.
191	ملخص الدراسة باللغة الانجليزية.

## ملخص الرسالة:

### التمهيد:

تناولت في بداية الرسالة الصحبة لغةً واصطلاحاً , وتحدثت عن نظائرها في ضوء القرآن الكريم , ومن نظائرها الأخ والخليل والحواريون والرفيق والقرين والصديق والولي , وبينت معانيها وعلاقتها بالصحبة.

### الفصل الأول:

هو صلب الرسالة وموضوعها , فقد تناولت في هذا الفصل ثلاثة مباحث :  
**في المبحث الأول :** تحدثت عن صحبة الأخيار , كصحبة الأنبياء والعلماء والوالدين والأزواج والإخوان والجيران.

**وفي المبحث الثاني :** تناولت مقومات صحبة الأخيار , فهي تقوم على رابطة التقوى والإيمان , و المنبت الطيب , وحسن المعاملة , والإعانة بالنفس في قضاء الحاجات , والعفو عن الزلات والهفوات , والوفاء والإخلاص , وختمت هذا المبحث بالدعاء للصاحب في حياته وبعد مماته.  
**وفي المبحث الثالث :** تناولت الحديث عن صحبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وأهم الحقوق الواجبة لهم من المسلمين كالعفو والصفح والمعاملة الحسنة في ظل محبتهم وتعاملهم لنا وعدم الاعتداء على المؤمنين.

### الفصل الثاني:

تناولت الحديث في **المبحث الأول :** عن صحبة الأشرار , كصحبة الشيطان , وصحبة المأثم , وصحبة المشركين وبيان شرهم وضلال صحبتهم في الدنيا والآخرة.  
**وفي المبحث الثاني :** تحدثت عن مقومات هذه الصحبة السيئة , من الضلال والانحراف والكفر , وسوء الظن بالآخرين , والتجسس , والخوض في آيات الله بالتكذيب والتحذير من هذه الصحبة والابتعاد عنها فان هدفها هو الفساد ومصيرها وهو الضلال في الدنيا والآخرة.

### الفصل الثالث:

تناولت آثار الصحبة على الفرد والمجتمع , **وفي المبحث الأول :** آثار صحبة الأخيار على الفرد , **والمبحث الثاني :** آثارها على المجتمع , **وفي المبحث الثالث :** آثار صحبة الأشرار على الفرد **والمبحث الرابع :** آثارها على المجتمع ثم الخاتمة واهم النتائج والتوصيات.

## ABSTRACT

### Boot:

Dealt with in the beginning of the message in language and in the companionship terminology, talked about their counterparts in the light of the Koran, and analogues brother, Hebron the Apostles, the spouse companion, friend and guardian showed their meanings and their relationship to companionship.

### Chapter I:

Is the core message and theme, dealt with in this chapter three sections: In the first section, speaking on the company of good people, followers prophets, scientists parents, husbands brothers and neighbors.

**In the second part**, addressing the elements of good friends, they are based on the Association of piety and faith, descent good, good treatment, aid self in the district needs, amnesty for gaffes and blunders, loyalty, sincerity, and concluded this topic pray for his life and after his death.

**In the third topic:** talk about the company addressed the people of the book of the Jews and the Christians and the most important rights due to them from Muslims givernes, forgiveness and good treatment in the light of love and treat them to us and not to assault us.

### Chapter II:

#### Addressed the first topic in the talk:

The company of the wicked, company the devil, and the company public, the company of idolaters and the statement of their evil misguidance company with them in this world and the Hereafter.

**In the second topic**, speaking about the elements of these bad friends, misguidance deviation infidelity, and mistrust of others, espionage, and go into the virses disbelief and warn against this company and stay away from them, the goal is corrupt doomed to a delusion in the world and the Hereafter.

### Chapter III:

Addressed the effects of companionship on the individual and society, in the first topic: the effects of good friends on the individual, the second topic: their impact on society, and in the third topic: the effects of the bad guys on the individual company and the fourth topic: their effects on society Conclusion and then the most important findings and recommendations.